

التَّفْسِيرُ الْمُبِينُ

ألفه وكتبه :
الفقيه إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الثالث

(ح) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

۶ مج

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(۳ج) ۹۷۸-۶.۳-۹.۰۳.۰-۳-۸

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ۲۲۷,۶ ۱۴۲۹ / ۳۶۱۴

رقم الايداع : ١٤٢٩ / ٣٦١٤

ردمك : ٧-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

(۳ج) ۹۷۸-۶.۳-۹.۰.۳.۰-۳-۸

جميع الحقوق محفوظة

لـ «مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة

مدنية وآياتها مائة وعشرون آية

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١)

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يوفوا بعقودهم وهي على نوعين: الأول: ما عقده الله عليهم من التكاليف، وهي عبادته وحده وتحليل ما أحله وتحريم ما حرمه في كتابه وما جاء به رسوله محمد ﷺ. النوع الثاني عقود بين العباد فيما يتعلق بأمور دنياهم، كالمبايعات والأمانات ونحوها. فالوفاء بالعقود في هذين النوعين مما أمر الله به، وإن كان المراد في هذه الآية هي عقود الله؛ لأن الأمر انصب على حل بهيمة الأنعام.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ المراد بها الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يدخل في الحل المبين في السنة، وهذا نفى لما كان للعرب في الجاهلية من أعراف فاسدة في الأنعام كالوصيلة والسائبة والبحيرة. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ والمراد به ما سيأتي في الآية بعدها من الميتة

والدم وما ورد في السنة من تحريم كل ذي ناب من السباع. ﴿غَيْرُ مُحْلٍ
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: أن كل ما كان صيداً فهو حلال لكم في الحل
دون الحرم؛ لأن صيده محرم في الإحرام والإحلال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا
يُرِيدُ﴾ أي: أنه جل ذكره حكم بهذا فلا معقب لحكمه.

أحكام ومسائل الآية:

الوفاء بالعقود واجب وجوب عين على من دخل فيها، فهو في
العبادات واجب على كل مكلف من ذكر وأنثى، وهو في المعاملات
واجب على كل طرف فيها. والعقد يكون بالقول والفعل فإذا قال
المرء قولاً يقصد منه الإقرار بعقد أو عهد لزمه عقده، وقد يسمى
هذا نذراً، فمن نذر - مثلاً - أن يتصدق بصدقة إذا رزق بولد لزمه
هذا النذر.

والعقود يجب أن تكون متفقة مع كتاب الله ومع سنة رسوله
محمد ﷺ، والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (ما بال أقوام
يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟ من اشترط شرطاً ليس في
كتاب الله ليس له وإن كان مائة شرط)^(١). ومن الأحكام في الآية:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله،
برقم (٢٧٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٤١٦.

تحريم الصيد في الحرم في الإحرام والإحلال وما لم يكن صيداً فهو حلال في الحل والحرم. ومن الأحكام في الآية: تحريم القتال في الأشهر الحرم، ولكن هذا نسخ بقول الله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١). ومن الأحكام: حل أكل بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم. ومنها: تحريم صيد البر بعد الإحرام وإباحة صيده بعد التحلل منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)

بيان الآية:

﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أي: لا تحلوا حرمة الله وهي جميع ما أمركم به ونهاكم عنه قال تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢). ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ والمراد به جميع

(١) سورة التوبة من الآية ٥، وينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٦١، وتفسير الضحاك ج ١ ص ٣١٥.

(٢) سورة الحج الآية ٣٢.

الأشهر الحرم وهي أربعة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. والمراد ما كان يفعله أهل الجاهلية من النسيء في الديون. ﴿وَلَا أُلْهِدِي وَلَا أَلْقَلِيدَ﴾ الهدى كل ما يتقرب به إلى الله، كالهدي في الحج، أو الأضحية، أو العقيقة. القلائد: جمع قلادة وهي ما يوضع في عنق الهدى ليعلم أنه هدي. ﴿وَلَا آمِينَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ قيل: إنها نزلت في شريح بن ضبيعة البكري الملقب بالحطم، أخذه جنود رسول الله ﷺ وهو آتٍ للعمرة. وقيل: إنه سبق أن أتى رسول الله ﷺ في المدينة وترك خيله خارجها فقال: إلام يا محمد تدعو الناس؟ فقال: (إلى شهادة ألا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وأتي بهم. وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: (يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان) ثم خرج من عنده فقال: (لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر)، فمر بمال المسلمين فساقه معه فلما خرج رسول الله ﷺ لقضاء العمرة التي أحصر عنها، سمع تلبية حجاج اليمامة فقال: (هذا الحطم وأصحابه فتوجهوا في طلبه) فنزلت الآية، والمراد أي لا تحلوا ما أشعر لله وإن كانوا مشركين^(١). وقيل: إنها نزلت عام الفتح ورسول الله ﷺ بمكة حين جاء أناس من المشركين يحجون ويعتصمون فقال المسلمون:

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٢٢٣، والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٤٥٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٥٩، ومعالم التنزيل للبغوي ص ٣٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٣٥١.

يا رسول الله إنما هؤلاء مشركون فلن نتركهم إلا أن نغير عليهم. فنزل قول الله تعالى ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾^(١). ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قد يكون المراد من الفضل طلب الأجر من مجيئهم إلى البيت الحرام، وقد يكون القصد التجارة. ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي: يبتغون رضا ربهم بسبب حجهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ المراد أنكم إذا فرغتم من الإحرام وتحللتم منه، فقد جاز لكم ما حرم عليكم من الصيد.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ المراد ألا يحملنكم بغض الذين صدوكم عن المسجد الحرام (أي يوم الحديبية) أن تعتدوا وتتخلوا عن العدل الذي أمركم الله به. وفي هذا روي أنه لما صدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه عن الوصول إلى بيت الله عام الحديبية صعب ذلك على الصحابة فلما مر بهم بعض من المشركين قاصدين الحرم قالوا لم لا نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم من قبل فأنزل الله هذه الآية^(٢).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ فيه: أمر من الله لعباده المؤمنين أن يكون تعاونهم على البر، والمحبة، وفعل الخيرات، وترك المنكرات. ﴿وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وهذا نهى لهم عن التعاون على الباطل والمحرمات أو الاعتداء على غيرهم بالظلم ونحوه. وشاهده: قول

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٥٩، والدر المنثور ج ٢ ص ٤٥١، وزاد المسير ص ٣٥٢.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٣٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٤٥٠.

رسول الله ﷺ (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيه وعيد لمن أحل شعائر الله

وتعاون على الإثم والعدوان.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب احترام شعائر الدين كلها وهذا يقتضي أداء الواجب وترك المحرم، كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢). ومن أحكام الآية: تحريم قتال المشركين في الأشهر الحرم كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾^(٣). ومنها: نسخ هدي المشركين، وما يقلدون به هديهم فلا يسمح لهم، ولا لهديهم بدخول البيت الحرام وإن كانوا متقلدين بلحاء شجر الحرم كما كانوا يفعلون. ومن الأحكام: أن بغض الإنسان لعدوه لا يبيح له الاعتداء عليه بغير حق؛ لأن الإسلام دين أمن وسلام. وقد حرم الله الاعتداء في آيات كثيرة من كتابه المبين منها: قوله

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (١٠١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٤٩.

(٢) سورة الحج من الآية ٣٢.

(٣) سورة التوبة من الآية ٥.

عز ذكره ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١). وقال
جل ثناؤه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمْ الظَّالِمُونَ﴾^(٢). ومن الأحكام: وجوب التعاون بين الأمة على البر
والتقوى، وهذا يشمل إقامة شرع الله، وتحريم التعاون على الإثم
والعدوان، وهذا يشمل كل ما يؤثر على الدين.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ
إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ
فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

بيان الآية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أي: كل ما مات من الإبل أو البقر أو
الغنم وكل ما أبيع أكله دون تذكية شرعية. ﴿وَالْدَّمُ﴾ أي: كل ما خرج
من هذه الحيوانات قبل ذبحها أو بعده من الدم المسفوح. ﴿وَلَحْمُ

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢٩ .

﴿الْخَنَزِيرِ﴾ وهو الحيوان المعروف بقذارته. ﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: كل حيوان أو طير ذكر عليه عند ذبحه اسم غير اسم الله سواء كان ذلك لنبي، أم رسول، أم ولي، أم شيخ، أم صنم، أم أي اسم آخر. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي: البهيمة أو الطير الذي يموت خنقاً كما هو الحال في البلاد التي تستعمل الخنق أو الصعق في الذبح. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي البهيمة التي تقذف بحجر أو عصا أو نحو ذلك حتى تموت. ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ أي: البهيمة التي تسقط من علو المكان إلى أسفله فتموت. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ المراد بها البهيمة التي تُنطح أو تتصارع مع بهيمة أخرى فتموت قبل تذكيتها. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أي: كل ما افترسه ذو ناب من الحيوان كالنمر، أو الذئب، أو الأسد.

قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء من الحكم، فكل ما تمت تذكيته من هذه البهائم التي تعرضت للخنق وغيره تعد حلالاً إذا كانت روحها لم تمت. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ هذه النصب كانت حجارة حول الكعبة، وكان العرب في الجاهلية يذبحون عندها، ويضعون اللحم عليها تبركا بها، فحرم الله هذا الفعل. ﴿وَأَنْ تَسْقِسُمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ وهي القداح، فقد كان العرب في جاهليتهم إذا أراد أحدهم السفر للتجارة، أو الغزو، أو أي أمر من أمور الدنيا ضرب بالقداح المكتوب على بعضها: (أمرني ربي)، وعلى بعضها الآخر: (نهاني ربي)، وبعضها: مجرد من

الكتابة، فإن ظهر له الأمر عزم على فعله، وإن ظهر له النهي توقف. وإن خرج المجرد من الكتابة أعاد الضرب مرة أخرى فسمي هذا استقساماً؛ لأنهم كانوا يستقسمون به ما يريدون من أمور الدنيا. ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ أي: إن هذه المحرمات التي ذكرت يعد ارتكابها خروجاً عن الطاعة وتعدُّ على ما حرمه الله.

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ إخبار من الله للمؤمنين أن الكافرين يتسوا من رجوع المؤمنين عن دينهم الإسلام فقد دخل المسلمون مكة وهزموا الوثنية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأنزل الله على عباده قوله العزيز ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، فلم يبق للكافرين في ذلك اليوم (يوم فتح مكة) أو ما سيأتي بعده من الأيام إلا التسليم، إما بالدخول في دين الله ليكونوا بذلك من المسلمين، أو ليلقوا جزاءهم الذي وعدهم الله به. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ أي: يا أيها المسلمون لا تخشوا الكافرين فإن النصر من عندي، فأنا القادر على نصركم وعزتكم إذا حافظتم على دينكم.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذه من نعم الله العظيمة على هذه الأمة فقد كمل لها دينها الذي ارتضاه الله لها، وجعلها به أمة

(١) سورة الصف الآية ٨ .

وسطاً بين الأمم وخيرها، وجعل رسولها خاتم النبيين وشفيع الناس يوم القيامة عند رب العالمين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما كان في المدينة توالى عليه أحكام الله من بيان الحلال وبيان الحرام، فلما حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع نزلت عليه هذه الآية في عرفات سنة عشر وهو واقف عصر يوم الجمعة على ناقته البيضاء في صعيد عرفات، فكانت هذه آخر آية - كما قيل - ولم ينزل بعدها حكم. وقد روى البخاري في صحيحه: أن اليهود قالت لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إني أعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة^(١). ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي: بفتح مكة ودخولها كما قال عز وجل. ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾^(٢) فأصبحت مكة آمنة وأنتم فيها آمنون وتطهرت من الأوثان وأصبحت منارة للمسلمين، فهذا من تمام نعمة الله، وقد يراد بإتمام النعمة أنه ليس هناك من نعمة عليكم أتم من نعمة الإسلام. ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: هذا هو الدين الذي رضيته لكم بمعنى اخترته لكم أنه لا دين

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ برقم (٤٦٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١١٩، وينظر في أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٣٤.

(٢) سورة الفتح من الآية ٢٧.

أعظم من هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

﴿فَمَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْصَةٍ﴾ لما بين الله ما حرم على عباده من أكل الميتة وما في حكمها من بهيمة الأنعام يسّر عليهم رحمة بهم فأباح لهم الأكل منها عندما يكونون في حال الاضطرار، كحال المجاعة مما يكون فيه خطر على أنفسهم. وشاهده من السنة: ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها الممصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا لم تصطبخوا ولم تغتبقوا ولم تحتفوا بقلأ فشأنكم بها)^(١). أما الأصل العام في الرخصة: فهو قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته)^(٢). ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: غير مائل له كقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده ويرحمهم لتناولهم المحرمات بسبب اضطرارهم.

أحكام ومسائل الآية:

تحريم أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، فهذه عشر محرمات حرم الله على عباده الأكل منها،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢١٨، والدارمي في كتاب الأضاحي، باب في أكل الميتة للمضطر، برقم (١٩٩٦)، سنن الدارمي ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١٠٨، وابن خزيمة برقم (٩٥٠)، ج ٢ ص ٧٣.

ويستثنى منها: الأكل عند الضرورة في حال المجاعة. ومن الأحكام: تحريم الاستقسام بالأزلام، وهذا التحريم يشمل كل أنواع الشعوذة والطلاسم كقراءة الكف، وقراءة ما في الإناء، وأنواع الكهانة ونحو ذلك. ومن الأحكام في الآية: تحريم الذبح عند القبور للأولياء، والمشايخ، والصالحين، أو النذر عندها، أو نحو ذلك فهذا كله من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ووعد بعدم المغفرة منه. ومن هذه الأحكام أن الله أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها به نعمته وأمرها أن تخشاه وتخافه وحده ولا تخشى أو تخاف أحداً غيره.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

بيان الآية:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ قيل: إنها نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير قالوا: يا رسول الله: إنا نصيد بالكلاب والبزاة وإن الكلاب تأخذ البقر والحرر والظباء فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا ؟ فنزلت هذه الآية (١). ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي: أحل

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٣٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٣٥٨، والدر المنثور ج ٢ ص ٤٥٩.

لكم ما لم يحرمه الله أو كل ما ليس خبيثاً في ذاته. ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: يحل لكم صيد ما علمتموه من الجوارح وهي الكواسب من سباع البهائم كالكلب والنمر، أو الكواسب من الطير كالصقر والعقاب والبازي. ﴿مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ المراد به الجوارح المعلمة، أي: التي علمها صاحبها وأدبها ورؤضها وعلمها كيف تعمل. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: تعلمونهنّ العلم الذي علمكم الله إياه بما تعرفونه بعقولكم حتى تكون هذه الجوارح تأتمر بما أمرت به، وتنتهي عما تنهى عنه. ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ المراد أنه متى ما كان الجارح قد تعلم وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه عند إرساله حل الصيد الذي اصطاده. وفي هذا روى عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إنى أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله فقال: (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك) قلت: وإن قتلن؟ قال: (وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره) قلت: فإنني أرمي بالمعروض الصيد فأصيب؟ فقال: (إذا رميت بالمعروض فخرق فكله وإن أصابه بعرض، فإنه وقيد فلا تأكله) (١). ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع ما أمرتم به من أكل الطيبات وتحريم ما حرم عليكم. ﴿إِنَّ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، برقم (١٩٢٩)، صحيح

اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾ أي: يجازي على الامتثال لأحكامه بالحسنى وعلى السيئات بالوعيد.

أحكام ومسائل الآية:

جواز سؤال من لا يعلم لمن يعلم بل يجب عليه هذا السؤال إذا كان مناطه أمور الدين التي خفيت عليه كما قال عز وجل ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١). ومن الأحكام: إباحة الصيد إذا كان الذي جرحه معلماً وذكر المرسل اسم الله عند إرساله وهذا يقتضي إباحة الصيد الذي صيد بسلاح حاد وذكر اسم الله عند إطلاقه.

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥)

بيان الآية:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ بعد أن بين الله جل ذكره ما حرم من الخبائث كالميتة، والدم، بين أنه أحل لعباده الطيبات وهي

(١) سورة النحل من الآية ٤٣ .

كل ما أباحه لهم وأباح لهم أكله. ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ قيل: إن المراد ذبائحهم وقيل: هو كل أطعمتهم فإذا كان المراد هو كل أطعمتهم فلا يدخل فيها ما ورد نص بتحريمه كالحم الخنزير، والخمر ونحو ذلك مما هو محرم على هذه الأمة. ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ أي: وطعام المسلمين حل لأهل الكتاب فلا منافاة. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: أحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: أنه أحل لكم المحصنات من نساء اليهود والنصارى، وقد تزوج بعض الصحابة من نساء أهل الكتاب، كحذيفة بن اليمان أخذاً بدلالة هذه الآية. ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: كما أحل لكم نكاح هذه المحصنات فقد وجب عليكم منحهن مهورهن. ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ﴾ أي: أن الشرط الأول في نكاح المحصنات يقابله شرط بالنسبة للأزواج وهو أن يكونوا عفيفين. ﴿غَيْرَ مُسَفِّحِينَ﴾ أي: غير زناة. ﴿وَلَا تُتَّخَذِ أَخْدَانٌ﴾ أي: صديقات أو عشيقات. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: أن من ينكر شرائع الإسلام، فيرتكب ما حرمه الله عليه، ويجتنب ما أحله. ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: خسر كل ما عمله من عمل صالح. ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ أي: أنه خسر أعماله السابقة فلم يكن له من عمله إلا الخسران.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير حلّ ذبائح أهل الكتاب إذا كانت مذكاة، ولا يلزم السؤال عما إذا كانوا قد سموا عليها أم لا؛ أما إذا كانت قد ماتت عن طريق الخنق أو الصعق فتعد ميتة حكمها حكم الميتة. ومن الأحكام في الآية: حلّ نكاح المحصنات من نساء أهل الكتاب مع شرط الإحصان للأزواج وعدم اتخاذهم صديقات أو أن يكونوا زناة؛ لأن الزاني يختص بالزانية.

قلت: ويحرم ما شاع في هذا الزمان من زواج المتعة، وزواج الصداقة، والصحبة، والزواج المؤقت بمرحلة معينة كزواج السفر، وزواج الراحة، وكل زواج يراد منه مجرد الاستمتاع؛ ذلك أن الله عظم أمر الزواج؛ لكونه أساس الأسرة التي هي أساس الأمة.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

بيان الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ في هذه الآية الأمر للمؤمنين بأنهم إذا قاموا إلى الصلاة وجب عليهم الوضوء إذا كانوا محدثين فإن كانوا غير محدثين لم يلزمهم ذلك. وقد روى بريدة عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر: يا رسول الله إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله قال: (إني عمداً فعلته يا عمر)^(١). وتجب النية عند الوضوء دون ذكرها باللسان، والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٢). كما تجب التسمية لقول رسول الله ﷺ: (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه)^(٣). ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ حد الوجه: ما بين منابت شعر الرأس إلى آخر اللحيين والذقن من الطول، ومن الأذن إلى الأذن من العرض، ويجب تخليل اللحية حتى يبلغ التخليل الجلد.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي: غسل اليدين مع المرفقين، بحيث

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء برقم (١٠١)، سنن أبي داود ج ١ ص ٥١، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التسمية عند الوضوء، برقم (٢٥)، سنن الترمذي ج ١ ص ٣٧، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التسمية، برقم (٣٩٧)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٣٩، والدارمي برقم (٦٩١)، سنن الدارمي ج ١ ص ١٨٧، وأحمد في المسند ج ٢ ص ٤١٨ .

يقوم المتوضئ بغسل عضده مع ذراعيه؛ لقول رسول الله ﷺ: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء)^(١). ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ومعناه: أن يمسح المتوضئ رأسه بيديه، فيقبل بهما ويدبر بادئاً بمقدمة رأسه، ثم الذهاب بهما إلى قفاه ثم يردهما حتى يرجع إلى المكان الذي بدأ منه. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ القراءة بنصب ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ والمراد غسلهما مع الكعبين، وهذا هو الأصل؛ لأن حكمهما معطوف على قوله ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ ومن قال بقراءتها بالكسر (وأرجلكم) قال بمسحهما؛ لأن الحكم معطوف على ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ والأصل في وجوب غسل الرجلين ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث منها: قوله عليه الصلاة والسلام: (أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار)^(٢). ومنها: ما رواه عمر بن الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره رسول الله ﷺ وقال: (ارجع فأحسن وضوءك)^(٣). وما رواه عبدالله بن عمرو قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر فأدركنا وقد أرهقتنا صلاة العصر

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، برقم (٢٥٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١١٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، برقم (١٦٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٣٢١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة، برقم (٢٤٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١١٧٧.

ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: (أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار)^(١).

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ أي: إذا جامعتم نساءكم أو احتلمتم وجب عليكم الغسل وهو قوله ﴿فَأَطْهَرُوا﴾.

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ سبق الحديث عن هذا في سورة النساء، والمراد هنا إباحة التيمم عند فقد الماء لمن ذكرهم الله، وهم: المريض، والمسافر، ومن جاء من الغائط، ومن لامس النساء؛ ذلك أن المريض غالباً ما يكون في حالة عجز لا يقدر على مباشرة الماء، أو لكون الماء يسبب له ضرراً لوجود جروح فيه. والسفر حالة استثنائية قد لا يتيسر فيها الماء للمسافر. والغائط: كل ما خرج من السبيلين من عذرة وغيرها. وملامسة النساء والمراد بها الجماع، فهذه كلها موجبات للتيمم عند فقد الماء ويكون ذلك بالتراب الطاهر الذي عبر الله عنه بالصعيد الطيب. ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ وفي هذا بيان لصفة التيمم وهي أن يضرب بكفيه على الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه في ظاهرهما وباطنهما مرة واحدة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٢١١، بدون ذكر «أسبغوا الوضوء»، والبخاري عن أبي هريرة في كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، برقم (١٦٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٣٢١.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: أن الله لا يريد أن يجعل عليكم حرجاً في دينكم بل يريد بكم اليسر. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: ينقيكم من الذنوب. ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أن ما يسره الله لكم من التيمم بالتراب من تمام نعمته عليكم، فلم يكلفكم ما لا تطيقون. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: يريد منكم أن تشكروه على هذه النعمة.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب النية في الوضوء وفي الطهارة عموماً؛ لأن من شروط العبادة النية، ولكن لا يلزم التلفظ بها، وإنما محلها القلب، ووجوب غسل الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل الذقن وغسل اليدين مع المرفقين، ومسح جميع الرأس؛ لما روي أن رسول الله ﷺ مسح رأسه حتى بلغ إلى قفاه، ومسح الأذنين كمسح الرأس، وغسل الرجلين مع الكعبين^(١) ولا عبرة لقول من قال بجواز مسحهما. ومن الأحكام في الآية: إباحة التيمم للمريض، والمسافر، والآتي من الغائط، والمجامع عند فقد الماء، بشرط أن يكون بتراب طاهر.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ، برقم (١١٨-١٢٣)، سنن أبي

بيان الآية:

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المراد بها نعمة الإسلام فهي أعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة. ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ أي: العهد والوعد الذي عاهد عليه رسول الله ﷺ المسلمين حين بايعهم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره كما حدث ذلك ليلة العقبة تحت الشجرة. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: المراد به حين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه وكان أول المبايعين له البراء بن معرور رضي الله عنه وقال حينئذ: فبايعنا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: الزموا تقواه فيما أمركم به ونهاكم عنه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما في قلوبكم.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب ذكر نعم الله على أمة المسلمين، وأول هذه النعم دين الإسلام والذي أرسل الله به نبيه ورسوله محمداً ﷺ. ومن الأحكام: وجوب ذكر الميثاق والعهد الذي تعاهد عليه رسول الله ﷺ مع صحابته، ومنهم: الأنصار حين بايعوه في ليلة العقبة؛ ذلك أن تذكر

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٩٦.

هذه النعم والعهود يجعل قلب العبد متعلقاً بالله وحريصاً على الوفاء بما عاهد عليه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ لما ذكر الله عز ذكره أنه أتم نعمته على عباده المؤمنين بالإسلام وذكرهم بالعهد والميثاق الذي تم بينهم وبين رسول الله ﷺ أمرهم أن يقوموا بالعدل، وإحقاق الحق لأهله، وأن تكون شهادتهم دون حيف ولا ظلم. وشاهده: حديث النعمان بن بشير قال: نحلني أبي نخلاً فقالت أُمِّي عمرة بنت ربيعة: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاءه

ليشهدده على صدقتي فقال: (أكل ولدك نحلته مثله؟) قال: لا، قال: (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) وقال: (إني لا أشهد على جور) قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة^(١).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا﴾ في هذه الآية: أمر من الله للمؤمنين ألا يحملهم بغضهم للمشركين على عدم العدل فيهم، سواء بالقضاء أو غيره. ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وهذا أمر عام للعدل في الكفار وغيرهم؛ لأن إقامة العدل مما يقرب للتقوى. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ توكيد على إقامة العدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم أعمالكم وسوف يجازيكم عليها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هذا وعد من الله ووعدده الحق بأن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله واتبعوا ما جاء به وعدلوا في أمورهم سوف يغفر لهم ذنوبهم، ولهم أجر عظيم هو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما وعد الله المؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم وعد الذين كفروا وكذبوا بآيات الله وما جاء به رسوله من الدلائل والبيانات ونقضوا عهودهم بأنهم سيكونون من أهل الجحيم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم (١٦٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٤١٧.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هُمْ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية ان رسول الله ﷺ اتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعلي يستقرضهم دية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما من المشركين فقال اليهود: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه وهموا بقتله وعمد عمرو بن جحاش إلى رحي كبيرة يريد طرحها عليه فأنزل الله جبريل وأخبره بما هموا به^(١). وقيل: إنها نزلت في غورث بن الحارث (الذي سبقت الإشارة إليه) حين نزل رسول الله ﷺ منزلاً وتفرق الناس يستظلون تحت الشجرة فعلق رسول الله ﷺ سيفه على شجرة فانحدر غورث من جبل قريب منه، فاستل سيف رسول الله وقال: من يمنعك مني؟ قال: (الله) قالها ثلاثاً فأغمد السيف أو سقط منه ونادى رسول الله ﷺ أصحابه فأخبرهم وأبى معاقبته^(٢).

﴿فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ أي: نجاكم مما كان يبيت لكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر منه عز ذكره لعباده بالتقوى؛ لأنها العاصمة من السوء. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد أن من وكل أمره إلى الله واتقاه عصمه من كل سوء وحفظه من كل شيطان وكان له ناصراً من كيد الكائدين وغدر الغادرين.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٤٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٣٦٥.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٣٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٣٦٥.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب العدل بين الناس، وأن تكون الشهادة بالقسط أي: بالعدل، وتحريم الشهادة على الظلم أو الجور، ووجوب العدل بين الناس كافة بصرف النظر عن ديانتهم، فكما يجب العدل للمسلم يجب العدل لغيره، وسوء معاملة الكافر للمسلم لا يوجب عدم العدل فيه، فلو قتل الأعداء أطفالاً للمسلمين لا يجوز قتل أطفالهم، ولو مثّلوا بأحد منهم لا يجوز التمثيل بأحد منهم؛ لأن الإسلام دين أدب وخلق ودين عدل ورحمة وليس دين ظلم وجور.

ومن الأحكام: تقرير وعد الله للمؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم، وتقرير الوعيد بالعذاب للكافرين والمكذبين. ومنها: وجوب ذكر نعم الله على عباده والالتزام بتقواه والتوكل عليه.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هذا بيان لما أخذه الله من الميثاق على بني إسرائيل أن يطيعوا نبيهم موسى. ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المراد به أن موسى عليه السلام أخذ من كل سبط من بني إسرائيل نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به فبعثهم ليطلعوا على قوة العمالقة (الجبارين) قبل غزوهم، فلما ذهبوا واطلعوا على قوتهم رأوا أنه لا قبلَ ولا طاقة لهم بهم، فاتفقوا على أن يخفوا ما رأوه عن بني إسرائيل وأن يعلموا به موسى وحده، فلما رجعوا إلى قومهم خان منهم عشرة فأبلغوا أقاربهم بما شاهدوه عن العمالقة فانتشر الخبر حتى اختلفوا فيما بينهم إلى أن قالوا: لن نذهب إلى قتالهم لجبروتهم وقوتهم وعليك يا موسى أن تقاتل أنت وربك. ومصادقه قول الله عز ذكره ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّآ لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (١).

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: سأكون لكم نصيراً ومعيناً إن أقمتُم الصلاة. ﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ وهذه من أركان الإسلام. ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ أي: جميعهم. ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾

أي: نصرتموهم. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: أنفقتم في سبيله زكاة أموالكم وصدقاتكم. ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: سوف أكفر سيئاتكم السابقة وأستر عيوبكم. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: ستكونون نزلاء الجنة. ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: من نقض الميثاق فقد أخطأ طريق الحق والهدى.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، وقد عظم الله أمرها في قوله عز وجل ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١). ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ووجوب الإنفاق في سبيل الله، والإيمان برسول الله كافة، وآخرهم وخاتمهم رسول الله محمد ﷺ.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤.

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

بيان الآيتين:

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ﴾ أي: بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم. ﴿لَعَنَهُمْ﴾ اللعن الطرد والإبعاد عن رحمة الله. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ المراد أنه بسبب هذا النقض وما ترتب عليه من لعن لهم صارت قلوبهم صلبة، لا تقبل الحق ولا تفعله. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: بسبب هذه القساوة في قلوبهم صاروا يؤولون الكتاب وآياته على غير حقيقتها. ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: نسوا ما جاءهم في التوراة من الآيات والبيانات، ومنها: صفة محمد ورسالته. ﴿وَلَا نُزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: خيانتهم بتحزبهم مع المشركين ضدك، وهمهم بقتلك، وخيانتهم للعهد الذي كان بينك وبينهم كما فعل أسلافهم مع أنبيائهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ أي: إن قلة منهم لم يخونوا مثل ما فعل الكثيرون منهم. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ قد يكون المراد الأمر بالعفو عنهم؛ لوجود العهد معهم، وقد يكون المراد العفو عن أمن منهم، وعدم مؤاخذتهم بما سبق منهم من

العداوة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إنه يحب الذين يعفون ويصفحون عند المقدرة.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾
لما ذكر الله جل ذكره أنه أخذ الميثاق على بني إسرائيل بين أنه أخذ
كذلك الميثاق على النصارى بأن يؤمنوا برسالة محمد ﷺ ويتبعوه.
﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: نسوا الإيمان بمحمد
ﷺ جهلاً وضلالاً وكفراً. ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾
أي: ألقينا بينهم العداوة فيما بينهم فأصبحوا فرقا متباينة متباعدة
ومعادية لبعضها. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أن هذه العداوة ستبقى
بينهم إلى أن تقوم الساعة ومصادقه قول الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: إن
الله سوف يبين لهم سوء عملهم وكفرهم ويجازيهم عليه.

أحكام ومصادق الآيات

تحريم نقض العهود وما يترتب على هذا من الطرد من رحمة
الله. وشاهده قول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٩ .

مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾. ومن الأحكام: بيان سلوك أسلاف
 اليهود في نقضهم ما عاهدوا نبيهم ﷺ عليه. ومنها: الذنب إلى العفو
 عند المقدرة. ومنها: بيان سوء سلوك النصارى وعدم إيمانهم برسالة
 رسول الله محمد ﷺ رغم ما أخذ الله عليهم من الميثاق في كتابهم
 فكان عدم إيمانهم بهذه الرسالة سبباً في تفشي العداوة بينهم. وهذا
 هو ما حصل في تاريخ المسيحية من الفرق المتناحرة من الكاثوليك
 والأرثوذكس والبروتستانت.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
 كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
 كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
 ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
 وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ المخاطب: هم اليهود والنصارى ﴿قَدْ﴾

جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴿١﴾ أَي: محمد ﷺ. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أَي: يبين ويظهر لكم ما كنتم تخفونه من كتبكم ومن ذلك ما ورد فيها من وجوب الإيمان به وبرسالته ومن ذلك الرجم للزناة وقصة أصحاب السبت ومسخهم قردة وخنازير. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أَي: أنه لم يبين لكم كل ما يعلمه عنكم وعن تاريخكم. وروي أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال: يا هذا قد عفوت عنا، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام ولم يبين، وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه فلما لم يبين له، قام من عنده وذهب وقال لأصحابه: أرى أنه صادق فيما يقول؛ لأنه كان وجد في كتابه أن لا يبين (١).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المراد به القرآن الذي أنزله الله ضياء للناس يبين لهم طريق الحق، ويبعدهم عن طريق الضلال.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ أَي: أن الله أنزل هذا القرآن؛ ليهدي به من آمن به واتبع مافيه. سُبُلُ السَّلَامِ أَي: طرق الهداية. وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَي: ينتشلهم من ظلمات الشرك والكفر ويهديهم إلى نور الحق والهدى.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أمر الله لأهل الكتاب اليهود والنصارى أن يؤمنوا برسالة رسول الله محمد ﷺ ويتبعوا ما جاء به كتاب الله. ومن الأحكام: أن من آمن بالقرآن وآمن برسالة رسول الله ﷺ يهديه الله إلى سبيل الحق ويخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١٧) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّواهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ (١٨) يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١٩)﴾

بيان الآيات:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

مَرَّيْمَ ﴿٣٧﴾ المراد بهؤلاء الكفرة: النصارى؛ فهم إن لم يقولوه على سبيل الاعتقاد فقد قالوه على سبيل المعنى حين اعتقدوا أنه يتصرف كتصرف الله من القدرة والتدبير. ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ﴾ أي: لا أحد يقدر على أن يرد الله إذا أراد أن يهلك المسيح وأمه وكل من في الأرض؛ ذلك أن هؤلاء كلهم مخلوقون، والله هو الذي خلقهم وكما أنه قادر على خلقهم فهو قادر على إهلاكهم. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تأكيد لربوبية الله، وأنه المالك المتصرف في السموات والأرض ومن فيهما. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يخلق بقدرته ذكوراً وإناثاً، ويخلق من الإناث الذكور ومن الإناث الإناث ويخلق الذكور من غير إناث كما خلق آدم، وخلق عيسى بالكلمة. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على كل شيء يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُمْ﴾ لما كان رسول الله ﷺ يدعو اليهود إلى الإسلام كان يخوفهم من عذاب الله إذا استمروا على كفرهم فردوا عليه ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُمْ﴾ واستدلوا على زعمهم الباطل أن الله أوحى إلى إسرائيل (أن ولدك بكرى من الولد)؛ لما ورد في الإنجيل حكاية عن عيسى (انذهبوا إلى أبي

وأبيكم) وقيل: إنهم استدلوا على زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ لكونهم أبناء رسل الله وهم بنوه، فرد الله زعمهم وكذبهم بقوله ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد: لو كنتم أبناء الله - وحاشاه أن يكون له ولد - لما عذبكم حين مسخكم قردة وخنازير. ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: قل لهم يا محمد: أنتم مجرد بشر خلقكم الله مثل خلقه. ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ إذا تاب من ذنوبه وأخلص في توبته. ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يعذب من يستمر على كفره. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: أنه الرب الواحد الأحد لا شريك له ولا ولد. ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع في الآخرة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ لما أنكر اليهود نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ قال لهم سعد بن معاذ ومعاذ بن جبل: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته. فقالوا: ما قلنا هذا لكم ولا أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل رسولا من بعده، فأنزل الله هذه الآية (١) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ والخطاب لليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم على فتر

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص ٣٦٩ .

مِّنَ الرُّسُلِ ﴿١﴾ المراد أن الله جل ذكره يقول لليهود والنصارى: لقد أرسلنا رسولا بعد فترة انقطاع الوحي بعد عيسى بأكثر من خمسمائة سنة وهذا الرسول هو محمد ﷺ يبين لكم دين الله بالبينات الدالة عليه حتى لا تقولوا ﴿٢﴾ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴿٣﴾ فبرسالته جاءكم بشير يبشركم برضا الله إن آمنتم به وأخلصتم العبادة له وحده وصدقتم رسوله وما جاء به من الكتاب الذي نسخ ما قبله من الكتب وينذركم بسوء العاقبة إن أنتم كذبتموه، وجحدتم، وعاندتم رسالته. ﴿٤﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ أي: في مجازاتكم على أعمالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من ينسب إلى الله الولد أو يتقول عليه بأنه من خاصته وتكذيب اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه فتنزه الله عن الولد وتقدسست أسماؤه وصفاته عما يقوله الظالمون وينسبونه إليه زوراً وبهتاناً. الحكم بأن عيسى وأمه من مخلوقات الله وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

الحكم بقيام الحجة على اليهود والنصارى بإرسال رسول الله محمد ﷺ إلى الناس كافة يبشرهم برحمة الله إذا أطاعوه وينذرهم عقاب الله إذا عصوه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ٢٠﴾ يٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٢١﴾ قَالُوا يٰمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾

بيان الآيات:

كان نبي الله موسى يدعو بني إسرائيل إلى طاعة الله واحترامهم للميثاق الذي أخذ عليهم، ويذكرهم بنعم الله عليهم بقوله ﴿يٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومن هذه النعم قوله ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ فكان بنو إسرائيل أكثر الأمم التي أرسل إليها أنبياء ولعل ذلك دليل على عدم امتثالهم وعدم طاعتهم، فأرسل الله إليهم العديد من الرسل لإقامة الحجة عليهم. ومن هذه النعم قوله ﴿وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا﴾ أي: جعل فيكم ملوكاً كثيرين. ﴿وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ والمراد أن الله أعطاهم ما لم يُوْتِ أحداً من العالمين

في زمانهم. ومن ذلك: إغراق فرعون، وإنزال المن والسلوى عليهم لما كانوا في التيه، والغمام الذي ظللهم الله به.

ثم قال لهم: منادياً ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أي: الأرض المطهرة المباركة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كتب لكم دخولها فقوموا بذلك وافتحوا المدينة. ﴿وَلَا تُرْثَدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ﴾ أي: لا تنكصوا وترجعوا على أعقابكم عن قتال الجبارين أهل الأرض. ﴿فَنَنْقَلِبُوكُمْ خَسِرِينَ﴾ في دينكم ودنياكم.

قيل: إنهم لما خرجوا من مصر لقتال أهل الأرض المقدسة بعث موسى اثني عشر نقيباً من كل سبط منهم؛ ليتحسسوا واقع الجبارين فيها وقوتهم، ولما رأوا ما رأوه من شدتهم أخبروا قومهم عن بأسهم وما يتميزون به من طول الأجسام وفخامتها، فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقالوا: ياليتنا متنا في مصر ولم نخرج منها وقالوا لبعضهم: دعونا نرجع إلى مصر؛ لأنه لا قبل لنا بهؤلاء الجبارين^(١).

وشاهد هذا قول الله على لسانهم ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المراد بهم العمالقة. ﴿وإِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ أي: لن ندخل هذه الأرض ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: يتركوها لنا بلا قتال منا؛ وذلك لخوفنا منهم. ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ أي: إن

(١) معالم التنزيل ص ٣٦٨ .

خرجوا منها وتركوها لنا دخلناها وكان هذا مستحيلاً إذ إنهم أمروا بالقتال لدخولها، فلما لم يفعلوا عصوا أمر نبيهم.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ قيل: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما من عداد النقباء الاثني عشر يخافون الله^(١).
 ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالإيمان أو بالصلاح في أمرهما ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ أي: لا تخافوا؛ فإنكم إذا دخلتم باب البلدة المقدسة فستغلبون العمالقة؛ لأنكم مؤمنون وهم غير ذلك. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كنتم مؤمنين ومصدقين بوعد الله لكم فسوف تغلبونهم، ولكنهم رغم موعظتهم ظلوا على خوفهم وجبنهم وعصيانهم لأمر نبيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان سلوك اليهود وعصيانهم لنبيهم موسى وما اتصفوا به من الخوف من القتال، وتهويل نقبائهم لشأن عدوهم العمالقة مما جعلهم يرتدون على أدبارهم ويبكون خوفاً من عدوهم. وهذا يقتضي سوء عاقبة الكذب عن شأن العدو، وتهويل قوته. ومن مسائل الآية: أن الأمم رغم ما قد يكون فيها من الإثم لا تخلو من مصلحين ومؤمنين بالله يأتَمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

(١) زاد المسير في علم التفسير ص ٣٧١ .

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ
 وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
 نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا
 مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى
 الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

بيان الآيات:

رغم هذا النصح لهم من رجلين صالحين منهم ورغم دعوة موسى لهم
 ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ وهذا نفي قاطع
 منهم بألا يدخلوها أبداً ما دام العمالقة فيها. ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ
 فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ أي: كما تأمرنا بقتال الجبارين عليك
 أنت وربك أن تذهباً وتقاتلاً وحدكما. وفي هذا سوء أدب مع الله جل ذكره
 (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

﴿قَالَ رَبِّ﴾ لما عجز نبي الله موسى عنهم وتأكد له أنهم لن
 يقاتلوا لجأ إلى ربه قائلاً ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يقصد
 أخاه هارون أي: إني لست قادراً على إقناعهم، ومالي فيهم من حيلة.
 ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا تؤاخذني وأخي
 بما فعل هؤلاء، فاجعل بيننا وبينهم فرقاً في المعاملة؛ لأنهم عصوك
 ونحن طائعون لك.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي

الْأَرْضِ ﴾ لما دعا موسى عليهم استجاب الله له فتركهم يتيهون في الأرض أي: صاروا متحيرين في قطعة من الأرض يبدؤون فيها من حيث انتهوا، وكان الغمام يظللهم من وهج الشمس، وينزل عليهم المن والسلوى، ومع أن هذه نعمة من الله عليهم مع أنهم عصاة إلا أنهم لم يشكروها، والله جل ذكره يرحم عباده، ولو كانوا عصاة لعلهم يرجعون إليه، فهو ذو رحمة واسعة ولو يؤاخذ عباده بما كسبوا ما ترك على الأرض من دابة تمشي عليها، ولكنه يرحمهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى. ولما كان الله قد حرم عليهم الأرض المقدسة لم يدخلوها، وقيل: إنهم دخلوها بعد انتهاء مدة التيه، وقيل: إن هؤلاء بادوا جميعاً، وإن الذي دخلها هو يوشع بن نون وبعض من أصلاهم. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ في هذا تسلية لموسى عليه السلام فيما أصابه من قومه، أي: لا تكن أسفاً عليهم فإنهم سيلقون جزاء فسقهم وعصيانهم.

قلت: ومن ذلك الحين تفرق بنو إسرائيل أشتاتاً في الأرض فما من بلد إلا وفيها منهم، ورغم ما فرضته الأمم لهم في فلسطين بعد قسر أهلها وظلمهم، إلا أن بني إسرائيل لا يزالون متفرقين، منهم: من ذاب في الشعوب فأصبح منهم، ومنهم: من تمسك بادعائه

اليهودية، وقد دخل فيهم أقوام ليسوا منهم تأثروا بدعاواهم عن أنفسهم حين جعلوا لهم راية الصهيونية ينطلقون منها في تعزيز دور سياسي لهم، كحال الخزر الذين جاؤوا إلى فلسطين بحجة يهوديتهم وهم ليسوا كذلك، والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، وله في كل خلقه شؤون.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أخلاق أسلاف اليهود مع ربهم ونبيلهم بقولهم له ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾. ومن الأحكام: وجوب البراءة من المعرضين عن أوامر الله من أهل الفسق ونحوهم. ومنها: عدم جواز الأسى والحزن على أهل الظلم والفسق إذا تعرضوا لنقمة الله.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى

أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
النَّدَمِينَ ﴿٣٦﴾

بيان الآيات:

لما قص الله على نبيه محمد ﷺ قصة اليهود مع نبيهم موسى كان ذلك تسلياً له عما أصابه منهم أثناء دعوتهم إلى الله حين شتموه وآذوه وسخروا من دعوته، بل وهمّوا بقتله ودسّوا السم له، ذكر قصة ابني آدم قابيل وهابيل وما تعرض له هابيل من ظلم أخيه قابيل له بقتله، وهذا الظلم مشابه لفعل اليهود وظلمهم وعصيانهم لنبيهم موسى ثم عصيانهم لرسول الله محمد ﷺ فقال عز وجل لنبيه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ أي: حدثهم عن قصة قابيل مع أخيه هابيل، وأن قتل قابيل لأخيه هابيل كان ظلماً وأن عاقبة القاتل النار. والمراد: حدثهم بهذه القصة وذكرهم ما حصل منهم نحوك من همهم بقتلك، وأن الله نجاك وأنت كنت معهم رحيماً وقد وفيت بعهدك معهم. ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ أي: إن كلا منهما قرب قرباناً فكان قربان أحدهما وهو هابيل أزكى من قربان أخيه قابيل؛ ذلك أن من حكم الله في الأمم الغابرة أن من قرب قرباناً إلى الله فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فتحرقه ومن لم يتقبل قربانه يترك. ﴿قَالَ لَا قُنْلَنَّكَ﴾ وكان هذا حسداً وحقداً فقال

هابيل: ولم تقتلني وأنا لم أرتكب محرماً؟ وقبول الله لقرباني؛ لأنني اتقيته. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ أي: إن أردت يا قابيل أن تمدّها ﴿لِنَقْتُلَنَّكَ﴾ دون ذنب مني ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي: أنه امتنع عن قتل أخيه مع أنه كان يعرف أنه قاتله. فإن قيل: ولماذا لم يقتله دفاعاً عن نفسه؟ قيل: إن الدفاع عن النفس لم يكن جائزاً في ذلك الوقت. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: إني أتورع عن قتلك خوفاً من عقاب الله؛ لأنه لم يأمرني بالدفاع عن نفسي. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ أي: إنك إذا قتلتني سوف يترتب عليك إثم قتلي ظلماً، والإثم الذي كان يلزمني لو كنت أنوي قتلك فأنت بهذا سوف تحمل الإثمين معاً. وشاهده قول الله جل ذكره. ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(١). ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: أنك بقتلك إياي ظلماً سوف تكون من أصحاب النار. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن النار هي الجزاء لظلمك إياي. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه سن القتل أولاً)^(٢).

(١) سورة العنكبوت من الآية ١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب إثم من دعا إلى الضلالة أو سن سنة سيئة، برقم (٧٣٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣١٤ .

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ أي: سولت وحسنت له قتل أخيه فقتله.
 ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: من الخاسرين في الدنيا بقتله رَحِمَهُ
 ومن الخاسرين في الآخرة؛ لما يناله من العذاب المضاعف لأن كل قتل في
 الدنيا عليه وزر منه؛ لكونه أول من سنّه.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ لما قتل قابيل أخاه هابيل جهل ما يفعل
 به وقد رويت روايات كثيرة في قصته، فقليل: إنه تركه في العراء
 وقيل: إنه حمله خوفاً عليه من السباع والواضح أنه لم يعرف كيف
 يتصرف في جثته فأرشده الله ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ
 لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: دله على الطريقة التي يدفن
 بها أخاه في الأرض، فلما رأى ما يفعل الغراب بالبحث في الأرض
 رأى أن يقلده فيما يفعل فقال في نفسه ﴿يَكُونَلَيْتَ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ أي: لماذا لا أكون مثل هذا
 الغراب فأدفن في الأرض عورة أخي كما فعل الغراب. ﴿فَأَصْبَحَ
 مِنَ النَّادِمِينَ﴾ أي: أنه فكر فيما فعل بأخيه فتحسر في نفسه عليه
 وأصابته الندامة على ما فعل.

قلت: وهذا في كل خطيئة يفعلها الإنسان من قتل وغيره، وذلك
 حين يغويه الشيطان على فعلها فينزع به ضعف الإيمان إلى الخطيئة
 ثم يجد نفسه بعد فعلها تتحسر ندامة على ما فعل. وإذا كانت هذه

الخطيئة في حق الله فإن مرتكبها قد يلجأ إلى الله بالتوبة فيتوب عليه إذا صلحت توبته، أما إذا كانت في حق غيره كما في حال القتل والظلم واغتصاب الحقوق والأعراض وقتل النفس فإن الحكم في ذلك هو القصاص، إما في الدنيا، أو في الآخرة وفي كلتا الحالتين: يندم الفاعل حين يجزى على ما فعل.

أحكام ومسائل الآيات:

ندب التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة كالبر والإنفاق في سبيله، والصدقة على الفقراء والمحاويج، وذبح الأضاحي ونحو ذلك من أعمال الخير. ومن الأحكام: الحكم بأن الحسد من أشد الخطايا حيث يدفع بالحاسد إلى قتل من حسده، إما بقتله مباشرة كما فعل قابيل مع أخيه هابيل أو بقتله بعينه. والأصل فيه قول رسول الله ﷺ لأحد الصحابة لما أصاب صاحبه بعين: (ألا بركت، إن العين حق)^(١).

ومنها: الحكم بوجوب دفن الميت لمواراة عورته، وتحريم تركه دون دفن. والأصل فيه إرشاد الله لقابيل للكيفية التي يدفن بها أخاه. الحكم بأن القاتل يكون خاسراً ويستوفى منه القصاص في الدنيا أو في الآخرة.

(١) قال رسول الله ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»، أخرجه مسلم في كتاب الطب، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٨٧٩.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا
بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

بيان الآية:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: بسبب هذه الجريمة الشنعاء من قتل
قابيل لأخيه هابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: شرعنا أو
أوحينا وقد يكون فرضنا على بني إسرائيل؛ وذلك لكثرة القتل فيهم
وقتلهم للأنبياء ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من قتل
نفساً على غير قصد الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قتلها
بسبب ظلم كقطع الطريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾
أي: أن من يقتل نفساً ظلماً فكأنه قتل كل الناس. ذلك أن كينونة
الواحد وكرامته عند الله مثل كينونة الجماعة وكرامتهم عنده كما
قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَّ آدَمَ﴾ (١) فمن يقتل أحدهم يكون آثماً
كمن قتل كل الناس. وقد يقال: إن هذا مجاز؛ لأن قتل نفس واحدة
ليس كقتل الناس كلهم على وجه الحقيقة. وأياً كان الخلاف حول

(١) سورة الإسراء من الآية ٧٠.

المراد فإن عقوبة القتل عظيمة، وقد اقتضى عظمها تشديد العقوبة حقيقة ومعنى؛ لأن من يستهين بنفس واحدة يستهين بغيرها من الأنفس. وقد روى أبو هريرة قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قلت: لا. قال: فإنك إن قتلت واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً، فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور. قال: فانصرفت ولم أقاتل^(١).

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ والمعنى في ذلك واحد، أي: أن من أنقذ نفساً بالكف عن قتلها فكأنه أحيا الناس جميعاً؛ لأنهم سلموا من شره فهو على سبيل التشبيه كأنه أحياهم لأن حرمة النفس الواحدة وكرامتها مثل حرمة وكرامة الأنفس كلها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المراد بهم اليهود وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما تعرض له من التآمر عليه من أسلاف اليهود بقتله والمراد أن الله جل ذكره يقول لرسوله: إن هؤلاء سبق أن جاءتهم رسلنا بالبينات التي تدلهم على الخير وتنهاهم عن الشر ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْسْرِفُونَ﴾ أي: أنه رغم ما جاءهم من البينات، إلا أن الكثير منهم ظالمون ومستمرئون للشر والفساد.

(١) سيرة أعلام النبلاء للذهبي ج ٢٨ ص ٢٠٤.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتعظيم أمر النفس وشناعة التعرض لها بالقتل؛ فمن يقتل نفساً واحدة كأنه يقتل كل الناس؛ لأن التعدي على حرمة النفس تعدُّ على حرمة الله الذي خلقها وخلق كل الناس، والحال كذلك بالنسبة لمن أحيأها. ومن مسائل الآية: بيان الله أنه أرسل الرسل إلى بني إسرائيل بالبينات والهدى ومع ذلك كان الكثيرون منهم مسرفين في الفساد.

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ محاربة الله ورسوله بارتكاب حرماته، وقد نزلت هذه الآية في العرنيين فيما روي أن قوماً من عكل أو من عرينة قدموا على رسول الله ﷺ فاستوخموا المدينة، فأمر لهم عليه الصلاة والسلام بلقاح وأمرهم أن يشربوا من

أبوال إبل الصدقة وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم فأرسل في أثرهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم واقتص منهم مثل ما فعلوا بالراعي^(١).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ والمراد أن من قَتَلَ قَتْلًا، ومن قتل وسلب المال وأخاف الناس قتل وصلب^(٢). ومن أخذ المال قطعت يده؛ لأخذ المال ورجله؛ لإخافته للسبيل، ومن أخاف السبيل نفي من الأرض. وهذا حكم عام في كل من يقطع الطريق. ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: أن قتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم فيه ذل ومهانة لهم في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: يدخر لهم الله العذاب الشديد لقاء عدوانهم وجراتهم على حدوده.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ هذا استثناء من الحكم فيما مناطه عقوبة قطع الطريق وهو ما يسمى الحق العام فالإمام فيه بالخيار، إن شاء عاقب فاعله، وإن شاء عفا عنه، وقد روي أن علياً الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الأئمة والعامّة، فامتنع ولم يقدرُوا عليه حتى جاء تائباً وذلك أنه سمع رجلاً

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٤٠، والقصة أخرجها مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين، برقم (١٦٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٥٧٣.

(٢) هذا هو رأي الجمهور من العلماء.

يقرأ هذه الآية ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فغمد سيفه ثم جاء تائباً حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في غمار أصحابه، فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا إليه فقال: لا سبيل لكم علي جئت تائباً من قبل أن تقدروا علي. فقال أبو هريرة: صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال: هذا علي جاءنا تائباً ولا سبيل لكم عليه ولا قتل، فترك من ذلك كله. قال: وخرج علي تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر فلقوا الروم فقربوا سفينته إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت به وبهم فغرقوا جميعاً (٢).

أما ما مناطه القتل والجراح والسرقة أو ما يسمى بالحق الخاص: فهذا حق للأولياء ومنه: القصاص، ولا يسقط إلا إذا عفوا عنه. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب التائبين ويرحمهم إذا صدقوا في توبتهم.

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٢٢٣ .

أحكام ومسائل الآيتين:

هذه الآية: في الحراة وهي إشهار السلاح، والخروج على ولي الأمر؛ قصد السلب، وإخافة الطريق، ولولي الأمر الخيار فيما يراه لتأمين الطريق، وتأمين الناس وحفظ أموالهم وأرواحهم، فقد يرى المصلحة في سجن المحارب، وقد يراه في حكم الآية، فمن قُتِل قُتِل، ومن قُتِل وأخذ المال وأخاف الناس قُتِل وَصُلِبَ، ومن أخذ المال وأخاف السبيل قطعت يده؛ لأخذه المال ورجله؛ لإخافته السبيل، ومن أخاف السبيل فقط نفي، ومن تاب قبل القدرة عليه عُفِيَ عنه ما لم يكن أخذ مالا؛ فإنه يرده إلى أهله.

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ^(٣٧)

بيان الآيات:

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا نداء للمؤمنين يقتضي الأمر ^(٣٥) اتَّقُوا اللَّهَ ^(٣٦) أي: الزموا طاعته واتركوا نواهيه. ^(٣٧) وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

الْوَسِيلَةَ ﴿١﴾ أي: اطلبوا كل ما يتقرب به إليه من الأعمال الصالحة، والوسيلة: أعلى درجة في الجنة وفيها قال رسول الله ﷺ: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (١).

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ ﴿٢﴾ هذا أمر آخر للمؤمنين بأن يجاهدوا المشركين والكفار ومن في حكمهم ممن يحارب الله ورسوله. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ أي: لعلكم تبلغون الدرجة التي أعدها الله للمجاهدين وهي السعادة في الآخرة.

قلت: والجهد حكم قائم إلى أن تقوم الساعة وإن لم تستطع الأمة القيام به في ظرف من ظروفها؛ لعجز في طاقاتها أو وسائلها إلا أنه حكم قضى به الله وأوجبه عليها، فهي مسؤولة عنه يوم تشهد على الأمم التي كانت قبلها ويشهد عليها رسولها محمد ﷺ كما قال عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم (٣٨٤)، صحيح

مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٥١١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في

هذا وعيد شديد للكافرين، فلو جاء أحدهم بكل ما في الأرض وضعفه -وهذا مستحيل- لكي يفتدي به من العذاب الذي يواجهه ما قبل منه وشاهده أيضاً: قول رسول الله ﷺ: (يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك) (١). ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد الألم.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخَرِّجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾

المراد أن الكفار حينما يلاقون من العذاب وحر جهنم يريدون الخروج منها، ولكنهم لا يستطيعون الخروج. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يُخَرِّجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (٢). ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم لا ينقطع.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجب على العبد تقوى الله وطاعته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، كالجهاد في سبيله، وهذا مطلب قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن الأحكام: وجوب التوسل إلى الله بالأعمال

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم (٦٥٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٧.

(٢) سورة الحج من الآية ٢٢.

الصالحة. ومنها: استحالة الفداء يوم القيامة من العذاب وتقرير خلود الكفار في العذاب يوم القيامة.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءُ بِمَا كَسَبَا فُكْلًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ
اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالسَّارِقُ﴾ من يأخذ المال خفية من حرز بمقدار ربع دينار
فأكثر ﴿وَالسَّارِقَةُ﴾ كذلك. وهذه الآية ذات صلة بما قبلها، فلما بين
الله عقوبة المحارب بين عقوبة السارق بياناً واضحاً؛ لما يجب من
حفظ أرواح الناس وأموالهم بوصف انتهاكها انتهاكاً لحرمت الله.
﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

قلت: وقد يقال: لماذا القطع؟ ولماذا هذه العقوبة الشديدة؟ كما
يصفها الذين يصعب عليهم فهم أحكام الله وحكمته في خلقه أو
يصفها الذين يريدون النيل من الإسلام؟ فيقال لهؤلاء: إن الله لما خلق
الإنسان لعبادته جعل المال أحد الوسائل التي يستعين بها في حياته

إلى أن يبلغ أجله المسمى، ومن حكمة الله: أن قضي لصاحب المال باختصاصه فيه؛ ذلك أنه لما جمعه بجهد أصبح حقه فيه على وجه الإطلاق، فلا يجوز إذاً لغيره أن يتعدى عليه دون إذنه فإن تعدى عليه صار له حق الدفاع عنه.

والدفاع عن الأنفس والأموال والأعراض من واجبات الولاية، وهذه تستمد أحكامها مما أمر الله به، ولأن الله بحكمته قضي أن منع السرقة لا يكون إلا بهذه العقوبة، فقد وجب على عباده القضاء بها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١). ولو كانت عقوبة السارق على نحو أخف مما يقوله الجاهلون بحكم الله لكانت السرقة أمراً سهلاً، وكان الناس يتنازعون ويقتتلون من أجل حفظ أموالهم فتستباح عندئذ حرمان فيحامي الأقوياء أموالهم وتستباح أموال الضعفاء فحكم الله وحكمه الحق أن تكون عقوبة السرقة هي القطع ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢).

﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: إن قطع أيديهما؛ جزاء لتعديهما على أموال الناس ونكال لهما وعبرة لغيرهما فتمنعه هذه العقوبة من السرقة. وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي أَمْرِهِ حَكِيمٌ في شرعه.

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي: من تاب بعد سرقة وأخلص توبته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ وفي هذا وعد منه جل ذكره بقبول توبته. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده سيئاتهم ويرحمهم إذا أنابوا إليه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولكل واحد من عباده أن الله هو المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده إذا سرق ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده إذا تاب من السرقة وأصلح. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم السرقة؛ لما فيها من التعدي على حقوق الناس، وعقوبتها: القطع ويكون القطع في ربع دينار فأكثر؛ لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً)^(١).

ومن الأحكام في الآية: قبول توبة السارق. وتقبل هذه التوبة قبل بلوغ جرمه إلى الحاكم، فإذا بلغه وجبت العقوبة، والأصل فيه حديث

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب قول الله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ برقم (٦٧٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٩٩.

عائشة رضي الله عنها أن قریشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ قالوا: فمن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فيها، فتلون وجه رسول الله وقال: (أتشفع في حد من حدود الله عز وجل؟) فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فخطب في الناس وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها. قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ^(١). ومن أحكام الآيات: أن الحكم لله وحده لا ينازعه فيه منازع، فهو في حكمه للشارق أعلم وأرحم بخلقه.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، مختصراً برقم (٦٣٨٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٨٩.

هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ فَاِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٠﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

بَيْنَ الْيَهُودِ

﴿لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ المخطب رسول

الله ﷺ والمراد لا تهتم بأولئك المنافقين وتهافتهم على الكفر. مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ أَي: هؤلاء الذين يكذبون فيقولون بالسنتهم آمنا وصدقنا. وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ أَي: أن قلوبهم لم تؤمن بل هي خاوية وخالية من الإيمان. وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَي: ولا تهتم، ولا تبال، ولا تحزن على اليهود الذين يسمعون الكذب من أحبارهم، وما يقولونه من الافتراء على الله. سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ أَي: أن

هؤلاء اليهود الذين يسمعون الكذب من أحبارهم يأتون إلى مجلسك ليسمعوا ما تقول؛ لينقلوه إلى اليهود الآخرين الذين لم يأتوا إلى مجلسك. والمراد بهم بنو قريظة كانوا يأتون إلى مجلس رسول الله ﷺ ليسمعوا ما يقول ليبلغوه إلى يهود (خير) و(فدك)^(١)، لكونهم جواسيس وعيوناً لهم.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يؤولون ويبدلون الكلام ويحرفونه عن حقيقته. ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾ أي: إن أفتاكم محمد بهذا الكلام الذي قلناه فخذوه؛ لأنه الحق وإن أفتاكم بخلافه فلا تعملوا به؛ لأنه باطل. وشاهد هذا ماروي أن رجلاً وامرأة منهم زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟) قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة، فأتوا بها فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده

(١) قرية من أكبر قرى خيبر تقع في شمال خيبر كان يسكنها طائفة من اليهود، ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر في السنة السابعة من الهجرة، سارع أهل فدك إلى طلب الصلح وأن يسيرهم ويحققن دماءهم ويخلوا له الأموال فوافق ﷺ فكانت فدك خالصة له لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري ج ١ ص ٣٢٦.

وتسمى فدك اليوم «الحائط» فيها مركز حكومي ومحكمة ومدارس، وطريقها إلى المدينة على طريق النخيل والصويدرة ثم المدينة وأرض فدك مقسمة بين السكان كأية قرية أخرى، معجم معالم الحجاز لعاتق بن غيث البلادي ج ٧ ص ٢٨.

فإذا آية الرجم فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما^(١).

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾
أي: إن من أراد الله إضلاله بسبب إعراضه عن الله وتحريفه لكلامه
فلن تملك له من الله شيئاً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ
قُلُوبَهُمْ﴾ أي: بسبب أعمالهم الظالمة وجحودهم لدين الله، وكتابه،
وحسداهم، وعنادهم، وتآمرهم على رسوله لم يطهر الله قلوبهم. ﴿لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: يلحقهم في الدنيا الذل والمهانة. ﴿وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿سَمِعُوتَ لِلْكَذِبِ﴾ توكيد لحال اليهود المشار إليهم
في الآية السابقة. ﴿أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾ السحت: الرشا أو الربا
أو كل مال حرام وسمي سحتاً؛ لأنه عديم البركة فيسحته الله أي:
يمحقه. وشاهده من السنة قول رسول الله ﷺ: (إنه لا يربو لحم نبت
من سحت إلا كانت النار أولى به)^(٢). ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ
أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ أي: إذا جاءك أهل الكتاب وطلبوا منك أن تحكم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط، برقم (٦٨١٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ١٣١.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة، باب ما ذكر في فضل الصلاة، برقم (٦١٤)، سنن الترمذي ج ٢ ص ٥١٢، والدارمي في كتاب الرقاق، برقم (٢٧٧٦)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٠٩، وأحمد في المسند ج ٣ ص ٣٢١.

بينهم فأنت مخير بين أن تحكم بينهم، أو لا تحكم. وقيل: إن هذه الآية منسوخة لقول الله تعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(١). وإن تُعْرَضَ عَنْهُمْ فَلَئِنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا أي: أنهم حين أرادوا التحاكم إلى رسول الله ﷺ كانوا يريدون أن يحكم لهم بما يوافق أهواءهم، فإذا أعرض عنهم فسوف يكون ذلك عسيراً عليهم وقد يتعرضون له جزاء إعراضه عنهم فذكر الله له أنهم لن يضروه؛ لأن الله هو الذي يحميه من شرورهم. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: إن اخترت أن تحكم بينهم فيكون حكمك عليهم بالعدل؛ ذلك أن بني النضير يدعون أنهم أشرف من بني قريظة، فإذا قتل رجل من قريظة رجلاً من بني النضير قتل به، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة أعطى ذويه الدية، فلما قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة قال هؤلاء: أعطونا القاتل لنقتله، فقالوا: نتحاكم عند محمد، فنزلت هذه الآية. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: الذين يقولون الحق وبه يعدلون.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ أي: إن من العجب أنهم يحكمونك في الزناة وهم لا يصدقونك مع أن الحكم لديهم في التوراة. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يعرضون عن الحكم

(١) فتح القدير للشوكاني ص ٤٤٢، والآية في سورة المائدة من الآية ٤٩ .

الذي حكمت به وهو الرجم مع أنه موافق لما جاء في التوراة التي بين أيديهم. ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنهم ليسوا بمؤمنين بما حكمت به، ولا بما عندهم في التوراة، وإنما يريدون الحكم بأهوائهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم تحريف الكلام، أو تأويله، أو تبديله عن مواضعه. ومن الأحكام: أن لأهل الكتاب المقيمين بين المسلمين أن يتفقوا بينهم فيما مناطه أحوالهم الشخصية، كالزواج، والإرث، ونحو ذلك؛ أما ما يتعلق بالقضايا العامة فيرى الإمام أبو حنيفة: أنهم إذا احتكموا إلى المسلمين حملوا على حكم الإسلام، فلو زنى أحدهم بمسلمة أو سرق أقيم عليه الحد، وإن كان الزانيان من أهل الذمة فليس عليهما حد، وهو مذهب الإمام مالك^(١). وفي قول للإمام أبي حنيفة: يجلدان ولا يرجمان^(٢). ويرى الإمام الشافعي وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة وأبو ثور: إذا أتيا راضيين بحكم الإسلام فعليهما الحد^(٣).

قال ابن خويز منداد: «ولا يرسل الإمام إليهم إذا استعدى بعضهم على بعض، ولا يحضر الخصم مجلسه إلا أن يكون فيما يتعلق بالمظالم التي ينتشر منها الفساد كالقتل، ونهب المنازل، وأشباه

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٤ ص ١٦، وحاشية الدسوقي لمحمد عرفة الدسوقي ج ٤ ص ٣١٤-٣٢١.

(٢) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٤ ص ١٦.

(٣) مغني المحتاج للشربيني الخطيب ج ٤ ص ١٤٧، وحاشية ابن عابدين ج ٤ ص ١٦.

ذلك. فأما الديون والطلاق وسائر المعاملات: فلا يحكم بينهم إلا بعد التراضي والاختيار، وله ألا يحكم ويردهم إلى حكامهم فإن حكم بينهم حكم بحكم الإسلام، وأما إجبارهم على حكم المسلمين فيما ينتشر منه الفساد، فليس على الفساد عاهدناهم وواجب قطع الفساد عنهم منهم ومن غيرهم؛ لأن في ذلك حفظ أموالهم ودمائهم ولعل في دينهم استباحة ذلك فينتشر منه الفساد بيننا ولذلك منعناهم من بيع الخمر جهاراً، وأن يظهروا الزنى وغير ذلك من القاذورات؛ لئلا يفسد بهم سفهاء المسلمين، وأما الحكم فيما يختص به دينهم من الطلاق والزنى وغيره، فليس يلزمهم أن يتدينوا بديننا وفي الحكم بينهم - بذلك - إضرار بحكامهم وتغيير ملتهم وليس كذلك الديون والمعاملات؛ لأن فيها وجهاً من المظالم وقطع الفساد»^(١).

ومن الأحكام في الآية: وجوب العدل في الحكم سواء كان الخصم مسلماً أم غير مسلم.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٨٥ .

وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

بيان الآية:

قوله ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ أي: فيها بيان للحق لما أنزلت على موسى، وهذا من مدح الله له عليه السلام وللذين جاؤوا من بعده من النبيين الذين أسلموا واتبعوه ولم يعصوه. ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: حكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى على الذين هادوا وهم اليهود الذين انقادوا واستجابوا لما جاء به النبيون من بعد موسى. ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ أي: يحكم بها أيضاً أهل العلم والمعرفة من بني إسرائيل ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: بما حفظهم به أنبياءهم للكتاب دون تبديل أو تحريف فيه. ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: كان هؤلاء شهداء على الكتاب بمعنى رقباء وأمناء عليه من التبديل والتحريف .

ولعل المعنى الإجمالي للآية هو: أن النبيين من بني إسرائيل من بعد موسى حكموا بأحكام التوراة على الذين هادوا دون تبديل أو تعديل فيها كما أن الربانيين والأحبار من بني إسرائيل حكموا بالتوراة بسبب استحفاظهم لها كما نزلت فلم يبدلوا فيها ولم يحرفوا، وأنهم

أي: النبيين والربانيين والأحبار كانوا عليها شهداء من التبديل خلافاً لليهود الذين حرفوها، وبدلوا فيها حسب أهوائهم كما حدث في آية الرجم التي أخفوها .

﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ وهذا أمر لليهود بأن لا يخشوا الناس في إظهار ما ورد في التوراة من صفة محمد ﷺ وصدق رسالته وإظهار آية الرجم. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فيه إشارة إلى تأويلهم للأحكام؛ لأخذ الرشى عليها أي: لا تخفوا أحكام الله من أجل عرض من الدنيا تأخذونه، أو مجاملة لأحد منكم كما فعلتم بعدم رجم الزاني والزانية؛ لكونهما من أشرافكم كما تدعون. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: إن من يعطل أحكام الله، أو يحكم بهواه فهو كافر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من حكم بغير ما أنزل الله كالذي يحكم بهواه أو يشرع خلاف شرع الله، فهو كافر؛ فإن كان هذا الحكم عن قصد وعلم فهو كفر محض يخرج عن الملة. وإن كان عن معصية فهو ذنب أمر العفو عنه، أو عقابه إلى الله.

﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ
فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

بيان الآية:

﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: وفرضنا عليهم فيها أن ﴿النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ﴾ أي: تقتص بها. ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ أي: تؤخذ
بها. ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ أي: يجده به. ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾
أي: تقطع بها. ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ أي: إن كان الاعتداء كسراً كسرت
السن وإن كان قلعاً قلعت. ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: يتساوى
بعضها في القصاص. ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾
أي: من تصدق على من جنى عليه، ففي هذه الصدقة تكفير لذنوبه،
وإن لم يتصدق بأن اقتص ممن جنى عليه يكون قصاصه ممن جنى
عليه مقابل جنايته. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾ أي: المعاندون لأمر الله المعارضون لأحكامه.

تكملة ومفسر الآية:

بين الله تعالى أن النفس تقتل بالنفس ثم بين القصاص في أساسيات
الأعضاء وهي: العين، والأنف، والأذن، والسن. ثم بين أن في الجراحات

القصاص أي: تقتص الجراح بالجراح، ومن الأحكام في الآية: المماثلة في القصاص، فلا يكسر المجني عليه سنين مقابل سن واحدة ولا عينين مقابل عين واحدة وهكذا.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أتبعنا أنبياء بني إسرائيل موسى ومن بعده بعيسى ابن مريم. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: متبعاً لها في أحكامه. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: أنزلنا عليه الإنجيل فيه هداية وبيان. ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: إنه أنزل غير معارض لأحكام التوراة سوى أنه أباح لبني إسرائيل ما كان محرماً عليهم، وشاهده قول الله على لسانه ﴿وَلِأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران من الآية ٥٠ .

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: أنه أنزل؛ ليبين للنصارى طريق الهداية. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ليعتبروا بما فيه من الأحكام: من النهي عن المحرمات.

﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ أي: أن هذا الكتاب أنزل على النصارى؛ ليحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام: والبيانات والدلائل، ومنها: البشارة بنبوة ورسالة محمد ﷺ. وشاهده قول الله جل ذكره ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(١) والمراد به القرآن. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: أن من يحكم بهواه، ويترك ما أنزل الله من الأحكام، فهو فاسق خارج عن حكم الله معادٍ للحق، وناصر للباطل، متبع لهواه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإنجيل مصدق للتوراة كما هو حال الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً. ومن أحكامهما أن الإنجيل أنزل على النصارى؛ ليحكموا بما فيه، ومنه البشارة بنبوة ورسالة محمد ﷺ ودينه الذي نسخ كافة الأديان، وأصبح هو المرجع في الأحكام. ومن أحكام الآيتين: أن من لم يحكم بما أنزل الله من الأحكام: يعد فاسقاً معادياً للحق، ومناصرًا للباطل.

(١) سورة المائدة من الآية ٦٨ .

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
 الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ
 شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
 ٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ
 يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
 يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿

بيان الآيات:

لما ذكر الله أنه أنزل التوراة على موسى، وأنزل الإنجيل على عيسى
 وهما الكتابان الشهيران اللذين أنزلا على اليهود والنصارى ختم ذلك
 بذكر القرآن فقال جل ذكره ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي:
 أنزلنا عليك القرآن يأمر بالحق، وينهى عن الباطل وفيه: الآيات،
 والدلائل، والبيانات. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾
 المراد به الكتب أي: من جنسها وهي التي أنزلت على الأنبياء السابقين
 ومنها: التوراة، والإنجيل. ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: حاكماً عليها

بصدق ما جاء فيها من عند الله، ونافياً لما دخل عليها من التحريف، أو فساد التأويل.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: احكم بين الناس كلهم بما جاء في القرآن من أحكام الله وشرعه. وقيل: إن هذه الآية نسخت قول الله ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام مخير بين الحكم بينهم، والإعراض عنهم. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: احكم بينهم بما في القرآن، واترك أهواءهم؛ فإنها ضلال وفساد. ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: طريقاً يختص به. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وفي هذا بيان من الله أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، يدينون بدين واحد، ويتحدثون بلسان واحد، وأحكام واحدة، ولكنه بحكمته جعل لكل رسول شريعة، كشريعة نوح، وشريعة موسى، وعيسى، وغيرها من الشرائع التي أنزلت على الرسل، ثم نسخ هذه الشرائع وجعل شريعة الإسلام شريعة لكل الناس، وجعل رسوله ونبيه محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع وآخرها. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي: أنه لما جعل الشرائع متعددة قبل الإسلام كان من أجل اختبار من أنزلت إليهم هذه الشرائع فيحاسبهم بالحسنى على إيمانهم بها، أو بالعقاب على عدم اتباعها.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا بفعل الطاعات واتباع ما

شرعه الله في كتابه العظيم، وما جاء به رسوله ونبيه محمد ﷺ.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: أن مصيركم إليه. ﴿فِيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف يجزي المطيعين له ولرسوله

بما يستحقونه من الأجر العظيم وسيجزي المكذبين المنكرين للحق بالعذاب الأليم.

﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ كعادة اليهود في تكذيب

الأنبياء والرسل ومجادلتهم بالباطل اجتمع -كما سبق ذكره- عدد

من أحبارهم منهم: عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسيد،

وشاس بن قيس، وقالوا: نذهب إلى محمد لعنا نفتنه عن دينه؛

فإنما هو بشر فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود

وسادتهم، وإن اتبعناك سوف يتبعك اليهود وأن بيننا وبين قوم

خصومة فنحتكم إليك فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك فأنكر رسول

الله ﷺ قولهم^(١). فنزل قول الله تعالى ﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ

اللَّهُ﴾ أي: احكم بينهم بالكتاب، وبما أنزل الله إليك من شرعه.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: لا تطع ما قالوه من الهوى والضلال

فحكمك يجب أن يكون بالعدل الذي بينه الله لك. ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَن

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٤٦، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٤

ص ٢٧٤، وتفسير البغوي ص ٣٨٢، والدر المنثور ج ٢ ص ٥١٤.

يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٦٠﴾ ومن ذلك إنكارهم للرجم، فاحذر إذا كيدهم، ودسائسهم، وتدليسهم؛ فهم أعداء لك، ولما جئت به من دين الله وحاشا أن يقبل رسول الله منهم ما طلبوه منه، ولكنه تنبيه من الله لنبيه وهو في مقام الرسالة أن يكشف له نوايا هؤلاء الأحرار وأباطيلهم. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: اعلم أن الله سوف يصيبهم ببعض ذنوبهم ومنها: إعراضهم عن حكم الله وفيه دليل على أن لهم ذنوباً كثيرة، وأن إعراضهم عن حكم الله واحد منها. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ المراد بهم اليهود وغيرهم ممن لا يقبل حكم الله ويريد التحاكم بالهوى.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ما زال السياق في أعمال اليهود وقيل: إن اليهود أو طوائف منهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بالتفاضل بين القتل فقال عليه الصلاة والسلام: (القتلى بواء) ^(١) أي: سواء، وقيل: إن حين من العرب طلبوا ذلك، وقد يكون المراد أن اليهود يريدون الحكم بينهم كالحكم في الجاهلية القائم على الجهل والضلال والهوى، وأياً كان التأويل؛ فإن هذا عام في كل من يريد أن يحتكم إلى حكم غير حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: لا أحد

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج ٩ ص ٤٣٤ .

أحسن ولا أعدل من الله في حكمه، ولكن هذا لا يعرفه إلا أهل العقول الذين نور الله بصائرهم؛ بسبب إيمانهم فأيقنوا ورضوا بأحكامه، وتدبيره في خلقه بالعدل وأنكروا كل حكم وكل شرع يخالف حكمه وشرعه. وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبغض الناس إلى الله عز وجل ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه)^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القرآن هو: المصدق للكتب السابقة والحاكم لها، ووجوب الاحتكام إليه وإلى سنة رسول الله محمد ﷺ في مختلف القضايا، وتحريم الاحتكام إلى ما يخالفهما من الشرائع أو القوانين. ومن مسائل الآيات: أن الحكمة من اختلاف الشرائع بين العباد قبل الإسلام هو ابتلاؤهم ليتبين من هو الذي يطيع أمر الله ومن هو الذي يعصيه. ومن الأحكام: أن ما يحصل للعباد من البأساء والضراء هو بسبب ذنوبهم. ومنها: أن أحكام الجاهلية أحكام فاسدة، وأن دين الإسلام وأحكامه هدى ورحمة للمؤمنين.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، برقم (٦٨٨٢)، صحيح

﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ^١ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا توالوهم أو تنصروهم أو تستنصروا بهم أو تحابوهم أو يكون بينكم وبينهم مودة كما توادون بعضكم بعضاً؛ لأنهم على غير دينكم ولا يحبونكم كما قال تعالى ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾^(١). ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وسبب النهي عن موالاتهم هو عداوتهم للدين ومعاندتهم لرسول الله وهو معنى قوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: أنهم يحصرون موالاتهم فيمن هم من دينهم وملتهم. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ أي: إن من يواليهم منكم أيها المسلمون فهو منهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إنه لا يهديهم؛ بسبب كفرهم ومعاندتهم لما جاءهم به كتاب الله، وما بلغهم به رسوله، فمن يواليهم فهو في حكمهم؛ لأنه يكون ظالماً مثلهم.

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٩ .

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ المراد بهم المنافقون. ﴿ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي: يسرعون في موالاتهم ومودتهم. ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ أي: نخشى أن تدور الأيام ويكون النصر لليهود وللنصارى فتكون عندئذٍ لنا يد عندهم؛ ذلك أن المنافقين ومعهم اليهود كانوا يشكون في أمر رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه لن ينتصر. ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ أي: فتح مكة وانتصار المسلمين في معاركهم ضد المشركين. ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ قيل: المراد به الفصل في أمر اليهود. ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ أي: عندئذٍ يندم المنافقون على ما كانوا يسرونه في أنفسهم من موالاته اليهود والكفار وشكهم في انتصار رسول الله ﷺ.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ المراد أنه حينما يأتي النصر من عند الله وينهزم اليهود ومن معهم يندم المنافقون على موالاتهم لهم، وعندئذٍ يتعجب المؤمنون منهم وكيف كانوا يظهرون إيمانهم ومودتهم للمؤمنين وهم على خلاف ذلك. ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي يقول المؤمنون: لقد حبطت أعمال هؤلاء المنافقين، فأصبحوا خاسرين في الدنيا بما أظهره الله من نفاقهم وكشف أسرارهم، وخاسرين في الآخرة بما

يجازيهم به الله من العذاب. وقد ذكر ابن إسحاق سبب نزول هذه الآيات بقوله: كانت أول قبيلة نقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ بنو قينقاع فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه، قال: فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (أرسلني) وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال: (ويحك أرسلني) قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني امرؤ أخشى الدوائر قال: فقال رسول الله ﷺ: (هم لك) قال محمد بن إسحاق: فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم

وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم موالاة اليهود والنصارى ونحوهم، ولكن هذا فيما يتعلق بأمور العقيدة؛ أما التعامل معهم في أمور الدنيا فهذا مما يجوز، ولا خلاف فيه بين المسلمين. وقد كان رسول الله ﷺ يتعامل مع اليهود رغم ما كانوا يبيتون له من المكاييد والدسائس وموالاة أعدائه، ولم يتعرض لهم عليه الصلاة والسلام إلا بعدما نقضوا العهد الذي بينهم وبينه. وينبني على الحكم الأول: أن من وإلى الكافر على المسلم أصبح مثله. ومن مسائل الآيات: كشف سلوك المنافقين وممالأتهم لأعداء المسلمين وهذا هو شأنهم في كل زمان يظهر مودتهم للمسلمين ومحبتهم لهم وهم على خلاف ذلك.

قلت: والبيان الذي بينه الله لرسوله محمد ﷺ في شأن أهل

(١) سيرة ابن إسحاق ج ١ ص ٣٩٢-٣٩٣، والآيات في سورة المائدة من الآية ٥١-٥٦.

الكتاب والمنافقين هو نفس البيان الذي شهدته المسلمون في فترات عدة من التاريخ؛ ذلك أن موالاتهم لبعضهم وعدم موالاتهم للمسلمين شيء طبيعي؛ لأن صاحب الدين لا يوالي إلا من هو على دينه، فلا يتصور إذاً أن يوالي أهل الكتاب المسلمين بل إن هذه العداوة - بكل أسف - متأصلة في النفوس وقد ظهرت آثارها فيما حدث في الأندلس بعد تشكل الدويلات الإسلامية وضعفها وتهافتها في كينوناتها، كما ظهرت آثارها في الحروب الصليبية التي دامت سنوات طويلاً، ثم ما أعقب ذلك من عهد الاستعمار القديم المتمثل في الاحتلال بالقوة وما يعقبه اليوم من الاستعمار المتمثل في الثقافة والفكر تارة، والاحتلال بالقوة لبعض البلاد الإسلامية تارة أخرى.

وكما بين الله أن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ يظهرون للمؤمنين أنهم منهم ثم يذهبون إلى أهل الكتاب فيمالئونهم، ويودونهم، ويؤكدون لهم مودتهم، ثم يشككون في أمر رسول الله ﷺ، فإن هذا الزمان وما قبله من الأزمنة التي كانت محلاً للصراع لم يعدم مثل أولئك المنافقين الذي كانوا في المدينة، كحال عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون مع العدو من يساعده من الأمة فيتلون بلون المؤمنين وهو في سريرته مع عدوها وهذا مشاهد في (العيون) التي تعمل اليوم معه ومشاهد

في (المتعاونين معه) وغيرهم من الذين يعملون لحسابه بأجر أو عن طواعية، مصدرها الحب له، والكره لدينهم، وهذا بلا شك ابتلاء؛ ليعلم الله من هم المؤمنون؟ ومن هم المنافقون؟ كما علم الله إيمان عبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام ونفاق عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، والقول ما قاله الله عز وجل في كتابه المبين ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ المراد من يتولى عن دينه، إما أن يعود إلى الشرك كما كان عليه من قبل، أو يعتنق دين أهل الكتاب. وقد حدث في تاريخ الإسلام ارتداد بعض الأعراب وأخبر عنه الله في هذه

الآية قبل وقوعه، ففي عهد رسول الله ﷺ ارتد بنو مذحج ورئيسهم الأسود العنسي^(١). كما ارتد طليحة بن خويلد الأسدي وقومه^(٢)، وارتد مسيلمة الكذاب^(٣) وقومه وزوجته سجاح، وارتدت قبائل وأقوام، وقد قضى جنود المسلمين عليهم في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قيل: إن هذه الآية لما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: (قوم هذا)^(٤). وقيل: هم الأنصار وقيل: هم أقوام من سائر المسلمين جاهدوا يوم القادسية وقيل: إن رسول الله ﷺ لما سئل عنهم ضرب يده على عاتق سلمان

(١) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي بالنون، وعنس بطن من مذحج، وكان يلقب ذا الخمار لما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادعى النبوة، وكان مشعباً يريهم الأعاجيب فاتبعته مذحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠١.

(٢) طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فكان طليحة يقول: إن جبريل يأتيني وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة وتبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطبئ. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٦.

(٣) هو مسيلمة الكذاب واسمه ثمامة بن قيس من بني حنيفة وفد مع بني حنيفة إلى النبي ﷺ واجتمع مسيلمة برسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمامة، وتنبأ، وتكذب لهم، وادعى أنه شريك رسول الله ﷺ في النبوة فاتبعه بنو حنيفة. الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٦٦.

(٤) الدر المنثور ج ٢ ص ٥١٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٢٨٤، وتفسير البغوي ص ٣٨٥.

الفارسي وقال: (هذا وذووه) ثم قال: (لو كان الإيمان معلقاً بالثريا
لناله رجل من أبناء فارس)^(١).

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يحبون المؤمنين ويرحمونهم ويودونهم
﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: غلاظ عليهم لا يخافونهم. ﴿يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله
لإعلاء كلمته. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: أنهم لا يخشون ولا
يخافون إلا الله، فهم بهذه الصفة خلاف المنافقين الذين يخشون
الناس ولا يخشون الله. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: إن
هذه الصفة التي هم عليها كانت فضلاً من الله لهم. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ﴾ أي: واسع في فضله، عليم بحاجات خلقه.

﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: إن هذه الآية وما
قبلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من اليهود ورضي بولاية
الله ورسوله - كما سبق ذكره -. وقيل: إنها نزلت في عبد الله بن سلام
حيث قال لرسول الله ﷺ: إن قومنا من قريظة والنضير قد هجرونا

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج ٢ ص ٢٥٥،
والحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ١٠ ص ٦٤، وأخرجه الإمام أحمد
في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة
الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان وقال
«لو كان...» فذكر الحديث، ج ٢ ص ٤١٧، والبخاري في كتاب التفسير، برقم (٤٨٩٧)، صحيح
البخاري مع الفتح ج ٨ ص ٥١٠، برقم (٤٨٩٧). ومسلم ج ٧ ص ١٩١.

وأقسموا ألا يخالطونا ولا نستطيع مخالطة أصحابك لبعد منازلهم. فأنزل الله هذه الآية فقال: رضينا بالله ورسوله^(١). وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب فقد سأل سائل في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطه أحد شيئاً وكان علي قائماً يصلي وفي يمينه خاتم فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه واستدل من قال بذلك بقول الله ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد أن من يرضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين كما رضي بها عبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام وغيرهم من المؤمنين فإنه سيكون من حزب الله وهذا الحزب وأهله هم الغالبون المنتصرون. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٤٧، ومعالم التنزيل للبغوي ص ٣٨٥، وزاد المسير ص ٣٩٢، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٤٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٢٨٨، والدر المنثور ج ٢ ص ٥١٩، وزاد المسير ص ٣٩٢، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٣٠٧.

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من يرتد عن دين الإسلام. الحكم بأن من أحب الله أحبه، وهذا حكم عام. أما من حيث الخصوص فقد أحب الله أبا بكر الصديق وصحابة رسول الله ﷺ والأشعرين قوم أبي موسى الأشعري كما أحبوه. ومن الأحكام: أنه يجب على العبد محبة المؤمنين وإظهار عزة الإسلام على الكافرين. ومنها: فضل الجهاد في سبيل الله وعدم الخشية في قول الحق وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن الأحكام: أن من تولاه الله ورسوله والمؤمنون كانت له الغلبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۖ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾

بيان الآيتين:

قيل: إن هذه الآية نزلت في سويد بن الحارث ورفاعة بن زيد كانا يظهران الإسلام ثم صارا من المنافقين، وكان رجال من المسلمين يوادونهم ويصاحبونهم فنزل قول الله جل ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا ۖ﴾^(١) أي: أنهم لما كانوا على هذه

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٤٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٣٩٣، ومعالم التنزيل للبغوي ص ٣٨٥.



الحال من الاستهزاء بالدين فلا يجوز لكم أن توالوهم أو تصادقوهم، بل يجب عليكم البعد عنهم، وقد عمم الله الحكم بقوله ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ أي: لا توالوا أيّاً من هؤلاء؛ بسبب استهزائهم بدين الله. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في موالة الكفار الذين اتخذوا دين الله هزواً. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم حقاً مؤمنين، فلا تتخذوا هؤلاء أولياء لكم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً﴾ هذا بيان لما ورد في الآية قبلها عن الذين يتخذون دين الله هزواً ولعباً، وهم على وجه التحديد من الذين أوتوا الكتاب والكفار عموماً، ويدخل فيهم المنافقون، فهؤلاء إذا سمعوا النداء للصلاة سخرُوا منه، وإذا رأوا المصلين يركعون ويسجدون سخرُوا منهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: أنهم بهذا المستوى القبيح من الفعل جهلة وغفل وسفهاء؛ لأنهم لو كانوا على عقل لما استهزؤوا بنداء الله وعبادته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم موالة من يستهزئ بدين الله أو يسخر من عباده المؤمنين. ومن أحكامهما أن الأذان واجب في حضر المسلمين وسفرهم؛ لأنه تنبيه للمسلمين لأداء ركن هام من أركان دينهم، وهو الصلاة ولم يترك رسول الله ﷺ الأذان في سفر ولا حضر، وكان رسول الله ﷺ إذا غزا

قوماً لم يغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح^(١). وقال عليه الصلاة والسلام لمالك بن الحويرث وصاحبه: (إذا سافرتما فأذنا وأقيما وليؤمكما أكبركما)^(٢). قال ابن المنذر: فالأذان والإقامة واجبان على كل جماعة في الحضر والسفر؛ لأن رسول الله ﷺ أمر بالأذان وأمره على الوجوب^(٣). أما في فضائل الأذان: فما رواه أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر إلا شهد له)^(٤).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَن ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾  قُلْ هَلْ أَنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ۖ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ  وَإِذَا جَآءُوكُم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، برقم (٢٩٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأذان في السفر، برقم ٢٠٥، سنن الترمذي ج ١ ص ٣٩٩، والنسائي في كتاب الأذان، باب أذان المنفردين في السفر، برقم (٦٣٣)، سنن النسائي ج ٢ ص ٣٣٥، والبخاري في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، برقم (٦٣)، بلفظ قريب للترمذي، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ١٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٢٦.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأذان والسنة فيها، باب فضل الأذان وثواب المؤذن، برقم (٧٢٣)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٣٩.

قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ^٤ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنِّي﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن نفراً من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١). فلما ذكر اسم عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فنزلت هذه الآية ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد قل يا محمد لأهل الكتاب - اليهود - خاصة هل تسخطون علينا؛ لأننا آمنّا بالأنبياء عليهم السلام؟ أي: أنه لا ذنب لنا، إلا أن آمنّا بالأنبياء، وبالكتب التي

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٥٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٤ ص ٢٩٢، والدر المنثور ج ٢ ص ٥٢٢، وزاد المسير ص ٣٩٣، وتفسير البغوي ص ٣٨٦، والآية في سورة البقرة الآية ١٣٦.

أنزلت إليهم، وبالقرآن الذي أنزله الله علينا. ﴿وَأَنَّا أَكْثَرُكُمْ فٰسِقُونَ﴾
أي: إنكم بهذه النعمة علينا فاسقون وعاصون لله.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد لأهل الكتاب - وهم هنا اليهود - كيف تقولون إنكم ما تعرفون ديناً شراً من ديننا وأننا أقل حظاً في الدنيا والآخرة، وأنتم قد وصفكم الله بأسوء الأوصاف؛ بسبب كفركم، وضلالكم وذلك في قوله ﴿مَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: من طرده وأبعده من رحمته. وَغَضِبَ عَلَيْهِ أي: جعله مغضوباً عليه ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ أي: حولهم وصيرهم بهذه الصورة البشعة. ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت أي: الشيطان؛ فجعله إلهاً من دون الله. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: أن أولئك الملعونين هم في أشر مكان وهو النار. ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي: إنهم أضل الناس عن الطريق المستقيم فكيف تقولون هذا وأنتم قد كان منكم من وصفهم الله بهذه الأوصاف ؟

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ المراد بهم المنافقون من اليهود. قوله ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أي: أنهم عندما يدخلون مجلس رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان، ومحبة الله ورسوله، والمؤمنين كذباً ونفاقاً، ثم يخرجون من المجلس ولم ينتفعوا بشيء مما سمعوه من التذكير والمواعظ؛ لأنهم دخلوه وهم كافرون، وخرجوا منه وهم

كافرون. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي: أن الله أعلم بما في سرائرهم من النفاق وإن أبدوا خلافه.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: إن هؤلاء الموصوفين بهذه الأوصاف يسارعون ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ أي: في اكتساب الآثام والخطايا بأفعالهم ونفاقهم. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: في ارتكاب الظلم. ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾ أي: تعاطيهم للربا، وأخذهم الرشأ، وما حرم الله من الأموال. ﴿لَيْئَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لبئس عملهم هذا الذي يرونه صحيحاً، وهو باطل ومردود عليهم.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ المراد بالذين يُنْهَوْنَ اليهود أي: أفلا ينهاهم الربانيون القائمون عليهم بالولاية ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ أي: العلماء منهم عن تعاطيهم لهذه الآثام والخطايا. ﴿لَيْئَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: لبئس عمل هؤلاء حين لم ينصحوهم ولم ينهوهم عن آثامهم وعدوانهم وخطاياهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أدب أسلاف اليهود مع الأنبياء، ووصف أكثرهم بالفسق، وكذلك تقرير وصفهم بأكل الرشأ. ومن الأحكام: ذم العلماء الذين لا ينكرون على من يفعل المنكر، ولا يبينون له وجه الحق وشاهده في هذه الآية قوله تعالى ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ أي: أفلا

ينهاهم، وهذا استفهام إنكاري عليهم ثم قال ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين سكتوا عن منكرهم وشاهده أيضاً قوله ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١). ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢). ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية^(٣) وسيأتي تفسيرها إن شاء الله.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ^(٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ^(٦٦).

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٠ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن وصف اليهود له جل ذكره بالبخل (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) والواصف بهذا فنحاص اليهودي وقد سبق أن قال: إن الله فقير ونحن أغنياء ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ دعاء عليهم بأن يغل الله أيديهم ويلعنهم ويطردهم من رحمته؛ جزاء ما قالوه. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ في هذا رد عليهم وتكذيب لهم وتقبيح لقولهم؛ فيداه عز ذكره مبسوطتان وهو المتفضل على خلقه المتكفل برزقهم لقوله عز وجل ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١). وقوله جل ثناؤه ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (٢).

وقول رسوله محمد ﷺ: (قال الله عز وجل: أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ: أُرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) (٣).

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٤٦٨٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٢ .

﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: أن ما آتاك الله يا محمد من نعمة النبوة والنصر والتمكين في الأرض لأمتك سوف يزيدهم حسداً وكرهاً ﴿طُغِيَناً﴾ أي: سيتجاوزن في القول أكثر مما قالوه ﴿وَكُفَّراً﴾ أي: تكذيباً وجحوداً. ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أن قلوبهم لن تجتمع على حق، بل سيظلون متباعدين فيما بينهم. وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١). ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي: أنهم كلما أرادوا أن يكيدوا لك بالاتصال بالمشركين وبأعدائك للتأثير عليك وعلى رسالتك رد الله كيدهم وحق بهم سوء صنيعهم. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في هذا بيان لسلوكهم بأنهم يسعون في الأرض بالفساد، وهذا لا يزال مشاهداً عبر أدوار التاريخ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: أن الله يبغض ويمقت كل من يفسد في الأرض.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ وفي هذا يقول الله جل ذكره ورغم ما ذكرنا من سيئات أهل الكتاب، وخاصة اليهود لو أنهم آمنوا بما جاء به الرسول من البينات، واتبعوه، واتقوا الله في سلوكهم

(١) سورة الحشر من الآية ١٤.

﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لتجاوزنا عن تلك السيئات. وشاهد هذا أنه عز وجل واسع الرحمة، يحب من عباده أن يتوبوا إليه حتى يتوب عليهم ويرحمهم ﴿وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: ولجعلت لهم الجنة بما فيها من النعيم المقيم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: لو أنهم أقاموا وطبقوا أحكامهما ومنها: ما ورد من صفة رسول الله ﷺ وبشارته. ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن. ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: لأنزل الله عليهم المطر وأنبت لهم الأرض، وبارك لهم في أرزاقهم. وشاهده قوله جل ذكره ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١). وقوله ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾^(٢). قوله ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: أن من أهل الكتاب من اقتصد في سلوكه فلم يقولوا في محمد أو في عيسى ما قاله غيرهم من المكذبين والمنافقين، ومن هؤلاء المقتصدين: عبدالله بن سلام وصحبه من اليهود المؤمنين، ومنهم: النجاشي من النصارى ومن كان معه من الذين آووا المسلمين ولم يقولوا فيهم سوءاً. وقيل: أريد بالاقتصاد أقوام لم يؤمنوا، ولكنهم لم يؤذوا رسول

(١) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٢) سورة الجن الآية ١٦ .

الله ﷻ ولم يستهزئوا بالمسلمين في عبادتهم^(١).

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أن كثيراً من أهل الكتاب على

خلاف الأمة المقتصدة، وقد ساء ما يعملونه من النفاق والمكايد كحال بن فنحاص وكعب بن الأشرف ومن على شاكلتهما.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أدب أسلاف اليهود وقبح سلوكهم مع الله عز وجل ووصفه بما لا يليق بعظمته وسلطانه (تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً). تقرير عقابهم وهو الطرد من رحمة الله؛ بسبب سوء أدبهم. ومن الأحكام: إثبات صفة اليدين لله عز وجل بما يليق به دون تشبيهه، أو تمثيل بأحد من مخلوقاته. ومنها: أن أهل الكتاب لو طبقوا أحكام التوراة والإنجيل لرزقهم الله أين توجهوا في البسيطة، ولو آمنوا بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ لكفر الله عنهم سيئاتهم، وقد أثنى الله على المؤمنين منهم: كعبد الله بن سلام وصحبه والنجاشي ومن كان معه ممن آووا المسلمين حين هجرتهم.

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٤١، وتفسير البغوي ص ٣٨٨ .

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه أن يبلغ رسالته إلى الخلق أجمعين، إنسهم، وجنهم، مؤمنهم، وكافرهم، ذكرهم، وأنثاهم، حتى تقوم الحجة عليهم، وقد قام عليه الصلاة والسلام بهذا البلاغ خير قيام. وفي هذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب^(١). كما قالت رضي الله عنها: لو كان محمد كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾^(٢).

نعم: وحاشا أن يكون رسول الله ﷺ غافلاً عن مسؤوليته في إبلاغ الرسالة؛ فقد واجه في سبيلها الكثير من العنت حين حاربه قومه وبعض من خاصته كأبي لهب. كما واجه كيد المنافقين وسفاهة السفهاء وجهل الجاهلين. وفي حجة التي ودع فيها أمته قال: (أي يوم هذا؟) قالوا: يوم حرام. قال: (فأي بلد هذا؟) قالوا: بلد حرام، قال: (فأي شهر هذا؟) قالوا: شهر حرام. قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ برقم (٤٦١٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٢٤.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ برقم (٧٤٢٠) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤١٥.

كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا). فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: (اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت) (١).

قلت: ونحن نقول إلى يوم نلقى الله ما قاله صحابته عنه عليه أفضل الصلاة والسلام في حجة الوداع أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وكان لأمته خير ناصح، وكان لها خير نبي وخير أمين فنسأل الله بكل أسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجزيه عن أمته خير الجزاء، وأن يؤتیه الوسيلة والفضيلة، وأن يرفعه المقام المحمود الذي وعده به.

﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي: إن كتمت أي شيء مما أوحى إليك فأنت لم تبلغ الرسالة. ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ والمراد عليك يا محمد أن تبلغ الرسالة التي أتتك وأنا حافظك ومعينك وناصرك على أعدائك فلا تخش أحداً غيري، ولا تخف إلا مني، ولا تحزن على ما تواجه من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين فأنت في حرز مني. وفي هذا المعنى كان رسول الله ﷺ يحرس من قبل بعض أصحابه خاصة في أول هجرته إلى المدينة، فلما نزلت هذه الآية لم يكن أحد يحرسه؛ لأن الله حرسه وعصمه من الناس. وفي هذا روى أنس أن رسول الله ﷺ كان يحرس حتى نزلت الآية

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى برقم (١٧٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٦٧٠.

فأخرج رأسه^(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ما عليك إلا البلاغ؛ أما الهداية فهي من الله فهو الهادي وشاهده قوله عز وجل ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٢). ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾^(٣).

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن جميع الرسل ومنهم: رسول الله محمد ﷺ ملزمون بتبليغ رسالة الله إلى خلقه يبشرونهم وينذرونهم كما قال عز وجل ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٤). وقوله عز ذكره ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٥). وقد قام رسل الله عليهم السلام بما أوجب الله عليهم وبلغوا أممهم رسالة الله، كما قام رسول الله ﷺ بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٤٦)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٤.

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٠٧.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٢.

(٤) سورة النساء من الآية ١٦٥.

(٥) سورة النحل من الآية ٣٦.

وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيزِيدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: قل يا محمد لليهود
والنصارى: لستم على شيء من الدين أي: لا دين لكم. ﴿حَتَّى تُقِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: حتى تؤمنوا
بما ورد في التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي: القرآن.
﴿وَلِيزِيدَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي:
أن ما آتاك الله من نعمة النبوة وآتاه أمتك من الفضل والنصر سوف
يزيدهم طغياناً وكفراً أي: حسداً وتمادياً في الكفر. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تحزن عليهم فهم كافرون عاصون لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم أهل التوراة
﴿وَالصَّابِغُونَ﴾ سبق الحديث عنهم وسيأتي مفصلاً ﴿وَالنَّصَارَى﴾ أهل
الإنجيل ﴿مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: أن كل
جماعة أو فرقة آمنت بالله أي: أطاعته ووحده وأمنت باليوم الآخر

أي: يوم القيامة وعملت صالحاً وهو كل عمل ابتغت به وجه الله فلا خوف عليهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون على الدنيا، ولكن هذا الإيمان لا يكون صالحاً ولا متقبلاً إلا إذا كان وفق ما جاء به رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم: بكفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم برسول الله محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. ومن الأحكام: تقرير أن الأشقياء لا ينتفعون بالآيات البينات، بل يزدادون طغياناً. ومنها: الأمر لرسول الله ﷺ بألا يحزن على الكافرين المعاندين. ومن الأحكام: أن من آمن بالله وبالبعث وعمل الصالحات فلا خوف عليه من العذاب ولن يحزن من فراقه للدنيا.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾
 ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يخبر الله عز ذكره أنه

أخذ الموثيق على بني إسرائيل أن يعبدوه ويصدقوا ما أنزل إليهم من الكتاب ويؤمنوا بما فيه ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾ لكي يبينوا لهم وجوب عبادة الله وطاعته وإخلاص العبادة له وحده ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: كل ما جاءهم رسول لا يوافق رغباتهم ولا يتبع أهواءهم ولا يطيع انحرافهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أي: أنهم قد كذبوا عيسى وهموا بقتله لولا أن الله رفعه إليه، وقتلوا يحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: ظنوا أنهم لن يحاسبوا ولن يلزمهم شيء مما أخذ عليهم من الموثيق كقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا لِلَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ﴾^(١). ﴿فَعَمُوا﴾ أي: عميت أبصارهم عن الحق ﴿وَصَمُّوا﴾ أي: صمّت آذانهم، فلا يسمعون إلا ما تمليه عليهم رغباتهم، أو يقوله لهم الفاسدون من أحبارهم. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: غفر لهم ما كان من خطيئاتهم، ومنها: عبادة العجل وعصيان أنبيائهم ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ مرة ثانية ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: أن هذا سلوك الكثير منهم ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أنه يعرف أحوالهم وما يعملونه من المعاصي وسوف يجازيهم على سلوكهم.

(١) سورة مريم من الآية ١٨.

أحكام ومسائل الآيتين

تقرير أن الله قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل أن يعبدوه ويوحدوه ويتبعوا ما أنزل إليهم من الكتاب، ومنه البشارة بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ إلى الناس كافة. ومن الأحكام: تقرير اتباع اليهود لأهوائهم فقد كذبوا فريقاً من رسلهم وقتلوا فريقاً آخر. ومن الأحكام: تقرير حلم الله عليهم؛ لأنه حلیم بعباده رحيم بهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
 ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
 ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

أي: كفر أولئك الذين قالوا هذا القول وهم اليعقوبيون من النصارى يقولون باتحاد الأب والابن فالمسيح حسب هذا الاعتقاد الزائف هو الله (تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: إن المسيح الذي نسبوا إليه قولهم الباطل تبرأ منه ومنهم وقال لهم: إن الله هو ربي وربكم، فلا رب لنا غيره، وأنا لست إلا عبداً له كما قال ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١). ثم بين لهم جريمة اعتقادهم وبطلانه فقال ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ أي: أن من يشرك مع الله غيره سواء عيسى أو غيره فسيحرم من الجنة ويكون مصيره النار. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: ولن يكون له نصير ولا ولي.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المراد بهم النصارى، فكثير منهم يقولون: هناك في الكون أب وابن وروح القدس، ويؤلهون كل واحد منهم، فبين الله أنهم بقولهم هذا قد كفروا وضلوا طريق الحق والهداية ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ أي: أنه لا إله في الكون إلا إله واحد هو الله وأن من يقول خلاف ذلك يعد كافراً.

﴿وَأِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: إن لم يتركوا قولهم بالتثليث
 ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: سوف ينالهم
 العذاب فيما أن يعجل لهم في الدنيا أو يؤجل لهم إلى الآخرة.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ فيه توبيخ وتعجيب أي: ألا يتوبون
 إلى الله بعد كفرهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون منه المغفرة من
 ذنوبهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده إذا تابوا إليه
 لأنه رحيم بهم.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أي: ليس المسيح
 إلا أحد الرسل الذين بعثهم الله إلى الناس؛ لإبلاغهم رسالة الله
 بتوحيده، وطاعته واجتناب معاصيه، وتصديق رسوله محمد ﷺ
 ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: ما هو إلا من جنس الرسل
 الذين قبله فلا صفة له غير هذه الرسالة. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾
 أي: أنها مؤمنة. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ وذلك لما لهما
 من صفة المخلوقين في الحاجة إلى الطعام والشراب، ومن كانت هذه
 صفتها فلا يمكن أن يكونا إلهين كما زعم النصارى في جهالاتهم.
 ﴿انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: انظر يا محمد كيف
 نبين لأهل الكتاب الآيات الدالة على أن عيسى وأمه عبدان من عباد

الله، ثم انظر بعد هذا البيان كيف يعدلون عن الحق وينصرفون عنه إلى الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من يدعي ألوهية المسيح أو يدعي أن الله ثالث ثلاثة. ومن مسائل الآيات وأحكامها تبرؤ عيسى وأمه من الذين ألوههما أو قالوا فيهما خلاف كونهما عبيد من عبيد الله. ومنها: الحكم بأن عيسى عليه السلام وأمه مخلوقان مثل المخلوقين الآخرين، ولكنه رسول من رسل الله، وأن أمه صديقة وقد ولدته بكلمة الله. ومنها: وجوب الاستغفار والتوبة بكمال شروطها في حال المعاصي. ومنها: تقرير أن الله يبين لعباده الآيات، ومنهم من ينصرف عن الحق ويتبع الباطل.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٧٦ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ٧٧ ﴿

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الجاهلين: أتعبدون من دون الله ﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا

نَفْعًا ﴿١﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ للنصارى ومن على شاكلتهم أن من يؤلهونه ويعبدونه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فمن كان على هذه الصفة فهو لا يستطيع أن يضر غيره ولا ينفعه، فالنافع هو الله، والضرار هو الله، وإذا كان أحد من المخلوقين يستطيع أن ينفع في الدنيا أو يضر فيها، فهو بإرادة الله وقدره؛ أما البشر فكلهم عاجزون عن النفع والضرر. ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: هو السميع العليم الذي يملك وحده النفع والضرر كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (١).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ هذا توجيه لرسول الله ﷺ أن يقول لليهود والنصارى: إياكم والغلو فإنه شر وفساد، وفي هذا توبيخ لهم حين غلوا في دينهم، فاليهود أفرطوا في حب نبيهم عزيز فجعلوه ابناً لله وأفرطوا في كراهية عيسى، فاتهموا أمه بما لا يليق بها، والنصارى أفرطوا في حب عيسى، فجعلوه إلهاً يعبد من دون الله ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ المراد به الغلو الباطل. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: لا تتبعوا من كان قبلكم من أحباركم وعلمائكم الذين ضلوا في أنفسهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أي: أضلوا غيرهم ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي:

كما أضلوا أنفسهم وغيرهم ضلوا كذلك عن اتباع ما جاء به الرسول من الهدى والحق.

أحكام ومسائل الآيتين:

التنديد بكل من يعبد غير الله؛ لأن كل الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، بل كلهم يلجأون إلى الله. ومن الأحكام: الحكم بسوء الغلو في الدين، وقد نهى رسول الله ﷺ أمته عن الغلو فيه فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)^(١). كما قرر عليه الصلاة والسلام أن الدين يسر وأنه لن يشاده أحد إلا غلبه^(٢)، ولما سمع عليه الصلاة امرأة من الليل تصلي قال: (من هذه؟) قالت عائشة: فلانة تذكر من صلاتها لا تنام الليل كله فكره عليه الصلاة والسلام فعلها حتى عرفت الكراهية في وجهه وقال: (مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا)^(٣). وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، برقم (٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٢٤.

أما أنا: فأنا أصلي الليل أبداً وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١). وروي أنه ﷺ قال: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)^(٢). ومعنى أوغل: أي: سر فيه وبالح مبعدا برفق.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٩٩ بدون ذكر (فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهر أبقى)، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بهذا اللفظ، ج ١ ص ٦٢.

بيان الآيات:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: طردوا من
 رحمة الله ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: كانت
 لعنتهم على لسان داود في الزبور، وهو الكتاب الذي أنزل عليه، وكانت
 لعنتهم على لسان عيسى في الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزل عليه
 وقيل: إنهم لما اعتدوا في السبب قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية
 فمسخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى بعد نزول المائدة قال عيسى:
 اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من
 العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبب فأصبحوا خنازير^(١).
 ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: كان اللعن لهم بسبب
 معصيتهم وعدوانهم، ومن ضمن هذه المعصية والاعتداء تكذيبهم
 لأنبيائهم وقتلهم لهم كما قال عز وجل ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا
 يَقْتُلُونَ﴾^(٢).

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: لم يكن
 بعضهم ينهى البعض الآخر حين يراه يرتكب إثماً وخطيئة. وفي هذا
 قال رسول الله ﷺ: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٤ ص ٣١٧-٣١٨، والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٥٢،
 والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢٧٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٠١.

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٠.

الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض) ثم قال (..كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم)^(١). ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: تعس ما كانوا يفعلونه من عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بهم المنافقون من اليهود الذين كانوا يوالون المشركين ويصادقونهم مع أنهم ليسوا على دينهم، وإنما نكاية برسول الله محمد ﷺ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: تعس ما زينته لهم أنفسهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إن ما زينته لهم أنفسهم ستكون عاقبته سخط الله عليهم. ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي: أنهم سيخلدون في العذاب بعد سخط الله عليهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ أي: لو كانوا يؤمنون

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٦-٤٣٣٧)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٦، والترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة المائدة، برقم (٣٠٤٧-٣٠٤٨)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٥-٢٣٦، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٦)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٧.

بالله ونبيه وما أنزل إليه، وهو القرآن والوحي ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ
أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لما والوا المشركين وصادقوهم ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ أي: أن كثيراً من اليهود والمنافقين عاصون لله وعاصون
لرسوله.

الأحكام ومبادئ الآيات:

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه قول الله عز ذكره
﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١). ومن الأحكام: وجوب ردع
مرتكب المنكر حتى يتوب، فإن لم يكن بالاستطاعة ردعه وجب
اجتنابه، وعدم مخالطته، وعدم محبته؛ لأن من جالسه أو أحبه صار
في حكمه. وقد سبق الحديث عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وما يجب على الأمة في ذلك. ومن الأحكام: تحريم موالاة من لم
يؤمن بالله ورسوله وبالقرآن، ومن فعل ذلك فهو في حكمه.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّا نَصْرِيكَ يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ بَلْ لَمَّا سَمِعُوا بِكَ الْبُرْهَانَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ
 أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

بيان الآيات:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
 أَشْرَكُوا﴾ لما كان الله يعلم حال اليهود وسلوكهم، سواء مع أنبيائهم
 أو مع رسول الله محمد ﷺ أخبر عنهم بأنهم أشد عداوة للمؤمنين،
 وجعل بعدهم في العداوة المشركين عبدة الأصنام والأوثان، ثم بين حال
 النصارى وسلوكهم فقال عز ذكره ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ والغالب في القرآن أن
 الذم والتشنيع ينصب على اليهود؛ بسبب سلوكهم النفسي وعداوتهم
 الظاهرة والباطنة للمؤمنين وحقدهم عليهم بينما ينصب الذم على
 النصارى؛ بسبب جهلهم ثم بين جل ذكره أن سبب مودة النصارى
 للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: بسبب أن فيهم
 علماء ومتدينين ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: غير متعاليين على
 المؤمنين ولا مبغضين لهم، وذلك على خلاف اليهود.

وقد روي في سبب نزول هذه الآية: عدة روايات فقليل: إنها نزلت في النجاشي وقومه لما وفد عليهم المسلمون في هجرتهم الأولى فراراً من ظلم المشركين^(١). وقيل: إن السبب هو أن سبعين رجلاً من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله ﷺ منهم: اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فنزلت فيهم هذه الآية^(٢).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ أي: إذا سمعوا القرآن ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي: من كثرت يخرجه من عيونهم إلى وجوههم وفي هذا دلالة على رقتهم ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: أنهم لما عرفوا الحق من جراء سماعهم القرآن، تأثروا ففاضت عيونهم بالدمع. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أي: أننا ياربنا آمنا بما أنزلت على نبيك محمد ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: اكتبنا عندك مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون على الناس يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٣).

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٥٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٢، والدر المنثور ج ٢ ص ٥٣٨-٥٣٩، وتفسير البغوي ص ٣٩٣، وتفسير البيضاوي للقاضي ناصر الدين البيضاوي ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٥٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢ ص ٤، وتفسير البغوي ص ٣٩٢، ومجمع التفاسير ص ٣٣٥، وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾ قالوا ذلك في أنفسهم لما سمعوا القرآن، وفيه دلالة على استجابتهم للحق أو أن أحداً من قومهم أو من غيرهم لاموهم فأجابوه: لماذا لا نؤمن بالله وما جاء به رسوله من الحق؟ وقيل: إن قوم النجاشي لما قاموا من عند رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء به اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب! بعثكم أهل دينكم ترتادون لهم، فتأتونهم بخبر الرجل فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم، فقالوا: لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، أو قالوا ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾ وحتى تكون حجتهم أقوى في وجه الذين لاموهم ﴿ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: مع أمة محمد ﷺ التي هي على الحق وأنتم على الضلال.

﴿ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ ﴾ أي: جازاهم بإدخالهم الجنة التي ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾. ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إن هذه الجنات جزاء للذين أحسنوا في أقوالهم، وأفعالهم، فاتبعوا ما جاءهم من ربهم على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ المراد بهم اليهود والمشركون والنصارى، وكل من كان على ملتهم. ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ أي:

هؤلاء هم نزلاء الجحيم وهي اسم من أسماء النار.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عداوة أسلاف اليهود والمشركين للمسلمين. تقرير أن النصارى المخلصين الصادقين في نصرانيتهم أقرب للمسلمين كما فعل النجاشي وصحبه. ومن الأحكام: ذم الكبر وأهله كما قال عز وجل في ذم أسلاف اليهود ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ (١). ومن الأحكام: تقرير ثواب الله لأهل الكتاب الذين يؤمنون برسالة رسول الله ﷺ وتقرير الوعيد بالعقاب للذين يكذبون بآيات الله وما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ.

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

بيان الآيتين:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: لا تحرموا أنفسكم من أكل شيء أحله الله لكم من المطعومات أو المشروبات وفي هذا المعنى روي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة

لأصحابه فتأثروا لذلك واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على ألا يزالوا صائمين، قائمين، وألا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفرش، ولا يقربوا النساء، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: (إني لم أؤمر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدسم وأتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١). ونزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تؤذوا أنفسكم بتحريم ما أحل الله لكم، فكلوا مما أحل الله لكم دون إسراف كما قال عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٢). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: يمقت من يعتدي سواء على نفسه أو غيره.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ تأكيد لما ورد في الآية السابقة، والأكل يشمل كل ما يحتاجه المرء لضروراته من لباس، وفراش، وركوب، ونحو ذلك، وجاء التعبير بالأكل؛ لكونه في مقدمة حاجة المرء. ﴿حَلَلًا طَيِّبًا﴾ تأكيد أيضاً لقول الله عز ذكره في الآية السابقة ﴿لَا تُحَرِّمُوا

(١) الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٢٨٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ١٠، وأصل الحديث أخرجه البخاري - كما سبق ذكره - عن عائشة رضي الله عنها أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوا وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.. فقال النبي ﷺ «... فمن رغب عن سنتي فليس مني»، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥.

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣١.

طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٠٩﴾ أَي: الزموا ما أمركم به من الأكل من الطيبات. ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أَي: هو الذي آمنتم به؛ لأن الخطاب جاء للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيتين:

لا يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً أحله الله من الطعام والشراب، ومن يفعل ذلك يعد معتدياً على نفسه. ومن أحكام الآيتين الأمر بالأكل من الطيبات، وهذا يقتضي تحريم كل ما خبث من الطعام والشراب.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ فَكَفَّرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٠﴾

بيان الآية:

قيل: إن هذه الآية نزلت في القوم الذين حرموا على أنفسهم الطيبات، فلما نزل قول الله تعالى في الآية السابقة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قالوا: كيف نفعل بأيماننا؟ فنزل

قول الله جل ذكره ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (١) اليمين الذي يعد لغواً هو اليمين الذي لا حكم له وقد سئلت عنه عائشة رضي الله عنها فقالت: هو قول الرجل: لا والله، بلى والله (٢). ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ المراد بالأيمان التي يؤاخذ العبد عليها هي الأيمان الموثقة ناوياً الحالف فيها ما يقول وقاصده. ﴿فَكَفَّرْتُمُوهَا﴾ أي: كفارة اليمين الموثقة في حال النكث ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ أي: بذل طعام لعشرة من المحتاجين لكل واحد منهم نصف صاع ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من أعدل أو أقصد ما يطعم المرء أسرته؛ ذلك أن الناس يختلفون في الإطعام كثرة أو قلة، فجعل الله الإطعام في الكفارة وسطاً. ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أي: كسوة كل واحد منهم حسبما هو معتاد لمثلهم في الزمان الذي تخرج فيه الكفارة. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة مؤمنة ذكراً كان أم أنثى ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: يصوم الحائث ثلاثة أيام متتابة أم غير متتابة؛ لأن اللفظ جاء عاماً. ﴿ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: إن ما ذكر هو كفارة لليمين التي نكث صاحبها ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أمر من الله تعالى لعباده

(١) معالم التنزيل ص ٣٩٤، وزاد المسير ص ٤٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ برقم (٦٦٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٥٦.

بالبر في اليمين والمقصود: لا تكثرُوا اليمين؛ لما قد يكون فيها من الحنث فتأثموا وتبذلوا الكفارة. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: أحكامه وقضائه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون تيسيره عليكم ورفع الحرج عنكم.

أحكام ومسائل الآية:

يمين اللغو هي قول الرجل: (لا والله) (وبلى والله) في حديثه وكلامه غير عاقد لليمين ولا مريد لها. والأيمان أربعة: يمينان يكفران، ويمينان لا يكفران. فاليمينان اللذان يكفران كحال الرجل الذي يحلف قائلًا: والله لا أفعل كذا وكذا، فيفعل. والرجل يقول: والله لأفعلن كذا وكذا، فلا يفعل. واليمينان اللذان لا يكفران فالرجل يحلف: والله ما فعلت كذا وكذا وقد فعل، والرجل يحلف: لقد فعلت كذا وكذا ولم يفعل^(١).

والجمهور على أن اليمين الغموس يمين كذب، فلا تنعقد ولا كفارة فيها، وعند الشافعي أنها يمين منعقدة؛ لأنها مكتسبة بالقلب مقرونة باسم الله تعالى وفيها الكفارة. والأصل في تحريمها ما رواه عبد الله بن عمر قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: (الإشراك بالله) قال: ثم ماذا؟ قال: (ثم عقوق الوالدين) قال: ثم

(١) سنن الدارقطني ج ٤ ص ١٦٢ .

ماذا ؟ قال: (اليمين الغموس)، قلت: وما اليمين الغموس ؟ قال: (الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب) (١).

وكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين وهو مُدٌّ بُرٌّ أو ما في حكمه لكل واحد من المساكين العشرة، وإن غدى عشرة مساكين وعشاهم أجزأه، خلافاً للشافعي الذي يرى إعطاء كل مسكين مُدّاً.

ولا يجوز دفع الكفارة إلى مسكين واحد ولا تجزئ القيمة عن الطعام والكسوة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

بيان الآيات:

الخطاب للمؤمنين ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الخمر: ما خامر العقل

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم برقم (٦٩٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٦ .

أي: غطاه، والميسر: القمار، وكان الخمر والقمار من أفعال الجاهلية. ﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ﴾ الأنصاب: حجارة كان المشركون يذبحون قربانهم عندها تبركاً بها، والأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها، وقد سبق ذكر معناها.

وقد حرم الله الخمر على نحو متدرج، فأول التحريم قوله عز ذكره ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١). فتخلى عنها بعض الناس كراهة، وبعضهم استمر على تعاطيها بغية أخذ منافعها وترك آثامها، فصلى أحدهم الصلاة وهو في حال من شربها فقراً القرآن خطأ فنزل قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢). فتركها بعض الناس وقالوا: لا خير فيما يشغلنا عن الصلاة، واستمر البعض الآخر يشربها في غير أوقات الصلاة حتى نزل قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ۖ الْآيَةُ، فَصَارَتْ حَرَاماً بِشَكْلِ قَاطِعٍ ۖ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: أنها قدر من أقذار الشيطان ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ الضمير عائد إلى الرجس والمراد اتركوه وامقتوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٩ .

(٢) سورة النساء من الآية ٤٣ .

وهذا فيه حث وترغيب لهم في تركه.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ فيه بيان من الله أن الشيطان يريد إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين نتيجة تعاطيهم الخمر والميسر وغيرهما من المحرمات. وفي هذا روي أن قبيلتين من الأنصار لما شربوا الخمر وانتشوا منها عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا من نشوتهم رأى بعضهم ما فعل بالبعض الآخر فجعل بعضهم يقول: لو كان أخي يحبني ما فعل بي ما فعل، مع أنه لم يكن بينهم قبل شرب الخمر أي عداوة، فأنزل الله قوله الحق هذه الآية^(١).

﴿ وَيُصَدِّكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ والمعنى أن من يشرب الخمر لن يذكر الله ولن يصلي، وإن صلى لن يكون عارفاً لصلاته ولا متقناً لها. ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ المعنى أنه بعدما بين الله لكم أضرار الخمر وآثامها، وأنها من أفعال الشيطان، فهل أنتم تاركون لها أم أنكم ستتعاطونها كما كنتم من قبل؟ فلما نزلت هذه الآية بما فيها من الوعيد الشديد قال عمر رضي الله عنه: انتهينا^(٢). وعندئذٍ أمر

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٩٢، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٩٠، وزاد المسير ص ٤٠٥.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٥٨، وسنن أبي داود كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، برقم (٣٦٧٠)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٢٢، والترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٤٩)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٦.

رسول الله ﷺ أن ينادى في أسواق المدينة: ألا إن الخمر قد حُرمت، فكسرت الدنان (١).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ هذا أمر بطاعة الله ورسوله في اجتناب الخمر والميسر، وعدم تعظيم الأنصاب والأزلام والحدز من عقاب الله في حال إتيان ما حرم. ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: خالفتم ما نهى الله عنه ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ما عليه إلا أن بلغكم بالتحريم، وستجزون إذا لم تجتنبوا ما حرم عليكم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر؟ فأنزل الله هذه الآية (٢)، والمراد ليس عليهم إثم فيما طعموه من الخمر قبل نزول تحريمها، طالما أنهم اتقوا الله وآمنوا به وصدقوا شريعته وما جاء به رسوله محمد ﷺ. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ أي: اجتنبوها بعد التحريم ﴿وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ثبتوا على إيمانهم وتقواهم ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا﴾ تأكيد لوجوب ثباتهم وحسن أعمالهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بلفظ عن أم سليم قالت لما نزل تحريم الخمر أمر رسول الله ﷺ هاتفاً يهتف «ألا أن الخمر قد حُرمت فلا تبيعوها ولا تتعاطوها ومن كان عنده منها شيء فليهرقه» ج ٤ ص ٩٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٩٣.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم الخمر، ويشمل ذلك كل ما في حكمها من المخدرات والمفترات. الحكم بتحريم الميسر وكل ما في حكمه. الحكم بتحريم قرابين المشركين، وكل ما كان فيه تعظيم لغير الله. ومن الأحكام: بيان علة تحريم الخمر، ولعب القمار، وهي بث البغضاء والعداء بين شارب الخمر ولاعبي القمار، وصددهم عن ذكر الله وعن إقامة الصلاة، وفي هذا كله إثم عظيم. ومنها: وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله، والحذر من عصيان ما أمرا به وارتكاب ما نهيا عنه. ومن الأحكام: تقرير رفع الله الإثم عن ارتكب المعصية قبل تحريمها أو ارتكباها وهو لا يعلم هذا التحريم ثم تاب بعد ذلك التوبة النصوح بشروطها الثلاثة وهي: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة لها. وشاهده قول الباري عز وجل ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (١).

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا

(١) سورة النساء من الآية ١٧ .

فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ
 أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِّذَوْقٍ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ
 عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

بيان الآيتين:

الخطاب للمؤمنين وصحابة رسول الله ﷺ، وقد نزلت هذه الآية
 عام الحديبية. قوله ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ
 وَرِمَاحُكُمْ﴾ أي: كان الصيد يغشاهم في رحالهم وهم محرمون
 فمنه ما هو كبير، ومنه ما هو فراخ، ومنه ما ينالونه بأيديهم، ومنه
 ما ينالونه برماحهم، وقد حرم الله صيده ابتلاء لهم كما ابتلى الله
 اليهود بتحريم صيد الحيتان يوم السبت، فامتثلوا ما أمرهم الله به
 فكانوا خيراً من اليهود الذين عصوا أمره. قوله ﴿لَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ
 بِالْغَيْبِ﴾ أي: ليعلم من يمتثل أمره فيتقي الصيد ويعلم من لا يخافه
 فيقتله. ﴿فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: من صاد بعد أن حرم عليه
 ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ لما قال الله في الآية
 السابقة ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ خاطب المؤمنين عموماً
 وبين لهم بشكل قاطع تحريم الصيد للمحرم بقوله ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴿١﴾ أَي: لا تقتلوه وأنتم في إحرامكم لحج أو عمرة ﴿٢﴾ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴿٣﴾ المراد به من يقتل الصيد وهو قاصد قتله عارف ما يفعل ﴿٤﴾ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴿٥﴾ أَي: يكون الجزاء عليه بمثل الصيد الذي قتله ففي بقر الوحش مثلاً بقرة؛ لأنها شبيهة بها وهكذا في كل صيد مقتول يفدى بمثله ﴿٦﴾ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿٧﴾ أَي: يحكم بالجزاء حكمان عدلان؛ ليريا ما يشبه الصيد المقتول من النعم فيحكم به.

وقد جعل الصحابة في النعامة بدنة، وفي بقر الوحش بدنة، وفي الحمامة شاة، وفي كل ما يشبه شيئاً من النعم مثله، فإن لم يوجد ما يشبهه ففيه القيمة ﴿٨﴾ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴿٩﴾ أَي: يذبح الجزاء في الحرم، ويفرق على المساكين فيه. ﴿١٠﴾ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴿١١﴾ أَي: تكون الكفارة إطعام مساكين، وذلك مقابل المثل من النعم بحيث تقوم قيمة الجزاء فيشتري بها طعاماً يطعم منه كل مسكين مدّاً برّاً أو مافي حكمه. ﴿١٢﴾ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴿١٣﴾ أَي: إن لم يجد فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً. قوله ﴿١٤﴾ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴿١٥﴾ أَي: وجبت عليه العقوبة؛ لينال جزاء فعله في مخالفة أمر الله. ﴿١٦﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ ﴿١٧﴾ أَي: إن الله تجاوز عن قتل الصيد في الحرم في زمن الجاهلية. ﴿١٨﴾ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴿١٩﴾ أَي: من استمر على قتل

الصيد في الحرم بعدما علم بتحريمه فسوف ينتقم الله منه، وقد يكون هذا الانتقام في الدنيا أو في الآخرة؛ جزاء ارتكابه ما حرم الله عليه. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي: عزيز في ملكوته، قادر على أن ينتقم ممن يخالف أحكامه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير ابتلاء الله عز وجل لصحابة رسول الله ﷺ عام الحديبية حين كان يغشاهم الصيد بكثرته، فامتثلوا لأمر الله بعدم التعرض له. ومن أحكام الآيتين الحكم بتحريم الصيد على من هو محرم سواء كان في الحرم أو خارجه، فمن فعل ذلك فعليه جزاء مثل ما قتل من النعم كفارة لفعله، فمن صاد ظبياً أو حمامة، فعليه شاة تذبح في الحرم وتفرق على مساكينه، ولا يحكم بذلك الفاعل على نفسه، بل يحكم به عليه اثنان من العدول، فإن لم يجد من النعم ما يشبه ما قتل من الصيد ففيه القيمة، أي: تكون الكفارة إطعام مساكين بحيث تُقَوِّم قيمة الجزاء فيشتري بها طعاماً يطعم منه كل مسكين مدّاً من البر، فإن لم يجد فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً حسب عدد المساكين الذين يجب إطعامهم، ولا يدخل في التحريم صيد البحر.

ويجوز للمحرم قتل الفواسق من الدواب؛ لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خمس فواسق

يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور^(١). ويدخل في حكم هذه الفواسق: الحية والذئب والسبع والنمر والفهد إذا كانت عوادي؛ لما رواه أبو سعيد أن رسول الله ﷺ سئل عما يقتل المحرم؟ فقال: (الحية والعقرب والفويسقة ويرمي الغراب ولا يقتله والكلب العقور والحدأة والسبع العادي)^(٢).

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

بيان الآية:

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي: كل ما يصطاد منه من سمك ونحوه. ﴿وَطَعَامُهُ﴾ أي: ما لفظه وطرحه، وهو المشهور عن ابن عباس وقال به جمع من الصحابة. ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ أي: قوة لكم ولغيركم ممن يرتاد البحر من المسافرين، وقد سبقت الإشارة

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، برقم (٣٣١٤)، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه... صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤٠٩، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، برقم (١١٩٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٣٢٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب، برقم (٨٣٨)، سنن الترمذي ج ٣ ص ١٩٨، واللفظ لأبي داود في كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم من الدواب، برقم (١٩٤٩)، سنن أبي داود ج ٢ ص ١١٢، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم برقم (٣٠٨٩)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠٣٢.

إلى حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث قبلاً الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا فيهم فخرجنا .. فلما انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الظرب، فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشر ليلة» الحديث^(١). ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أي: حرم عليكم صيد البر ما دمتم على إحرامكم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر منه جل ذكره لعباده بالتقوى أي: فيما أمرهم به من طاعته وطاعة رسوله والحذر من معصيته ومعصية رسوله وما نهوا عنه من شرب الخمر ولعب القمار وتعظيم الأوثان. ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: إليه مرجعكم ومعادكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بحلية صيد البحر للمتحلل والمحرم سواء. وحل ما جزر عنه أو طفا عليه، خلافاً للإمام أبي حنيفة بتحريم ميتته^(٢). والأصل في حل طعامه قول رسول الله ﷺ: (أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال)^(٣).

الحكم بكون ماء البحر طهوراً، وقد بينت ذلك السنة، فقد سأل

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب حمل الزاد على الرقاب، برقم (٢٩٨٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١٥٢.

(٢) الاختيار لتعليل المختار للموصلي الحنفي، ج ٥ ص ١٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٠١، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٩٧.

رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء، فإن توضحنا عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) ^(١).

والحكم بحل صيد البر في حال عدم الإحرام؛ أما في حال الإحرام فلا يحل للمحرم أكله سواء صاده بنفسه أم صيد له. والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصد لكم) ^(٢).

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٩٨ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٩٩ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَا لَبِيبٌ لَّعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ۝١٠٠﴾

(١) أخرجه النسائي في كتاب المياه، باب الوضوء بماء البحر، برقم (٣٣١)، سنن النسائي ج ١ ص ١٩٢، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور برقم (٦٩)، سنن الترمذي ج ١ ص ١٠٠، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم (٨٣)، سنن أبي داود ج ١ ص ٤٥، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم (٣٨٧)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٣٦، وأحمد في المسند ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب المناسك، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال، برقم (٢٨٢٧)، سنن النسائي ج ٥ ص ٢٠٥، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم برقم (١٨٥١)، سنن أبي داود ج ٢ ص ١١٣، والترمذي في كتاب المناسك باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم برقم (٨٤٦)، سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٠٣.

بيان الآيات:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي: خلق هذا المكان ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ أي: ملجأ ومقصداً وصلاحاً لهم، وقد حرم الله بيته الحرام وعظمه، وجعل له محبة وهيبة في نفوس الناس، فيلجؤون إليه عند فزعهم، ويعتصمون فيه عند خوفهم قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١). ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ المراد بذلك الأشهر الحرم الأربعة التي حرمها الله فعظمها العرب في نفوسهم، فكانوا يكفون فيها عن القتال، حتى إن الرجل يلقي قاتل أبيه أو ابنه وأخيه فلا يتعرض له. ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ﴾ أي: ما يقلد من الهدى إشعاراً بأنه مهدي إلى الحرم، والمراد أن البيت الحرام، والأشهر الحرم، والهدي، والقلائد، كانت بمثابة الولي أو السلطان الذي يحترمه الناس أي: أنهم يحترمون هذه الشعائر مما يتيسر لهم في البيت الحرام وما حوله من الأمن والرخاء.

وحرمة البيت الحرام معروفة من الدين بالضرورة، وشاهده قول رسول الله ﷺ: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم

(١) سورة العنكبوت من الآية ٦٧ .

يأذن لكم وإنما أذن له فيه ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم
كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب^(١).

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي:
أن ذلك الذي ذكره الله ليعلم المخاطبون أنه يعلم ما في السموات
والأرض ويعلم أحوالهم، وما تقتضيه مصالحهم، وحاجاتهم من
الأمن وغيره. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ليعلموا كذلك أنه
يعلم كل شيء.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: وكما تعلمون أن الله
يعلم ما في السموات والأرض فاعلموا أنه شديد العقاب لمن خالف
شرائعه، وأنه غفور رحيم لمن يطيعه ولا يعصيه.

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾ أي: ليس على الرسول إلا أن يبلغكم
ما أرسل به وعندئذ تقوم الحجة عليكم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي:
يعلم ما تعلنونه ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: ما تسرونه في أنفسكم فلا يخفى
عليه منكم خافية.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ هذا أمر من الله لرسوله
محمد ﷺ أن يقول للناس ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ فبينهما

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب (٥١)، برقم (٤٢٩٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري
ج ٧ ص ٦١٤.

فرق كبير، فالحلال لا يستوي مع الحرام، والدين الصحيح لا يستوي مع المعتقدات الفاسدة، والكلام الطيب لا يستوي مع الكلام البذيء. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ أي: إن المهم ليس في الكثرة بل في العمل الطيب، فالمؤمنون وإن كانوا قلة خير من الكافرين وإن كانوا كثرة، والمال الحلال وإن كان قليلاً خير من المال الحرام وإن كان كثيراً وهكذا. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونِ لَكُمُ الْأَلْبَابُ﴾ أي: اخشوا الله واتقوه يا أصحاب العقول السليمة واجتنبوا كل خبيث من المال وغيره. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ أي: تفوزون في دنياكم وأخراكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير منة الله تعالى على عباده أن جعل بيته الحرام مقصداً لهم، وأمناً وصلاًحاً لهم وجعل في قلوبهم هيبة واحتراماً له. ومن الأحكام: تقرير أنه ليس على رسول الله ﷺ إلا إبلاغ الرسالة إلى الخلق، وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام وأشهد الله ثم أشهد العباد يوم حجة الوداع على ما قام به من البلاغ. ومن أحكام الآيات الحكم بعدم المساواة بين الحلال والحرام مهما كانت كثرة الحرام، وينبني على هذا فسخ البيع إذا كان منشؤه فاسداً كالربا، أو الرشأ، أو الغش، أو الخداع، أو أي صورة من صور الفساد المانع من الحل.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ
وَأِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُم ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ
﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ﴾ في هذا نهى لأصحاب رسول الله ﷺ عن سؤال ما لا يلزم
السؤال عنه حين أكثروا السؤال دون ضرورة له، وفي هذا: روى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون
رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل منهم: من أبي؟ ويقول الرجل
الذي ضلت ناقته: أين ناقتي؟ (١) كما روى علي رضي الله عنه أنه
لما نزل قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا﴾ (٢). قالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت فقالوا في كل

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾
برقم (٤٦٢٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣٠.

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧.

عام ؟ قال: (لو قلت نعم لوجب ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها عذبتم) فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١). فاقضى هذا ذم السؤال من غير لازم. وشاهده أيضاً قول رسول الله ﷺ: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٢).

﴿وَأِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ﴾ أي: وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تبدل لكم تكاليف وتؤمروا بالقيام بها رغم صعوبتها عليكم، وعندما تعجزون عنها يعاقبكم الله والمراد أن الأفضل لكم ألا تسألوا عما لا حاجة ولا ضرورة لكم في السؤال عنه. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عفا الله عما سألتكم عنه مما لا حاجة لكم فيه. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يغفر الخطايا والسيئات ومن صفاته العلية أنه حلیم عليكم فيما يصدر عنكم من كثرة السؤال.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أي: قد سأل عن هذه الأشياء قوم قبلكم ففرضت عليهم فلم يطيقوها ثم أصبحوا بعدم القيام بها كافرين؛ ذلك أنهم سألوها على وجه التنطع

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب فرض الحج ص ٢٨٨٤-٢٨٨٥، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٩٦٢، والنسائي في كتاب المناسك، باب وجوب الحج برقم (٢٦١٨)، ج ٥ ص ١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، برقم (٢٤٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٨٣.

والتكلف، ولم يسألوها على وجه الاستفادة. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (إن أعظم المسلمين من المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسأله) (١).

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ ﴾ أي: ما شرع وحكم ﴿ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت، فلا يطلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يطلقونها من قيدها احتراماً لآلهتهم لا يحمل عليها شيء وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب) (٢). والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل أنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينها ذكر. والحامي: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي (٣).

﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ أي: إن هؤلاء المشركين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه، برقم (٧٢٨٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٢٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾، برقم (٤٦٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾، برقم (٤٦٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣٢.

ابتدعوا هذه الأشياء من عند أنفسهم ومن تقاليدهم وعاداتهم الفاسدة افتراءً وكذباً على الله وما ذلك إلا لأنهم لا يعقلون ولو كانوا عقلاء لما فعلوا ذلك ونسبوه إلى الله كذباً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي: إذا قيل لهم اتبعوا شرع الله وأحكامه فخذوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه. ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: نحن في غنى عن دعوتكم، ويكفينا ما كان عليه آبائنا وأسلافنا؛ لأنهم كانوا على حق. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: أنهم يتبعون أهواء آبائهم وأسلافهم، ولو كانوا على باطل فلا يعلمون من الحق شيئاً ولا يهتدون إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

عدم جواز التنطع في السؤال؛ لقول رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون)، قالها ثلاثاً^(١). وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٢). ومن الأحكام: الحكم بتحريم الابتداع في الدين والحكم بأن كل عمل لا يرجع فيه صاحبه

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم (٢٦٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٧٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال وقول الله تعالى (والله لا يحب الفساد)، برقم (٢٤٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٥ ص ٨٣.

إلى أحكام الله وشرعه فهو مردود عليه، وأن المبتدعين في الدين لا يعقلون؛ لأنهم لو كانوا عقلاء لما نسبوا إلى الله الكذب. ومن الأحكام: تحريم اتباع المبتدعين والجهلة فيما يدعون إليه من البدع والكذب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ^ع إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

بيان الآية:

الخطاب للمؤمنين ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: عليكم الاهتمام بأنفسكم وإصلاحها بالإيمان والتقوى والأعمال الصالحة. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ أي: من ضل عن دينكم، ولم يهتد بالهدى الذي جاء به رسولكم لن يضركم؛ لأنه لا يضر إلا نفسه ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ^ع﴾ إلى الصراط المستقيم، وشاهده أن المؤمنين كانوا يتحسرون على أهل الكفر الذين لم تنفعهم المواعظ وكانوا يتمنون دخولهم الإسلام فخطب الله المؤمنين بأن عليكم بأنفسكم ولن يضركم ضلالهم إذا كنتم مهتدين.

ولما كان بعض الصحابة يتأول الآية على غير حقيقتها خطب أبو بكر فيهم فقال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا

رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه^(١).

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: إليه مآلكم ومعادكم
﴿فَإِنِّي نَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تجدون حينئذ كل شيء
مكتوباً لكم أو عليكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم أنه يجب على العبد أن يطهر نفسه في مطعمه ومشربه،
وأن يزكيها بالأعمال الصالحة وينقيها من أدران الآثام والمعاصي،
ومن مسائل الآية: أن فساد الناس لا يضر العبد، ولكن ذلك لا
يعني سكوته على المنكر، بل يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر - حسب قدرته - فإذا فعل ذلك انتفتت مسؤوليته فلا يضره
إذا فساد الناس. ومن أحكام الآية: تقرير البعث والنشور ومجازاة
العباد بأعمالهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ
الْوَصِيَّةِ أَشْنَانٍ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٤) سنن
ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٢٧، وأحمد في المسند ج ١ ص ٢، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر
والنهي، برقم (٤٣٣٨)، بلفظ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه..»، سنن أبي
داود ج ٤ ص ١٧، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر،
برقم (٢١٦٨)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٠٦.

فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ
شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا
إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ
أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في مخاطبة المؤمنين؛ لإرشادهم لاتباع أحكام الله
وأوامره ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ
اثنان﴾ أي: أنه إذا حضر أحدكم الموت عليه أن يشهد على وصيته
اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين من أقاربكم أو من
غيرهم. ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ
مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: ويجب عليكم الإشهاد على وصيتكم اثنين من
غير المسلمين إذا كنتم في سفر ولم تجدوا مسلمين يشهدون عليكم.
﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: بعد صلاة العصر حال
اجتماع المسلمين، فإذا ارتبتم في عدالتهما وصدقهما ﴿فَيُقْسِمَانِ

بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴿١٤٣﴾ أي: يحلفان أنهما لم يشتريا بأيمانهما ثمنًا قليلًا، أي: أنهما لم يخونا في شهادتهما ولم يشتريا بها عرضاً من عروض الدنيا. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المشهود عليه ذا قرابة لنا لن نحابيه. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: ولا نكتم الشهادة لأنها أمانة. ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ أي: إذا كتمناها فسنرتكب إثماً وخطيئة.

﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ فإن تبين أن هذين الشاهدين كذبا في شهادتهما، أو خانا الموصي بأن سرقا شيئاً من ماله ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: يقوم اثنان من المستحقين للتركة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا﴾ أي: أن شهادتنا عليهما بالخيانة والسرقة أصح وأثبت من شهادتهما ﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا﴾ أي: أننا لم نعتد عليهما في اتهامنا لهما بالخيانة والسرقة ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إننا لو كذبنا عليهما فيما قلناه سنكون من الظالمين.

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ أي: أقرب أن تكون شهادتهما صادقة، لا كذب ولا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: أن يكون دافع هذين الشاهدين بالإتيان بالشهادة على

وجهها الصحيح خوفهم من الفضيحة إذا كذبوا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أقوالكم وأيمانكم. ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمركم الله به من الأحكام. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين أمرهم بالهدى فلم يهتدوا، وأمرهم بالحق فلم يمتثلوا.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام الحث على الوصية في حضر العبد وسفره، وشاهده قول رسول الله ﷺ: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)^(١). ومنها: الحكم بوجوب الإشهاد على الوصية، ويجوز للحاكم تحليف الشهود إذا شك في شهادتهم. ومنها: الحكم بجواز شهادة غير المسلم. ومنها: جواز إشهاد غير المسلم على وصية المسلم إذا تعذر وجود شاهد مسلم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾

بيان الآية:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ أي: يوم القيامة، فيفزعون فيقول لهم ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم الأمم التي أرسلتم إليهم. وشاهده

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ «وصية الرجل مكتوبة عنده»، برقم (٢٧٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج ٥ ص ٤١٩.

أيضاً قوله عز ذكره ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١). ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ أي: يقولون إن علمنا قاصر عن علمك الواسع، فنحن نعلم ما ظهر منهم من قبول الدعوة أو إنكارها؛ أما سرائرهم فأنت أعلم بها منا ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ أي: أنت عالم الغيب المحيط بكل شيء من أفعال عبادك. وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ في شأن الكوثر: - كما سبق ذكره - (هو حوض ترد عليه أمتي فأقول رب أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(٢).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير عظم يوم القيامة وما فيه من الأهوال التي يذهل لها العباد بما فيهم الرسل عليهم السلام فيسألهم الله جل جلاله - وهو أعلم بهم - عما أجابهم الذين دعوهم إلى عبادته وتوحيده فيجيبون بلسان واحد عما ظهر لهم من أقوامهم من قبول دعوتهم، أو إنكارها؛ أما سرائرهم فلا يعلمونها وإنما يعلمها هو جل ثناؤه.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ

(١) سورة الأعراف الآية ٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، برقم (٤٠٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٥٥٣ .

مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي^ط
وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ
كَفَفْتُ بِنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ
أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴿١١٢﴾

بيان الآيتين:

لما بين الله في الآيات السابقة حال عيسى وأنه عبد من عبيده
وأن من يقول بألوهيته أو يجعله ابناً أو شريكاً له يعد كافراً، بين
عز ذكره أنه يخاطب عيسى بقوله ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ أي:
اذكر ما أنعمت به عليك من الكرامات فقد خلقتك بكلمة وبدون أب
خلفاً للمعتاد في سائر خلقي وجعلتك نبياً وأنطقتك في المهد. ﴿وَعَلَى
وَلَدَتِكَ﴾ حيث برأتها مما نسبها لها اليهود وطهرتها واصطفيتها
على نساء العالمين. ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: جبريل
﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: كلمت الناس وأنت طفل
صغير، خلاف الآخرين الذين لا يتكلمون في هذه السن وكهلاً، أي:
كما كلمت الناس في المهد، كلمتهم وأنت كهل تدعوهم إلى الله. ﴿وَإِذْ
عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: علمتك
الكتاب والحكمة أسرار الدين والتوراة التي أنزلت من قبلك على موسى

كما علمتك الإنجيل الذي أنزل عليك. ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي: علمتك كيف تصور وتُشكِّل من الطين على هيئة
الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً. ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي﴾ أي: تبرئ بإذني الأكمه أي: الذي ولد أعمى والأبرص من به
مرض البرص وهو بياض تحت الجلد. ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾
أي: تخرجهم من قبورهم أحياء، حيث قال له بنو إسرائيل ناد سام
بن نوح فوقف على قبره، فناداه فقام حياً. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: منعتهم من إيدائك حين اتهموك بأنك ساحر
وحاولوا قتلك فرفعتك إلي.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾
الحواريون أنصار عيسى وأتباعه، والوحي الإلهام، وليس بالمعنى الذي
يوحي به إلى الملائكة والمراد ألهمتهم أن يؤمنوا بك ويصدقوك ﴿قَالُوا
ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: قالوا لله: اشهد بأننا مسلمون.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام تقرير إنعام الله وفضله على عيسى ابن مريم عليه
السلام بما أعطاه من المعجزات دلالة على نبوته. ومنها: أن المراد

بالوحي الذي أوحاه الله إلى الحواريين الإلهام، وليس بمعنى الوحي الذي يوحي به إلى الملائكة والرسل.

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝١١٣ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١٤ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝١١٥ ﴾

بيان الآيات:

المائدة هي الخوان الذي يوضع عليه الطعام، وهذه من الكرامات التي امتن الله بها على عيسى حين سأله أتباعه أن ينزلها عليهم فنزلت، وبها سميت هذه السورة. ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ أي: أتباع عيسى ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: يكون فيها طعام نأكل منه كل يوم لحاجتنا إليه ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا جواب استغراب منه أن يسأل ربه هذا السؤال فقال لهم: اتقوا الله واعملوا واحصلوا على معاشكم من

جهدكم وعملكم، فلم يقتنعوا بكلامه فقالوا ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: نحن في حاجة إلى الأكل منها، وهذا يدل على فقرهم وعوزهم ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ أي: حين نراها تنزل من السماء ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي: يزداد إيماننا برسالتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: نشهد أنك نبي وأن الله أرسلك إلينا.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ لما ألحوا على عيسى بهذا السؤال، سأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء قوله ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: تكون لنا مناسبة ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي: من يأتي بعدنا فقل: إنها نزلت عليهم يوم الأحد، فلهذا جعل النصارى يوم الأحد عيداً لهم^(١). ﴿وَعَايَةً مِنْكَ﴾ أي: قال عيسى في دعائه، وأن تكون هذه المائدة آية أي حجة عليهم ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ أي: امنن علينا بفضلك ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: أنت خير المتفضلين.

﴿قَالَ اللَّهُ﴾ هذا جواب من الله عز وجل لعيسى، قائلاً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ فكان وعداً منه جل ذكره وقد أنزلها عليهم لحماً وخبزاً^(٢). ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ أي: فمن جحدها أو كذبها من

(١) زاد المسير في علم التفسير ص ٤٢٠ .

(٢) تفسير البغوي ص ٤٠٨، وزاد المسير ص ٤٢١، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم

(٣٠٦١)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٢ .

﴿فَاتَىٰ أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾
 أي: سأذيقه عذاباً شديداً لا أعذب به أحداً في زمانكم. وقد كفروا
 بها حين قال بعضهم: أهى من طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟
 قال عيسى: أما أن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا
 عن تنقيير ما أخوفني أن تعذبوا. وقد عذبوا كما ورد في الأثر أنهم
 مسخوا قردة وخنازير^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء سلوك الحواريين؛ بسبب سؤالهم إنزال مائدة من
 السماء عليهم؛ لكي يصدقوا نبوة عيسى ورسالته واستنكاره عليه
 السلام لسؤالهم وتوجيهه لهم أن يتقوا الله إن كانوا حقاً مؤمنين
 ومن مسائل الآية: استجابة الله عز وجل لعيسى حيث أنزل على قومه
 المائدة ابتلاء لهم، ولما شكوا فيها حين تساءلوا عما إذا كانت من طعام
 الدنيا أم من طعام الجنة مقتهم الله.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
 وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا
 لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١١٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ١٣٦، وأخرجه
 الترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٦١)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٢.

مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لما كان عيسى عليه السلام قد أرسل إلى قوم لم ينتفعوا بما أتاهم به من الهدى، وإنما ضلوا فأشركوه وأمه مع الله فيناديه الله يوم القيامة بقوله: هل قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ والمراد منه إقامة الحجة على النصارى الذين قالوا بألوهيته هو وأمه فيكون جوابه عليه السلام ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: إنه يستغفر الله ويقول لربه: حاشا أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها، فأنت الرب، وأنت الإله، وأنت الخالق، وأنا عبد من عبيدك. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ أي: إن كنت قلته فأنت أعلم به، والله يعلم أنه لم يقله؛ لأنه مجرد رسول يبلغ الرسالة، وحاشاه وهو بهذه الصفة أن يدعي ما كذب به عليه النصارى، ولكن الله عز ذكره أراد أن يوبخ النصارى على شنيع فعلهم. ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ الجواب متصل

من عيسى لربه يقول فيه: أنت يارب تعلم ما في نفسي وما كنت أجهر وأسر به، ولكني لا أعلم ما في نفسك؛ لأنني لست إلا عبداً من عبيدك لا حول لي ولا طول إلا ما امتننت به علي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أي: أنت الذي تعلم ما كان في الكون كله، وما يكون فيه.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ أي: ما قلت لهم إلا ما أمرتني أن أقوله وهو ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: اعبدوه وحده لا شريك له، لا رب غيره، ولا إله سواه ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: كنت رقيباً وحفيظاً عليهم وقت وجودي لديهم، وذلك بما أمرتهم به مما أمرتني به. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً بموعظة فقال: (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١) ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) (١).

﴿إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لما قال عيسى عليه السلام: إنه كان الرقيب عليهم قبل وفاته قال لربه: هؤلاء الذين عصوك هم عبادك فإن عذبتهم فأنت ربهم ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: القوي فيما تريد وتفعل وأنت ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قولك وفعلك. وفي قوله عليه السلام في مناجاته لربه براءة من عصيان قومه وقيل: إن قوله هذا هو على وجه التسليم لأمره والاستجارة من عذابه (٢).

أحكام ومسائل الآيات:

إقامة الحجة على النصارى يوم القيامة، وذلك ببراءة عيسى وأمه عليهما السلام منهم وإنكاره لما يقولونه من تأليهه وأمه مع الله أو إشراكهما في ربوبيته. ومن مسائل الآيات وأحكامها: أن عقاب العباد أو العفو عنهم راجع لمشيئة الله وحكمته وإرادته فيهم، فهو العليم بأحوالهم وسرائرهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾، برقم (٤٦٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٧٨.

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠**

بيان الآيتين:

بعد مناجاة عيسى لربه أجابه عز وجل ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ أي: هذا اليوم - يوم القيامة - هو اليوم الذي ينفع المؤمنين إيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم لربهم، فلهم على ما عملوا ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أي: سيدخلون الجنة ويكون لهم الخلود فيها. ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: رضي عنهم بما امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: بما أثابهم على عملهم من دخول الجنة والخلود فيها. ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: هذا الذي آل إليه المؤمنون هو الفوز الذي لا أعظم منه وهو رضوان الله عليهم.

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ لعل المراد أن النصرارى لما جعلوا عيسى إلهاً رد الله عليهم به بأنه هو المالك المطلق للسموات والأرض ومن فيهن، وهو المتصرف الدائم الذي لا يزول ولا يحول،

وكل الخلق ومنهم عيسى تحت مشيئته وحكمه وتصرفه وإرادته
﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على كل شيء فتقدست
أسماءه وصفاته، وجل جلاله لا إله إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصدق وفيه قول رسول الله ﷺ: (عليكم بالصدق
فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل
يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) الحديث^(١).
والحكم بأن الله مالك السموات والأرض وكل من فيهما وما بينهما
فهو المعبود وحده فمن عبد غيره فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة.



(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)،
صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٣٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مكية وعدد آياتها مائة وخمسة وستون آية

وقيل: إن بعضها نزل في المدينة (١).

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ۞ ﴾

بيان الآيات:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الحكم بأن الحمد لله عز وجل المتفرد بالألوهية فلا يحمد أحد بحق سواه. ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ في هذا بيان عن قدرته في خلق السموات والأرض على النحو المحسوس المتجلي في هذا الكون بآياته من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وكل ما فيه من الآيات البينات الدالة على قدرته وصنعه. ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ المراد بالظلمات سواد الليل والمراد بالنور بياض

(١) غالب آيات هذه السورة عن المشركين وكونهم يعدلون مع الله غيره وفيها يبين الله تعالى قدرته، ويسلي نبيه ورسوله محمداً ﷺ عما يتعرض له في سبيل الدعوة إليه.

النهار وضوءه وقد خصهما الله بالذكر بعد ذكر خلق السموات والأرض؛ ذلك أنهما من المحسوسات البينة التي يشهدها المرء فعلاً حين يتعاقب عليه الليل والنهار فلا يستطيع إنكارهما. ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: ومع هذه البينات المعجزات الدالة على قدرة الله وصنعه ونعمه على خلقه يجعل الكافرون معه عدلاً أي: شريكاً مساوياً.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ المراد به آدم خلقه الله من طين ومنه تناسل الخلق وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (١). ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾. ﴿أَجَلًا﴾ أي: أجل كل نفس وشاهده قول الله جل ذكره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢). ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أي: يوم القيامة سماه الله فلا يعلمه إلا هو كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (٣). ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: أن الذين يعدلون بربهم يشكون في أمر الساعة.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو القائم بتدبير السموات والأرض وكل ما فيها من المخلوقات. ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٤ .

(٣) سورة لقمان من الآية ٣٤ .

أي: وهو في هذا المقام من التدبير والتصرف في خلقه يعلم ما تسرون في أنفسكم من الإيمان أو الكفر ويعلم ما تجهرون به في أقوالكم وسائر تصرفاتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أي: مطلع على ما تكسبونه من خير أو شر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الحمد لله وحده، وهذا يقتضي أن يحمده العباد حق حمده ويشكروه حق شكره على ما أنعم به عليهم من النعم العظيمة. ومن الأحكام: تقرير قدرة الله عز وجل في خلق الكون وخلق الخلق وتقدير أرزاقهم وآجالهم. ومنها: إنكار الله على الذين يعرفون قدرته ويرونها في أنفسهم، ويعرفون أنه يعلم سرهم ونجواهم، ومع ذلك يشركون معه أصنامهم وأوثانهم التي لا تملك لنفسها ولا لهم ضراً ولا نفعاً.

﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ لَكُمُ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ .

بيان الآيات:

السياق في المشركين الذين يعدلون بربهم. قوله ﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: وما يروونه من آية من آيات الله كخسوف القمر أو كسوف الشمس، أو الرياح الدالة على تدبير الله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: لا يبالون بها ولا يتعظون بها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ومع إعراضهم عن الآيات كذبوا بالحق أي: القرآن الذي جاء به إليهم رسول الله محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ في هذا تهديد شديد لهم أي: سوف ينالهم العقاب لقاء استهزائهم بالقرآن وبما جاءهم من البينات.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ ما زال السياق في المشركين وكفرهم وجحودهم لآيات الله والمراد بالقرن الأمة، والمعنى ألم يعتبروا بما أهلكنا من قبلهم من الأمم ﴿مَكَثَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَّهُمْ﴾ أي: من القوة في الأموال والأولاد وبسط الرزق في الأرض ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا﴾ المراد به إنزال المطر الكثير والمتكرر ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ أي: كانت مياه الأنهار تجري في حقولهم وبساتينهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم بالله. ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي:

لما أهلكناهم جعلنا من بعدهم أناساً آخرين والمراد تحذير المشركين عما سيصيبهم من العذاب والهلاك مثلما أصاب الذين من قبلهم وكانوا أكثر وأشد منهم قوة.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بمن يعرض عن آيات الله أو يكذب بالحق أو يستهزئ به، وتقدير ما سيناله من العقاب، وهذا يشمل كل من يفعل ذلك في أي زمان أو مكان. ومن مسائل الآية: وجوب الاعتبار بما حل للأمم السابقة من الهلاك؛ بسبب إعراضهم عن الحق الذي جاءت به رسلهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (٩) وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ أي: لو نزلنا عليك يا محمد كتاباً في قرطاس أي: ورق الكاغد ونحوه فوضعناه أمامهم

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: أمسكوا به حساً وشاهدوه بأعينهم ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المشركون ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: إن هذا سحر وليس كتاباً في قرطاس. وشاهد هذا قول نوفل بن خويلد وعبدالله بن أبي أمية والنضر بن الحارث ﴿لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (١). ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٢). كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ما زال السياق في المشركين فمع طلبهم أن تفجر لهم الأرض ينابيع حتى يؤمنوا قالوا ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: لو جاء مع رسول الله محمد ﷺ ملك نراه ونشاهده والجواب عليه قول الله جل ذكره ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: إن الله لا ينزل إلى البشر ملكاً، فلو أنزل ملكاً أنزله في صورة رجل كحال جبريل حين ينزل بالوحي، ولو أنزل الله ملكاً ثم لم يصدقوه لأهلكهم؛ لأن حكمته اقتضت أن من طلب آية فجاءته ثم لم يؤمن ولم يصدق بها أهلكه الله كما حدث للذين نزلت عليهم المائدة ثم تساءلوا بينهم أهى من طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فكفروا بها فمسخهم الله قردة وخنازير كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ

(١) سورة الإسراء من الآية ٩٠. وانظر: تفسير البغوي ص ٧٥٨، وزاد المسير ص ٨٣١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩١.

مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: أن الملائكة خلقوا من نور، فلا يستطيع البشر أن يروهم إلا بعد أن يكونوا على صورة رجال. ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: لو جعلنا الملك الذي ينزل عليهم رجلاً لألبس عليهم وقالوا: هذا مثلك يا محمد، والمراد أنهم مكذبون لرسول الله لا تنفع فيهم المواعظ، ولا يستدلون بالآيات.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ أن قوماً مثل هؤلاء المشركين قد استهزؤوا بالرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: حل بالذين سخروا واستهزؤوا ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: حل بهم العذاب جزاء فعلهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المستهزئين المكذبين لآيات الله ورسوله ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ أي: تدبروا واعتبروا بما حدث للأمم التي كذبت رسلها ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: كيف أهلكهم الله بسبب

ذنوبهم وتكذيبهم لرسلمهم وأنتم لن تكونوا أحسن منهم إذا استمررتم على شرككم وكفركم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين ضلوا في أنفسهم واستمرؤوا الشرك والكفر لا يصدقون بالآيات، فلو أنزلت عليهم آية لأولوها على غير حقيقتها وحينئذ يهلكهم الله؛ لأن حكمته اقتضت إهلاك من يطلب آية ثم لا يؤمن بها. ومن مسائل الآيات: أن الله لا يرسل إلى الخلق رسلاً من الملائكة؛ لأنه لو أرسلهم لقالوا نريد أن يكون بشراً مثلنا؛ لهذا فقد اقتضت حكمته أن يكون الرسل من بين الأمم أنفسهم. ومنها: أن تكذيب الرسل والاستهزاء بهم سمة عامة في الأمم، وقد أمر الله رسله بالصبر في دعوتهم كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١). ومن أحكام الآية: وجوب الاعتبار بما حل بالأمم الماضية من الهلاك والعذاب بسبب كفرهم.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥.

وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأُمِينُ ﴿١٦﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم يا محمد: لمن ما في السموات والأرض؟ فإن أجابوك بأن قالوا: لمن هو؟ فقل لهم ﴿لِلَّهِ﴾ فإن اعترفوا أو سكتوا، فالحجة قائمة عليهم. ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: فرض على نفسه ألا يعجل لهم العذاب بل يعطيهم مهلة؛ ليتفكروا ويتدبروا كما قال عز ذكره ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). قوله ﴿لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اللام للقسم، والمراد أن الله سوف يجمعهم يوم القيامة بلا ريب ولا شك فينبئهم بما كانوا يعملون من السيئات ويجزون عليها. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المراد أن الذين ضيعوا أنفسهم بالشرك وبالمعاصي لا يصدقون بيوم القيامة.

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٤.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ لما ذكر الله جل وعلا أن له ما في السموات والأرض، وأنه كتب على نفسه الرحمة وسيجمع الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء، بين أن له كل ما سكن في الليل والنهار، فكل سكون في الليل، أو حركة في النهار هو بتدبيره وحكمته. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لعلانية العباد، العليم بسرهم. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ المراد أن رسول الله ﷺ لما جاء إلى المشركين بالرسالة كذبوه، ودعوه إلى عبادة أوثانهم فأمره الله أن يقول لهم: حاشا أن أتخذ إلهاً غير الله فهو المعبود وحده، وكل عبادة غيره باطلة. وشاهده أيضاً قوله عز وجل ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(١). قوله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مكونهما ومبدعهما وصانعهما، فلا أعبد إلا هو ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي: هو الذي يعطي ولا يُعطى، ويرزق ولا يُرزق. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: إني مأمور من الله عز وجل أن أستسلم له بالطاعة والامتثال لأمره والتبرئ من الشرك وأهله. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وإني مأمور ألا أكون من المشركين، بل أتبرأ منهم.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: إن الله أمرني أن أستسلم

(١) سورة الزمر الآية ٦٤.

له وألا أكون من المشركين، فإن عصيته فإني أخاف ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: أخاف وأخشى أن يعذبني يوم الحساب والجزاء.

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ يَوْمٍ﴾ أي: من يصرف الله عنه العذاب يوم الحساب والجزاء ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: غفر له وعفا عنه ﴿وَذَلِكَ أَلْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن رحمة الله هي الفوز الذي يتمناه العبد يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله كتب على نفسه الرحمة لعباده، وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش)^(١). ومن الأحكام: تقرير البعث والنشور يوم القيامة. ومنها: الحكم بأن كل مافي الكون من سكون وحركة إنما هو بتدبير الله وتصريفه. ومن الأحكام: أن كل ولاية غير ولاية الله محرمة، فالله هو الولي لخلقه، فمن ابتغى ولاية غيره فهو خاسر مطرود من رحمته. ومنها: أن الله جل ثناؤه هو المعطي، والمانع، فلا رازق إلا هو، ولا مانع إلا هو. ومن الأحكام: وجوب الاستسلام لله بالطاعة، والبراءة من الشرك به. ومنها: أن رحمة الله هي الفوز الذي يتمناه العبد.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ في تَوْحِيدٍ مَّحْفُوظٍ برقم (٧٥٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٥٣٢.

﴿وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ۚ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَةَ أُخْرَى ۚ
قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ في هذه الآية
خاطب الله نبيه، والمراد أن ما قد يصيبك من مرض أو فقر أو أذى
من المشركين فلن يكشفه إلا الله، فهو الذي ينفع ويضر وينزل المرض
ويشفي منه. ونظيره قوله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١). ﴿وَأِنْ يَمْسَسْكَ
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢). ﴿وَأِنْ
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: وإن يمتن عليك بالصحة والعافية والرزق ﴿فَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على الضر والنفع.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: له الغلبة والقوة، لا راد لأمره،

(١) سورة يونس الآية ١٠٦.

(٢) سورة يونس الآية ١٠٧.

ولا معقب لحكمه، خضعت لعظمته الرقاب وذلت لجبروته الأعناق لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في كل أفعاله وتدبيره ﴿الْخَبِيرُ﴾ بما يعمله عباده في سرهم وعلاانيتهم.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ لما قال المشركون لرسول الله ﷺ: من يشهد لك أنك نبي؟ أمر الله نبيه أن يقول لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ أي: من هو أعظم شهادة؟ والجواب ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: هو الشاهد على نبوتي والمراد أن شهادة الله أعظم شهادة، فهو الذي خلق الخلق، وهو الإله الذي له الألوهية وهو المطلع على أعمال خلقه، فهو شهيد على أنني قد بلغتكم ما أرسلني به إليكم وهو عباده وحده. ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ أي: وهذا القرآن المنزل من عند الله يشهد أنني نبي ومرسل إليكم. ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ﴾ أي: لأحذركم من سوء كفركم وشرككم ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: أنذر من بلغ منكم الحلم ﴿أَيِّنْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ سؤال توبيخ وذم، أي: إذا كنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى كتقديسكم اللات والعزى فأنا لا أشهد معكم؛ لأن فعلكم شرك وكفر، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾؛ لأن الله إله واحد لا رب غيره، ولا إله سواه، وهو معنى قوله ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: أتبرأ منكم ومن شرككم وكفركم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا يكشف الضر إلا الله، وهذا يقتضي من العبد وجوب اللجوء إليه في السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، وفي الصحة والمرض، ولكن هذا لا يمنع العبد من فعل الأسباب، بل هي واجبة عليه والله هو المقدر والمدبر. ومن الأحكام: تقرير شهادة الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالنبوة والرسالة ونزول القرآن عليه، وهذه أعظم وأجل شهادة. ومنها: أن الله أنزل القرآن، فيه البشارة والندارة، وهذا يقتضي أن الحجة قائمة على العباد إذا لم يمتثلوا مافيه. ومن الأحكام: وجوب البراءة من الشرك وأهله.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ المراد أن اليهود والنصارى

الذين أوتوا التوراة والإنجيل يعرفون نبوة محمد ورسالته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ أي: أنهم كما يعرفون آبائهم، ويميزونهم، يعرفون محمداً ﷺ، وهذا تأكيد لمعرفة لهم؛ لأن المرء لا يماري في معرفته لأبنائه. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: مالوا عن الحق إلى الباطل، وصدقوا شياطينهم وكذبوا رسول الله محمد ﷺ. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ رغم علمهم بنبوته ورسالته في كتبهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المراد أنه لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: كذب على الله من قال: إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، أو كذب أحد رسله كحال المشركين الذين قالوا: إن محمداً ﷺ ليس رسولا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: كذب بالقرآن ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يفلح من افترى الكذب أو كذب بالآيات.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوم نجتمعهم يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: نقول للذين جعلوا مع الله إلهاً آخر ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم ينفعونكم هل ينفعونكم الآن في هذا اليوم الذي يحاسب فيه الناس بما عملوا ؟ فيرون أنه لا ينفعهم أحد كانوا يشركونه مع الله.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ أي: ليس لهم حجة بعدما شاهدوا الهول في ذلك اليوم. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أي: إنهم ينكرون أنهم كانوا يعبدون من دون الله إلهاً آخر ويتبرؤون من عبادة الأصنام والأوثان، وعندئذٍ تنطق ألسنتهم وجوارحهم فتشهد عليهم وشاهده قول الله جل ذكره ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). وعندئذٍ يتحسرون، وقد أخبر الله عنهم بقوله عز ذكره ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٢).

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ بهذا خاطب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أي تأمل: كيف أن المشركين كذبوا على أنفسهم بقولهم ﴿وَاللَّهُ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون عندها القرابين ويعتقدون أنها تنفعهم وتقربهم إلى الله، فلما رأوا هول يوم القيامة تنصلوا منها ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: وتأمل يا محمد كيف خابت آمالهم وظنونهم وزعمهم في شفاعة أصنامهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى يعرفون نبوة

(١) سورة فصلت الآية ٢٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٢ .

ورسالة رسول الله ﷺ في كتابهم كما يعرفون أبناءهم وهذا غاية الكمال في المعرفة، ولكنهم ينكرون الحق عمداً ولهذا خسروا أنفسهم. ومن الأحكام: أن من أعظم الظلم وأشدّه افتراء الكذب على الله أو التكذيب بآياته. ومنها: تقرير أن المشركين حينما يرون يوم القيامة أن عبادتهم للأصنام لا تنفعهم ينكرون فعلتهم فتنتطق حينئذ جوارحهم فتشهد عليهم بما كانوا يعملون.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ ۚ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۚ﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي: من المشركين من يسمع ما تقول
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أي: أنهم في سماعهم لم يقصدوا الاهتداء والاسترشاد بما تقول؛ فلهذا جعلنا على قلوبهم أكنة أي: حُجُباً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: يفهموا ما قلت لهم ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: وجعلنا في آذانهم وقراً أي: صمماً بحيث لا يسمعون ما قلت لهم، وليس المعنى أنهم لا يفقهون أو يسمعون ما كان رسول الله ﷺ يقوله، بل لأن

كفرهم وسوء قصدهم وعدم اقتناعهم بما كان يقوله لهم جعلهم لا يفقهون القول الذي يهتدون به.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ المراد أنهم مهما يروا من الآيات الدالة على وحدانية الله لا يؤمنوا بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ أي: يحاجونك ويناظرونك ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي يقولون: لا تصدقوا محمداً بما يقول من أن هذا قرآن منزل من عند الله، وإنما هو قصص وحكايات نقلها لكم عن الأولين. وفي هذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنهم سألوا النضر بن الحارث عما يقول محمد قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية^(١).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: أن المشركين ينهون عن تصديق رسول الله ﷺ ومتابعته ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يبعدون هم أنفسهم عنه فيجمعون بذلك بين كفرين. ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: أنهم بفعلهم هذا ما يضررون إلا أنفسهم، أما دين الله ونبوة نبيه فلن يضرهما أحد. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون بسوء فعلهم؛ لأن الله جعل على قلوبهم أكنة وجعل في آذانهم صمماً.

(١) وكان هذا يروي الحكايات ويقص القصص والأساطير، ينظر: تفسير البغوي ص ٤١٦.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المرء إذا استمرأ الكفر وأعرض عن آيات الله لم يعد يفهم القول الذي يهديه إلى الحق ويبعده عن الباطل. ومن أحكام الآية أن من أشقى الناس من يعرض عن اتباع الحق وينهى غيره عن اتباعه. ومنها: أن من يعرض عن الحق، إنما يضر نفسه ويهلكها أما دين الله ونبوة نبيه فلن يضرهما أحد.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧) بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ المراد أن المشركين حينما يوقفون على النار فيرون عظم هولها يصابون بالحسرة والندامة والخوف ﴿فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ أي: ليتنا نرجع إلى الدنيا فلا نكذب بآيات ربنا ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نؤمن إيماناً صادقاً حتى ينجيننا من عذاب النار.

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفونه من الشرك وشاهده قولهم ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ هذا بيان من الله الذي يعلم سرائرهم أنهم لو ردوا إلى الحياة الدنيا كما تمنوا لرجعوا إلى الشرك ﴿وَلِإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: أنهم في قولهم وتمنيهم العودة إلى الدنيا ليكونوا مؤمنين ليسوا صادقين فالله يعلم كذبهم.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: لو ردوا إلى الحياة الدنيا لعادوا إلى شركهم ولقالوا كما قالوا من قبل ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: إن حياتنا واحدة هي الدنيا وليس لنا حياة أخرى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ توكيد لكفرهم بيوم البعث.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لما ذكر الله عز ذكره كفرهم بالبعث قال مخاطباً نبيه ورسوله محمداً ﷺ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: بين يديه قال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: خاطبهم في توبيخ وتهديد أليس هذا هو يوم البعث الذي كنتم تنكرونه وتقولون إن هي إلا حياة الدنيا وحدها ؟

فيقرون بما رأوا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أي: هذا هو يوم البعث الذي جمعت فيه الخلائق، فيجيبهم الله بأن هذا هو اليوم الذي تجزون فيه؛ لقاء كفركم ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن أهل الكفر يتمنون يوم القيامة أن يردوا إلى الحياة الدنيا؛ لكي يؤمنوا بآيات ربهم، وذلك حين يظهر لهم ما كانوا يخفونه من الكفر. ومن الأحكام: تأكيد كفر المشركين بالبعث واستحقاقهم العذاب جزاء كفرهم به.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ۞ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ أي: خاب الذين أنكروا البعث ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي: القيامة، والبغطة: الفجأة أي: فاجأتهم القيامة وهم على كفرهم فيندمون ويقولون ﴿ يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ المراد أنهم يندمون ويتحسرون ويتجرعون الألم؛ لقاء تفريطهم وعدم استعدادهم لهذا اليوم. ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: يحملون ذنوبهم ومعاصيهم على ظهورهم وهذا مجاز، لحملهم ذنوبهم، مثلهم في ذلك مثل من يحمل أثقالاً

على ظهره. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئس الذي يحملونه والمراد به ذنوبهم.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لما ذكر الله جل وعلا قولهم بأنه ليس هناك إلا حياة الدنيا، وأن الساعة إذا جاءتهم فجأة ندموا على ما فرطوا بين جل وعلا أن الحياة الدنيا مجرد لعب ولهو أي: يلعب المرء فيها ويلهو مدة من الوقت ثم يفارقها إلى الدار الباقية. ﴿وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: إنها خير للذين يتقون الشرك والكفر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ استفهام إنكاري عليهم حين يلعبون ويلهون في الدنيا ويتركون العمل للآخرة الباقية.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير خسران من ينكر لقاء الله ولم يعمل صالحاً لذلك اليوم الذي لا ريب فيه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢). ومن الأحكام: أن الساعة لا تأتي إلا بغتة. ومن مسائل الآيتين: أن الحياة الدنيا مجرد لهو ولعب وأن الآخرة خير للمتقين، وهذا يقتضي أن العقلاء يجب ألا يغتروا بالحياة الدنيا.

(١) سورة غافر من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٢٧ .

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ لما مر بأبي جهل وأصحابه قالوا: يا محمد نعلم أنك ما تكذب ولكن لا نصدق ما جئت به، وقد حزن رسول الله ﷺ لتكذيبهم رسالة الله، فخاطبه الله أنه يعلم حزنه ثم قال ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: ينكرون الرسالة وهي الحق الذي جاءهم من عند الله.

وقد روي أن الأحنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية، والحجابه، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟^(١).

(١) ذكر محمد بن إسحاق في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة رسول الله ﷺ من الليل =

قلت: وعداء كفار قريش لم يكن أساسه جهلهم بما جاء به رسول الله ﷺ فهم يعرفون أنه أمين فيما قال، وأنه رسول من عند الله، لا يمارون فيه، ولكنهم لا يريدون أن تكون النبوة في بني عبد مناف حسداً لهم، وما كان يكره أبو جهل ومن معه هو سلوك أهل الكتاب فهم يعرفون أن محمداً نبيٌّ ورسولٌ من عند الله كما يعرفون أبناءهم؛ لأن التوراة والإنجيل بيّنّا ذلك بياناً واضحاً ومع ذلك استبد بهم الحسد فأنكروا رسالته. وقد كشف نفر منهم هذه الحقيقة بعد أن أسلموا، بدءاً من عبد الله بن سلام وصحبه، ولا يزال قوم منهم في هذا العصر، وخاصة من القساوسة والرهبان يتركون دينهم ويدخلون في الإسلام بعد أن تبين لهم أن محمداً ﷺ خاتم

=هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر أحد منهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصباح تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال كل منهم للآخر ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء به ثم تعاهدوا ألا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظناً أن صاحبيه لا يجيئان لما سبق من العهود، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا ثم تعاهدوا ألا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجافينا على الركب وكنا كفريسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقها قال: فقام عنه الأخنس وتركه. سيرة ابن إسحاق ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

الرسل وأن دينه آخر الأديان، وأن موسى وعيسى عليهما السلام أخبرا عنه وبشرا به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ والمراد أنه كما كذبك المشركون فقد كذبت من قبلك أمم رسلها كقوم إبراهيم، ونوح، وموسى، وهود، وصالح، وغيرهم من الأنبياء ﴿فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا﴾ أي: أنهم استعانوا بالله ثم بالصبر على قومهم وما نالهم من الأذى منهم، فاصبر مثلهم وشاهده قوله جل ذكره ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١). ﴿حَتَّىٰ أَنهَمْ نَصْرًا﴾ أي: أنهم صبروا حتى جاءهم النصر من عندنا، وكما كان لهم النصر سيكون لك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: إن وعد الله لأنبيائه ورسله بالنصر حقيقة لا تتبدل ولا تتغير، فلا يقدر أحد أن يرد ما وعد الله به ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من تاريخهم وأخبارهم ما يسليك.

﴿وَإِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: إذا صعب عليك توليهم وعدم تصديقهم لما جئت به ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إن قدرت أن تعمل نفقاً أي: أخدوداً تأتي منه بآية لهم أو إن قدرت أن تأتي بسلم تصعد به إلى السماء فتأتيهم بآية

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

يؤمنوا بها فافعل والمراد أنك لا تستطيع ذلك ولو كنت حريصاً على إيمانهم. أو يكون المعنى أنك يا محمد من حرصك على إسلام قومك لو كنت تستطيع حفر نفق في الأرض أو تستطيع أن ترقى إلى السماء لتأتي بآية يؤمنون بها لفعلت.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو أراد لأتاهم بآية يؤمنوا بها، ولكن حكمته ومشيئته اقتضت عدم ذلك؛ لأنه لو جاءتهم آية ثم كفروا بها لأهلكهم وعذبهم كما فعل بأصحاب المائدة الذين مسخوا قردة وخنازير لما كفروا بإنزال الله لها. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تجهل فتحزن عليهم معطوف على قوله ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حزن رسول الله ﷺ على عدم تصديق المشركين لما جاءهم به من الهدى؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على أمته خوفاً عليها من الهلاك كما حدث للأمم السابقة حين كذبت رسلها. ومن مسائل الآية: تسلية الله لرسوله محمد ﷺ عما حدث له من قومه وحثه على الصبر، شأنه في ذلك شأن الرسل الذين كذبهم قومهم. ومنها: نهى الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ عن الحزن على عدم إيمان المشركين.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾
 (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
 بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ
 اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

بيان الآيات:

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: إن الذين يستجيبون هم
 الذين يسمعون منك يا محمد سماع قبول لما تقول. ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ
 اللَّهُ ﴾ أما المشركون بمثابة الموتى، فهم الذين لا يستجيبون لمن يناديهم
 وهؤلاء يبعثهم الله ليوم الحساب ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ أي: يعودون إلى
 الله فينبئهم بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ القول للمشركين أرادوا
 من رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم آية من ربه حتى يؤمنوا كقولهم
 ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ (١). فأمره الله
 أن يرد عليهم ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ﴾ أي: إن الله
 له القدرة المطلقة أن ينزل عليهم آية كما أنزلها على من قبلهم

(١) سورة الإسراء من الآية ٩٠.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يدركون أن الله إنما ينزل ما فيه مصلحة للعباد؛ لأنه لو نزلها عليهم ثم كفروا بها لعذبهم كما فعل بأصحاب عيسى.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾

لما ذكر الله عِظَمَ قدرته بأنه الذي خلق السموات والأرض وأنه الذي جعل الظلمات والنور، وأن له ما سكن في الليل والنهار، وأنه قادر على أن ينزل آيةً بَيِّنَ أن من عظيم قدرته خلق الدواب والطيور، وقد جعلها أمماً وأجناساً، كما جعل بني آدم أمماً، وقد تكفل بأرزاقهم كما تكفل بأرزاق بني آدم كما قال جل ذكره ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١). ثم بيّن عز وجل أنه جعل كل ما في الكون من الإنس والجن والدواب والطيور في اللوح المحفوظ فلم يترك شيئاً إلا حفظه فيه وهو أصل قوله جل وعلا ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهذا بيان وتوكيد أن كل هذه المخلوقات سوف تحشر إليه فيجازي كلاً بما عمل بما في ذلك الدواب وشاهده قول رسول الله ﷺ: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)^(٢).

(١) سورة هود الآية ٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢)، صحيح مسلم بشرح

النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٥ .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ﴾ أي: أنهم صم لا يسمعون وبكم لا ينطقون، فمع أن الدواب والطيور تعرف مصالحها فهؤلاء لا يعرفون مصالحهم ولا يهتدون ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشرك والكفر. ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ أي: يضلّه عن الطريق المستقيم بسبب ميله إلى الضلال وبعده عن الحق ﴿وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يجعله على الطريق المستقيم. والمعنى أن الله لم يجعل الضلال قدراً عليه كما تزعمه القدرية بل أضله لكونه لم يطلب الهداية منه باتباع دينه وهداه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ الذين يستجيبون لله هم المؤمنون الذين يسمعون دعوة رسول الله ﷺ لهم قولاً وعملاً؛ أما المشركون ومن في حكمهم فهم بمثابة الموتى الذين لا يستجيبون لمن يناديهم. ومن الأحكام: أن الله لم يستجب للمشركين فينزل عليهم آية؛ لأنه لو نزلها لما آمنوا وحينئذٍ يعذبهم. ومنها: الحكم بأن كل الدواب والطيور في الأرض أمم مثل بني آدم، وأن كل ما في الكون علويه وسفليه مدون في اللوح المحفوظ. ومن الأحكام: أن من يكذب بآيات الله لا يسمع ولا ينطق ولا يعرف مصلحته خلافاً للدواب والطيور التي تعرف مصالحها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ والمراد أنهم يعترفون بربوبية الله ويدعونه عند الشدائد، ولكنهم يشركون معه في ألوهيته، وقد أمر الله نبيه أن يقول لهم: لو أتاكم العذاب أو الساعة، هل تدعون غير الله ينجيكم أم تدعون آلهتكم؟ فبما أنكم سترجعون إلى الله يوم القيامة فلماذا تشركون معه غيره؟

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بيان من الله عنهم بأنهم لا يدعون إلا إياه

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ أي: يقبل دعاءكم إن شاء فيكشف الضر الذي نزل بكم. ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: تنسون عندئذٍ ألهمتكم التي لا تغنيكم شيئاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: سبق أن أرسلنا رسلاً إلى أمم قبل أمتك ﴿فَاخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ أي: الشدائد من الفقر والجوع. ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ أي: الأمراض والأسقام. والمعنى أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سابقة فخالفوهم فعاقبهم الله في أموالهم وأبدانهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْضَرُّعُونَ﴾ أي: يرجعون إليه وينيبون .

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ بمعنى هلا إذا جاءهم الابتلاء تضرعوا وأنابوا إلينا. ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تحجرت وغلظت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن سبب عدم تضرعهم هو تزيين الشيطان لهم عملهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: لما أعرضوا عما جاءهم من الهدى تناسياً منهم ﴿فَتَحْنَأَ عَلَيْهِمُ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أعطيناهم كل شيء من الأموال وغيرها، استدراجاً وإمهالاً لهم وشاهده قوله عز وجل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ أي: فرحوا بما آتيناهم من أصناف الأموال،
ظناً منهم أن هذا من رخاء الله عليهم ﴿أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: عاقبناهم
فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي: قانطون من كل خير ورحمة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: انتهوا وانتهى من بعدهم
فلم يبق لهم عقب ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له الحمد والثناء
والشكر على قضائه بعقاب الظالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المشركين يشركون في الرخاء؛ فإذا أصابتهم ضراء
لجؤوا إلى الله ونسوا فعلهم، وهذا من العجب العجيب لحال الإنسان
الذي لا يذكر الله إلا في الضراء وفي هذا قال عز وجل ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ
نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمَرِّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (١). ﴿ثُمَّ إِذَا
كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٢). ومن الأحكام:
أن الأمم التي قست قلوبها عن ذكر الله وزين لها الشيطان أعمالها
تعرضت لسخط الله وعقابه. ومنها: أن الأمم التي تغفل عما جاءها
من الحق ثم تستمر على فسقها؛ فإن ما يعطيها الله من النعم إنما
هو استدراج لها ثم يأخذها بغتة. ومن الأحكام: أن سنة الله مضت
في إهلاك الظالمين.

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) سورة النحل الآية ٥٤ .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾
 ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنُكِّمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ
 إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
 فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾
 أي قل يا محمد: لهؤلاء الظالمين المكذبين لله ولرسوله: لو سلب الله
 منكم نعمة السمع والبصر والعقل فأصبحتم عمياً صماً ولا عقول
 لكم فهل يقدر أحد غير الله أن يرد ذلك لكم ؟ ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ
 نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي: كيف نبين الآيات ونوضحها إعداراً لهم ﴿ثُمَّ
 هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: أنهم رغم هذه الآيات البينات يعرضون ويميلون
 عن الحق إلى الباطل.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنُكِّمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: إن
 جاءكم عذاب الله بغتة أي: فجأة أو ظاهراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ
 الظَّالِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم لشرككم وكفركم ؟ أما المؤمنون

فلا خوف عليهم من الهلاك؛ لأن إيمانهم بالله ورسوله يحميهم وينجيهم من عذاب الله.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ أي: ما نرسل المرسلين إلا ليبشروا من آمن بالله ورسوله بأن تكون لهم العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، ومنذرين بأن من كذب الله ورسوله ستكون له سوء العاقبة في الدارين ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: من آمن من الناس بالله ورسوله وعمل صالحاً فلا خوف عليهم من يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وشاهده قول الله عز ذكره ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١). ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ لما ذكر الله جل ذكره أن المؤمنين لن يخافوا ولن يحزنوا، بين أن الذين كذبوا بآيات الله سوف ينالهم العذاب؛ جزاء تكذيبهم وفسوقهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعمة الله على العبد بالسمع والبصر والقلب وسائر أعضاء الجسم، وهذا يوجب عليه شكر الله على نعمه عليه. ومن الأحكام: أن الله لا يهلك إلا الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم ما حرم عليهم.

(١) سورة الأنعام الآية ٨٢.

ومنها: أن مهمة الرسل البشارة للمؤمنين بما لهم عند ربهم من الثواب والندارة للمكذبين بأن لهم العذاب؛ فالمؤمنون لا يخافون ولا يحزنون من هول يوم القيامة، خلافاً للمكذبين الذين يلاقون العذاب والمهانة في ذلك اليوم العظيم.

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ هذا توجيه من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المكذبين: ليس عندي خزائن الله، فهذه الخزائن لا يملكها إلا هو ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي: لا أعلم من الغيب شيئاً فلا يعلم الغيب إلا الله ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ أي: لست ملكاً كحال الملائكة، وإنما أنا بشر يوحى إلي من عند الله ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أي: أتقيد بما يأتي من الوحي من عند الله، فلا أخرج عنه بأي حال. ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ استفهام تقريرى معناه أنه لا يستوي من اتبع الحق مع من اتبع الباطل، كما أن الأعمى لا

يستوي مع المبصر ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون في مخلوقات الله وآياته؛ لكي تهتدوا وترجعوا عن ضلالكم.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: انذر بالقرآن الذين يخافون من عذاب الله يوم الحشر ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: أنذر بالقرآن الذين يخافون من عذاب الله يوم الحشر، ويعرفون أنه ليس لهم من دونه ولي أي: قريب لهم ولا شفيع يشفع لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعلمهم بهذا الإنذار يؤمنون إيماناً ينفعهم في الدنيا وينجيهم من عذاب الله في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن رسول الله ﷺ بشر، مثل سائر البشر، غير أنه يوحى إليه كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾^(١). ومن الأحكام: أن بشريته عليه الصلاة والسلام تقتضي عدم علمه بالغيب، وعدم معرفته بأسرار الكون وتصريفه، فكل ذلك مرده إلى الله لا يعلمه إلا هو. ومنها: تقرير أن الأعمى والبصير لا يستويان. ومن الأحكام: وجوب الإنذار بالقرآن للذين يخافون من عذاب الله.

(١) سورة فصلت من الآية ٦ .

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ
 مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
 بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ لما قال المشركون
 في مكة لرسول الله ﷺ بأنهم لا يرضون أن يجالسوا أو يخالطوا
 المؤمنين من أصحابه كسلمان وصهيب وخباب وبلال رضي الله عنهم،
 أنزل الله هذه الآية. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: توحيده وطاعته وفي ذلك:
 روى سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فقال
 المشركون لرسول الله ﷺ: اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا قال: كنت
 أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان نسيت اسميهما،
 فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل
 الله عز وجل هذه الآية (١).

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٢٧١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٢٠٢،
 وزاد المسير في علم التفسير ص ٤٣٩، والأثر أخرجه مسلم مختصراً في كتاب الفضائل، باب في
 فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم (٢٤١٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠
 ص ٦٣١١.

وعن خباب بن الحارث رضي الله عنه أن سبب نزول هذه الآية حين جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حَقَرُوهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعباء، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (١).

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال ۞ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۞. ثم قال ۞ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۞. قال: فدونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام فتركنا فأنزل الله عز وجل ۞ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٧١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٢٠١، ومعاليم التنزيل للبغوي ص ٤٢١، وزاد المسير في علم التفسير ص ٤٣٩.

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١﴾. قال: أَمْرٌ عَيِينَةُ وَالْأَقْرَعُ... الحديث (١).

وقال ابن كثير: هذا بعيد؛ لأن الآية مكية وعيينة والأقرع وفدا سنة الوفود في المدينة (٢). ويحتمل أن ذلك حدث منهما لما وفدا على رسول الله ﷺ في المدينة فأجابهما بهذه الآية.

وقد نزلت هذه الآية حين جاء عتبة وشيبة ابنا ربيعة والحارث بن نوفل ومطعم بن عدي إلى أبي طالب فقالوا له: لو أن محمداً يطرد عنه موالينا وعتقاءنا كان أعظم في صدورنا، وأرجى لاتباعنا له، فأتى أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فكلمه بالذي قالوه فقال عمر: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون فأنزل الله هذه الآيات فلما نزلت اعتذر عمر (٣).

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لست مسؤولاً عنهم في جزائهم ومعاشهم ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: وليسوا مسؤولين عنك ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن طردتهم

(١) معالم التنزيل للبغوي ص ٤٢١، والآية في سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٢٨ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٧٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٣٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٢٠٢ .

كنت من الظالمين، وفي هذا تنبيه لرسول الله ﷺ بأن عليه أن يعصي المشركين الذين أرادوا طرد المؤمنين الذين كانوا معه يناصرونه في دعوته، ويتحملون الأذى في سبيل إيمانهم به في نفس الوقت الذي كان فيه المشركون يكذبونه ويعاندونه ويحادون الله أشد المحادة؛ ولأن الله يعلم حال هؤلاء المؤمنين وحال أولئك المشركين حذر رسوله من طاعتهم.

قلت: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إسلام كبار قريش؛ لما في ذلك من كف لأذاهم؛ ولما فيه من قوة للإسلام؛ بسبب كثرة أتباعهم الذين سوف يتبعونهم فيدخلون في دين الله، ولكن الله يعلم أحوال هؤلاء وسرائرهم، سواء كان الذين قالوا هذا من المشركين أو أجلاف العرب الذين كانوا يحتقرون الضعفاء من المؤمنين ويعتقدون أن عزتهم في قومهم أو أموالهم تقربهم إلى الله وما علموا أن المقرب عند الله هو من آمن به وبرسوله، وأن سلمان الفارسي وخباباً وصهيباً أكرم عند الله من هؤلاء المشركين. ولا عبرة بنسبهم ولو أنهم أعلى في نسبهم وحسبهم لو كان النسب هو المعيار.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ﴾ من عادة الطغاة والمتكبرين

أنهم يحتقرون من عداهم من الضعفاء والفقراء، ويعتقدون أنهم أحقُّ بالرئاسة وبالشرف وبالمثوبة على عملهم ولو كان هذا العمل

كله ظلماً وطغياناً، ومن حكمة الله وإرادته في خلقه أن الضعفاء والمساكين ينتصرون في نهاية الصراع لهذا كان المشركون في مكة وحتى أجلاف العرب يحتقرون ضعفة المسلمين من الفقراء ومن يوصفون بالعبودية، كبلال، وسلمان، وصهيب، وغيرهم، وفي هذا يقول الله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: فتنا بعض الناس ببعضهم ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف أنعم على هؤلاء وهم الأرقاء والفقراء ونحن السادة والأغنياء؟ ونظيره قول قوم صالح ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (١). ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ والمراد أن الله أعلم بمن يطيعه ويشكره فيهديه إلى الحق وهو أعلم بمن يعصيه فيذله ويهيئه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم إبعاد المؤمنين، وتقريب الكافرين. ومن الأحكام: بيان أن أتباع الرسل هم من الفقراء والمستضعفين. ومنها: ابتلاء بعض الناس ببعضهم فيكون فيهم الأغنياء، والفقراء، والأقوياء، والضعفاء؛ ليعلم الله - وهو العليم - من هو الذي يكفر ومن هو الذي يشكر منهم.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

(١) سورة القمر الآية ٢٥ .

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوْءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَاتَسْتَغْجَلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَاتَسْتَغْجَلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ لعل المراد بهم الذين نهى الله عن طردهم ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قد يكون المراد توجيهه الله لنبيه أن يبلغهم سلامه أو يكون أمر الله أن يبدأهم بالسلام فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)^(١). وقد روى عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها فأتى النبي

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ٤٣٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٤٠.

ﷺ فأخبره فقال: (يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لأن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي^(١).

﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: أنه جل وعلا فرض على نفسه أن يرحم خلقه إحساناً لهم وتفضلاً عليهم ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوْءً أَجْهَلَ لَهٗ﴾ أي: من عمل ذنباً غير قاصد ولا مبتغ لها ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي: تاب من هذه الذنوب وأصلح توبته ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر له ذنوبه ويرحمه برحمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبينها واضحة ظاهرة للعيان تبين لعباد الله أمور دينهم ودنياهم. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: ليتبين ما عليه المجرمون من الضلال عن طريق الحق.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول للمشركين: لقد نهاني ربي أن أعبد الأصنام التي تدعونها من دون الله، كما نهاني ربي أن أطرده المؤمنين الذين اتبعوني. ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ وهذا أمر آخر، أي: قل لهم ولن أتبِع أهواءكم؛ لأنها ضلال وغواية ﴿قَدْ ضَلَلْتُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم، برقم (٢٥٠٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٤٧٨.

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾ أي: لو اتبعت أهواءكم لضللت ولن أكون إذاً من المهتدين.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ ﴿٢﴾ أي قل للمشركين: إني على هدى وبصيرة من ربي فيما يوحيه إليّ من الحق وكذبتُم به طغياناً وكفراً. ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ﴿٣﴾ أي: من العذاب الذي تستهزئون به. وشاهده ما ذكره الله من قولهم ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤﴾. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ﴿٥﴾ أي: إنَّ الحكم لله وحده، فهو الذي يملك إنزال العذاب بكم أو تعجيله أو تأجيله. ﴿يَقُصُّ الْحَقُّ﴾ ﴿٦﴾ أي: يحكم بالحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾ ﴿٧﴾ أي: الحاكمين.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّنِي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ﴿٨﴾ أي: قل يا رسولنا محمداً للمشركين: ليس لدي العذاب الذي تستعجلون به ولو كان الأمر بيدي لجزيتكم بما تستحقونه ولكن الأمر بيد الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩﴾ أي: هو العليم بكل ظالم، وسوف يجازيه على ظلمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم: بأنه يجب على الحاكم، أو ولي الأمر، الاهتمام بالمؤمنين

والرفق بهم، وهذا يقتضي أن من جاء مؤمناً بالله يجب تقريبه وترغيبه وإشاعة البشرى في نفسه، فإن كان قد عمل سوءاً نتيجة جهل فيجب إبلاغه بأن الله سيرحمه إذا تاب منه وأصلح وأخلص التوبة لله. ومن الأحكام: تحريم عبادة غير الله، وتحريم اتباع أهل الضلال والأهواء. ومنها: أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون على بينة، وهذا يقتضي أن يكون الدعاة على علم فيما يدعون إليه.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ المراد أن المغيبات

هي من علم الله وحده، وفي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

(مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تفيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وحده)^(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يعلم علم يقين وإحاطة بجميع الموجودات في البر والبحر ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: يعلم ما تسقطه الأشجار والنباتات من الأوراق ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ أي: ويعلم بعلمه المحيط سائر الحبات التي تنبت في الأرض مهما بلغت من الاختفاء في أعماقها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: إن كل الأشياء التي في البر والبحر وما يسقط من أوراق الشجر أو النبات أو ما في بطون الأرض مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ ما زال السياق في أحوال المشركين والكفار والخطاب لهم فقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يراد به النوم، والوفاة نوعان: وفاة كبرى، وهي التي ينتهي فيها أجل الإنسان ويبقى ميتاً إلى أن يبعثه الله يوم يبعث الخلائق. النوع الثاني: وفاة صغرى، وهي المراد في هذه الآية، وفي الآية الأخرى قوله جل ذكره ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَكٍ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ برقم (٤٦٩٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٢٥.

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١﴾. فقلوه ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي: يقبض أرواحكم عن القيام بالأفعال والتصرفات ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: يعلم ما تفعلون في النهار من الخطايا. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ﴾ أي: يبعثكم في النهار من نومكم ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى أن تستكملوا أجلكم. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يظهر لكم أعمالكم في الدنيا ليجازيكم عليها.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القاهر اسم من أسماء الله الحسنى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ المراد فوقيته العالية وتصرفه في خلقه بإرادته وحكمته ورحمته. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: يرسل عليكم ملائكة يحفظون الأعمال ويكتبونها لتعرض يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢). وقوله جل ذكره ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (٣). ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ (٤). ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٥). قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: إذا انتهى أجله ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ المراد به ملك الموت وأعوانه الذين يخرجون الروح فيقبضوها

(١) سورة الزمر الآية ٤٢ .

(٢) سورة ق الآية ١٨ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٤) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١٢ .

ملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: فيما وكلوا به من قبض الروح وحفظها حيث أراد الله لها.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: عرضوا يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ أي: ردوا إلى الله خالقهم؛ لأنه ربهم وإلهم الحق ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: أنه المتفرد بالحكم في حسابهم وجزائهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ أي: سوف يسرع في حسابهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأن كل ما في الكون علويه وسفليه وما بينه مدون في اللوح المحفوظ. ومن الأحكام: أن الله يتوفى الإنسان، سواء كانت الوفاة وفاة أبدية إلى يوم القيامة، أم كانت وفاة مؤقتة وهي النوم. ومنها: تقرير واقعة البعث للحساب والجزاء.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٦٣ ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٦٤ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ ٦٥ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٦٦ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧

بيان الآيات:

ما زال السياق أيضاً في أحوال المشركين، فقول الله عز ذكره ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ استفهام تقريرى والمعنى أنه لا أحد ينجيكم من أهوال البر والبحر إلا الله. ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجَحْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي: في حال الشدائد والمصاعب تدعون الله وتتضرعون إليه جهاراً، وخفية أن ينقذكم مما حل بكم من الأهوال، وتقولون إذا الله أنجانا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: من الشاكرين له على ما أنعم به علينا من النجاة.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: إنه القادر على أن ينجيكم مما يصيبكم من الأهوال والشدائد. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي: إنه إذا نجاكم أشركتم معه غيره فأنتم في حال الشدائد تتوسلون وتتضرعون إليه، وتدعونه أن ينجيكم حتى تطيعوه وتوحدوه، وإذا أنجاكم جحدتم نعمته، وأشركتم معه غيره، وفي هذا توبيخ لهم، وإنكار لفعلهم وجحودهم وكفرهم.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ لما ذكر جل وعلا حال المشركين، وأنهم يدعونه في حال الشدة ويشركون به في حال الرخاء، ذكّرهم أنه هو القادر على أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم كالريح العاتية والمطر المدمر والصواعق القاتلة،

كما فعل بالأمم السابقة كقوم نوح، وعاد، وثمود أو يبعث عليهم عذاباً من تحت أرجلهم، كالحسف والزلازل وانهيار الأرض. وشاهده قوله جل ذكره ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ (١). ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ أي: يجعلكم متفرقين في أفكاركم وأهوائكم ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ أي: تفتنون بالتقاتل بينكم وهذه الآية عامة في الكفار وفي المسلمين.

قال الإمام القرطبي: «قلت: وهو الصحيح فإنه المشاهد في الوجود فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضاً واستباحة بعضنا أموال بعض نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» (٢). وقد نقل ما رواه مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يسيبهم بيضتهم ولو اجتمع عليهم

(١) سورة الإسراء الآية ٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ٩ - ١٠ .

من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً^(١).

وفي حديث عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ الآية قال رسول الله ﷺ: (أعوذ بوجهك) فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: (هذا أهون أو هذا أيسر)^(٢).

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي انظر يا محمد: كيف نبين للمشركين الدلائل والبيّنات ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ أي: يوحدون الله ويتبرؤن من الشرك به.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ المراد بهم كفار قريش، والمراد تكذيبهم بالعذاب ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه. ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: قل لهم لست عليكم بحفيظ، وإنما أنا منذر لكم ومبلغكم ما جاء من عند الله ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل شيء وقت كما قال عز وجل ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٣). ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد من الله بأنهم سيعلمون جزاءهم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ص ٧١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ برقم (٤٦٢٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٤١.

(٣) سورة الرعد من الآية ٣٨.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سلوك المشركين بأنهم يدعون الله في الضراء وينسون دعاءه في السراء، وذلك بعبادتهم لأصنامهم وأهوائهم. ومن الأحكام: أنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه ولا منقذ إلا هو، وأن من استعان أو استعاذ أو لجأ إلى غيره يطلب نفعه فقد ضل ضلالاً يستوجب عدم المغفرة له مع خلوده في العذاب. ومنها: أن اختلاف الأمة وانقسامها سبب في تقاتلها وظهور الفتن فيها.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِۦ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ

ولأمتهم والمراد بهم الذين يستهزئون بآيات الله كما كان المشركون والمنافقون يفعلون. ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تخالطهم ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: حتى يكون حديثهم غير الاستهزاء بآيات الله ورسوله ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: إن وسوس لك الشيطان فنسيت نهيناك عن مجالستهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ أي: بعدما تذكر النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المراد بهم المشركون.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس على المتقين من إثم إذا اجتنبوا فلم يجالسوهم أو يخوضوا معهم، والمراد بالمتقين محمد ﷺ وأصحابه وكل من كان على طريقهم. ﴿وَلَكِنْ ذِكْرِي﴾ المراد إذا صاروا يستهزئون وأنتم بينهم فاتركوهم ليكون في ذلك ذكرى لهم؛ ليتركوا الخوض.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ بالأمر له أن يتجنب مجالسة الذين يستهزئون بدين الله ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: اغتروا بوجودهم في الحياة الدنيا وما لديهم من الأموال والأولاد ﴿وَذَكَّرْ بِهِ﴾ أن تبسل نفس بما كسبت ﴿المراد ذكره بالقرآن حتى لا تهلك النفس بما كسبت من الآثام. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١). ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ

دُوبِ اللَّهُ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴿١﴾ أي: لن يكون لها حينذاك ناصر ينفعها، ولا شفيع يشفع لها ﴿٢﴾ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴿٣﴾ أي: لو بذلت كل فداء لم ينفعها ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴿٥﴾ أي: الذين هلكوا بسبب ذنوبهم ﴿٦﴾ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٧﴾ وهو الماء الشديد الحرارة ﴿٨﴾ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾ أي: شديد ﴿١٠﴾ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١١﴾ أي: أنهم سيجزون بهذا الشراب وبالعذاب بسبب كفرهم.

أحكام ومسائل توبة

الحكم بتحريم مجالسة من يستهزئ بالله، أو بأحكامه، أو نبيه، أو بأحد من رسله، أو بأي حكم من أحكام الإسلام. وشاهده قول الله في حق المنافقين لما استهزؤا برسول الله ﷺ وصحبه ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١). ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٢). وقيل في سبب نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ لما كان يدعو المشركين والكفار إلى دين الله كانوا يستهزئون بالقرآن فنهاه الله عن مجالستهم (٣). والنهي عام في مجالسة الكافر، والفاسق، وصاحب البدعة، وصاحب المنكر، ومن كان في حكم هؤلاء. وشاهده هذه الآية وقول الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٤٦ .

اللَّهُ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسَهِّرُهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴿١﴾.

ومن الأحكام: وجوب التذكر بالقرآن حتى لا تهلك النفوس بسبب ارتكابها للخطايا والآثام. ومنها: أن الذين يهلكون؛ بسبب ذنوبهم وآثامهم لهم عذاب أليم يوم القيامة.

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ ما زال السياق في الرد على المشركين بقولهم للمؤمنين اتبعونا واتركوا دين محمد فأمر الله رسوله أن يقول لهم: نحن لا ندعو ما لا ينفعنا ولا يضرنا فالذين

تعبدونهم أوثان وأصنام صماء لا تنفع ولا تضر، وما يعبدوها إلا جاهل أو عديم العقل ﴿وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ أي: هل نرجع إلى الشرك والكفر بعد إذ هدانا الله للإسلام؟ وهذا استفهام إنكاري. ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ أي: إذا تبعنا ما قلتم سنكون مثل الذي غلبته الشياطين، واستبدت به الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه فيتبعها ثم يرى أنها ألقته في المهلكة ليموت منها جوعاً وعطشاً، بعد أن أصبح حيران لا يدري ما يفعل.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ أي: له رفقة مؤمنون يدعونه إلى اتباع الطريق القويم فيأبى عليهم. ﴿قُلِ إِنِّي هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ أي: لا هدى إلا هداه فمن ابتغى غير ذلك فقد ضل سواء السبيل. ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: إننا مأمورون بأن نسلم قلوبنا ووجوهنا لله رب العالمين الذي لا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه. ﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُوهُ﴾ أي: وكما أمرنا أن نسلم لله رب العالمين أمرنا أن نقيم الصلاة التي فرضها الله علينا، وأن نتقيه في أعمالنا وأقوالنا. ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: هو الخالق الذي تحشرون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: خلقهما وكونهما بالعدل، فهو المستحق للعبودية وحده. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿١﴾ أي: حين يقول للشيء كن يكون لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: إن ما قاله ويقوله هو الحق الذي لا مرأى فيه ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: أنه مالك كل شيء في الوجود. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: نفخة البعث، ليقوم الناس من قبورهم ليشهدوا الحساب والجزاء، والصور بوق ينفخ فيه إسرافيل بعدما يأمره الله وفيه قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر؟) (١). ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: هو العالم وحده بالغيب فلا يعلمه إلا هو ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم الشهادة ويعلم كل ما في الوجود، لا يعزب عنه شيء في السموات والأرض، مهما كان صغيراً أو كبيراً. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تصرفه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأحوال خلقه وما ينفعهم وما يضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن العاقل لا يدعو من لا يملك ضرراً ولا نفعاً. ومن الأحكام: تحريم الردة عن دين الإسلام، ومن يفعل ذلك فله جزاءان في الدنيا والآخرة، فجزاء الدنيا تطبيق حكم الردة عليه؛ أما جزاؤه في الآخرة فالعذاب المهين. ومنها: أنه لا هدى إلا هدى الله، فمن يهده الله يشرح

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٧٣، والخطيب التبريزي في المشكاة برقم (٥٥٢٧)، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٥٣١.

صدره للإسلام. ومنها: أن كافة العباد مكلفون بالدخول في الإسلام ومن لم يفعل فلا دين له. ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها ووجوب تقوى الله في السر والعلن وذلك بالالتزام بأمره والانتهاز عما نهى عنه. ومنها: تقرير واقعة الحساب والجزاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَخَافُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤) ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ﴾ خاطب إبراهيم عليه السلام أباه منكراً عليه بقوله ﴿اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: هل تعبد الأصنام من دون الله؟ ﴿إِنِّي أَخَافُكَ وَقَوْمَكَ﴾ أي: أجد أنك ومن معك

ممن يعبدون الأصنام ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قد حدتكم وضللتكم الطريق المستقيم الذي هو إفراد الله وحده بالعبادة، وقد ذكر الله ما دار من المحاورة بين نبيه إبراهيم عليه السلام، وبين أبيه العابد للأصنام وقوله جل ذكره مثنياً عليه ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(١). ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٢). ﴿يَأْتِبِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^(٣). ﴿يَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾^(٤). ﴿يَأْتِبِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٥). وكان هم إبراهيم عليه السلام أن ينقذ أباه مما هو فيه من الضلال مدفوعاً في ذلك بعاطفة الابن تجاه أبيه، إلا أن أباه قد استحوز عليه الضلال فأبى دعوة ابنه له، بل كان يتوعده برجمه وطرده فيما حكاه الله عنه بقوله ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَابِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(٦)؛ فلما يئس إبراهيم من أبيه وقومه

(١) سورة مريم الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم الآية ٤٢ .

(٣) سورة مريم الآية ٤٣ .

(٤) سورة مريم الآية ٤٤ .

(٥) سورة مريم الآية ٤٥ .

(٦) سورة مريم الآية ٤٦ .

قال ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (١).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى أن الله عرّف نبيه إبراهيم ربوبية ربه وألوهيته وهداه لهذه المعرفة فصار حنيفاً مسلماً يدعو أباه وقومه إلى وحدانية الله ونبذ الشرك وعبادة الأصنام. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أي: ليوثق بما أراه الله من ملكوت السموات والأرض.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: لما أظلم عليه ﴿رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ أي: نجماً ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ والمعنى أن قومه كانوا يعبدون النجوم والأجرام، ويعظمونها، فأراد عليه السلام إبطال اعتقادهم بالنظر المحسوس والاستدلال بالمعقول، فبدأ بالنجم وهو كوكب الزهرة وقال: هذا ربي أي: على اعتقادهم، فلما غاب النجم ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أعبد هذا؛ لأن من كان هذا شأنه لا يمكن أن يكون ربا ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ أي: طالعا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: حسب زعمهم واعتقادهم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب ﴿قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ أي: سأكون من غير المهتدين إشارة إلى أن من يعبد هذا القمر سيكون ضالاً؛ لأنه لا يستحق أن

يكون رباً ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً ﴾ أي: طالعة ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ أي قال لهم: هذا ربي، فهي أكبر مما قبلها ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ قال لهم: إني بريء مما تشركون والمراد أن هذه الكواكب التي رأيتموها تغيب، لا يمكن أن تكون رباً فأنا بريء ممن يعبدوها، فهو بهذا قَرَّبَ الحجة على قومه بعد أن أثبت أن من يغيب لا يمكن أن يكون رباً، وأن الذي يسير هذه الكواكب حين تطلع وحين تغيب هو المستحق فعلاً للعبادة ثم قال لهم ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي: إني أعبد الرب الذي دل العقل والنظر على أنه الذي خلق السموات والأرض ومن فيهما، وأنه الذي أبدعهما وصنعهما، فهو المستحق للعبادة ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الضلال الذي أنتم عليه وهو الشرك ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لست من الذين يشركون مع الله غيره كما تفعلون.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب محاربة الشرك، وعدم محبة أهله، ولو كانوا من الأقربين كما قال عز وجل ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ الآية (١).

ومن الأحكام: أهمية الاستدلال بالمحسوسات في حال الدعوة إلى الله؛ لما في ذلك من تقريبها لعقل المدعوين. ومنها: وجوب الجهر بالبراءة من الشرك وأهله.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

بيان الآيات

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ أي: أنهم جادلوه في توحيده لله ومحاربته للمشركين ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: كيف تجادلونني هذه المجادلة الباطلة؛ لأن الإقرار بالوهمية الله وتوحيده ليست محلاً للجدال ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ أي: دلني ربي على الحق وبصرني به، فأنا مؤمن بالله غير مشرك به ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: لا أخاف من أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: لا أخاف أن ينالني سوء أو مكروه من آلهتكم أو من

غيرها إلا إذا شاء ربي أن يصيبني ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
 أي: له القدرة المطلقة على ذلك والمعنى أنهم خوفوه إذا أصر على
 محاربة آلهتهم أن تصيبه بسوء فرد عليهم أنه لا يخاف إلا من الله
 ولا يخشى إلا إيّاه؛ لأنه ربه وإلهه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا
 تعقلون، فتميزوا بين الحق والباطل، فتعبدوا لله وحده، لا تشركون
 به شيئاً وتنتهوا عن عبادة الأصنام التي لا تنفعكم.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ﴾ استفهام إنكاري عليهم
 أي: لا أخاف من أصنامكم التي أعرف أنها حطام ميت لا معنى ولا
 قيمة لها ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: كيف أخاف من
 الأصنام وأنتم لا تخافون من الله الذي يملك نفعكم وضرركم ﴿مَا لَمْ
 يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: لم يقم لكم حجة على إشراك أحد
 معه ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هل هو الموحد
 لله المخلص له العبادة أم هو الذي يشرك مع الله غيره كما تفعلون؟
 وقد صدقه الله وقضى بصدق وصواب حجته عليهم فقال عز ذكره
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: إن الذين آمنوا بالله
 وحده ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ﴾ أي: هم الذين
 سيكونون آمنين في الآخرة من العذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ في الدنيا
 بتوحيدهم لله وطاعته ونفي الشرك عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

الندب إلى مجادلة أهل الضلال، إما لتحقيق هدايتهم أو إقامة الحجة عليهم. وكان من سنة الأنبياء والمرسلين جدال المنكرين والمكذابين لهم؛ وذلك لإقناعهم برسالة الله لهم لإنقاذهم من الهلاك. والجدال يجب أن يكون بالحسنى كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٢). ومن الأحكام: أن أصحاب الذنوب والخطايا، هم الذين يخافون من أفعالهم، أما المؤمنون فلا يخافون؛ لأنهم يؤمنون أن الله معهم بعلمه وقدرته.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ^(٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ^(٦) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٧) ﴿٨١﴾

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

بيان الآيات:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ آتيناهما إبراهيم

أي: ألهمناه إياها، وهي قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴿نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ أي: بما نعطيه من نشاء من عبادنا من الفهم وقوة الحجة على من يجادله ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فيما يقدره بحكمته وإرادته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هذا بيان لما مَنَّ الله به على

إبراهيم جزاء عبادته له وحده ودعوته إلى التوحيد ومحاربة الشرك وأهله فوهب له إسحاق وهو في حال الكبر هو وزوجته ووهب لإسحاق يعقوب فتناسلت منهما الذرية ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: كل واحد منهم مَنَّ الله عليه بالهداية ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل بأنه هدى من قبلهم نوحاً ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: ممن هدى من ذريته ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ وكذلك نجزي المحسنين ﴿فيه بيان أنهم محسنون وذلك بطاعتهم لله، وتوحيدهم له، فجعلهم مهتدين﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بيان أيضاً من الله عز وجل أنه هدى هؤلاء الأنبياء، وجعلهم من الصالحين؛ وذلك لصلاحهم في

أنفسهم وقيامهم بدعوة قومهم إلى الله وإخلاص العبودية له وحده وتحذيرهم من عقابه إذا لم يستجيبوا له وكما هدى أولئك الأنبياء هدى آخرين منهم ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا﴾ ثم قال عز ذكره ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: فضلناهم على أهل زمانهم بما تميزوا به من التقوى والصلاح والزهد في الدنيا والتجرد لدعوة الناس إلى دين الله.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ المعنى هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴿وَأَجْنَبَيْتَهُمْ﴾ أي: اخترناهم للنبوة ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الدين الخالص لله وحده لا شريك له.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يلهم عباده المتقين قوة الحجة، والبرهان في دعوتهم إلى الله. وأن الله يمتن على أهل التوحيد، والإحسان بمنن كثيرة كالرزق، والولد، والهداية إلى الصراط المستقيم كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (١).

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

بيان الآيات:

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي﴾ أي: ذلك الهدى الذي وهبه الله لهؤلاء الرسل هو هدى منه لهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أنهم لو عبدوا غير الله لخسرت أعمالهم والمراد أن من أشرك مع الله غيره أياً كانت صفته سيحبط عمله ويكون من الخاسرين. وشاهده قول الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١). ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ المراد بهم الأنبياء الذين ذكرهم في الآيات السابقة، وما أوتوا من الكتاب، كصحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ أي: إن يكفر بهذه الآيات، وبالقرآن، المشركون في مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي: عهدنا بالإيمان بها ﴿قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ والمراد بهم المهاجرون الذين هجروا مكة من أجل دينهم، والأنصار الذين ناصرُوا وآمنوا بهذا الدين.

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ المراد بهم الأنبياء الذين ذكرهم الله في الآيات السابقة ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ أي: اتبع طريقتهم في توحيد الله والإيمان به، وفي أصول الدين كالإيمان بالكتب المنزلة وبالرسل، وبالبعث، وغير ذلك من أصول الإيمان التي تتفق فيها الديانات السماوية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لا أطلب منكم مالا على القرآن حين أبلغكم به ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: بشرى للمتقين منهم بالثواب ونذارة للعاصين بالعقاب.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الشرك يحبط العمل لا محالة. ومن الأحكام: وجوب الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وهذا من أركان الإيمان، والإيمان كذلك أن القرآن قد نسخ هذه الكتب. ومنها: تحريم أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، إلا إذا لم يكن للداعي مصدر رزق يسترزق منه، فيجوز له أخذ الأجرة بقدر حاجته؛ أما الأنبياء والرسل عليهم السلام فلم يأخذوا أجراً على دعوتهم، بل كانوا يكتسبون من عملهم.

قلت: ومن الأحكام في هذه الآية: مسألة التعبد بشريعة من قبلنا، وللعلماء في ذلك قولان: قول - بعدم جواز ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١). فلا يجوز التعبد إلا بما

(١) سورة المائدة من الآية ٤٨ .

جاء به الإسلام، وقال بذلك بعض أصحاب الإمام مالك والشافعي^(١).
القول الثاني- يرى جواز ذلك واستدل بقصة أخت الربيع أم
حارثة، فقد جرحت إنساناً فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال عليه
الصلاة والسلام: (القصاص القصاص) فقالت أم الربيع: يا رسول
الله أيقصد من فلانة؟ والله لا يقتص منها؟ فقال رسول الله ﷺ:
(سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله) قالت: لا والله لا يقتص
منها أبداً قال: فما زالت حتى قبلوا الدية فقال رسول الله ﷺ: (إن
من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) فأحال عليه الصلاة والسلام
على قوله ﴿وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية^(٢).
كما استدل بما ورد في صحيح البخاري أن مجاهداً سأل ابن
عباس عن سجدة في سورة (ص) فقال: سألت ابن عباس أفي (ص)
سجدة؟ فقال: نعم، ثم تلا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾
ثم قال: هو منهم. زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهل بن
يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس، فقال: نبيكم ﷺ ممن
أمر أن يقتدى بهم^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود (القسامة)، باب إثبات القصاص في الإنسان وما في معناها، برقم
(١٦٧٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٥٩٠، والآية في سورة المائدة من الآية ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتِدَةٌ﴾،
صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٤٤.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن
 أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ
 تُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ
 ذَرَّهُمْ فِي خَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
 وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

بيان الآيتين

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ
 قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قيل: المراد كفار قريش^(١). وقيل:
 إن الذي قاله مالك بن الصيف اليهودي حين خاصم رسول الله ﷺ
 فقال له عليه الصلاة والسلام: (أنشدك بالذي أنزل التوراة والإنجيل
 أما تجد في التوراة إن الله يبغض الحبر السمين سمنت من مالك
 الذي يطعمك اليهود) وكان هذا حبراً سميماً فغضب والتفت إلى عمر،
 وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له قومه: ويلك ما
 هذا الذي بلغنا عنك؟ فقال: إنه أغضبني وقد أبعدوه وجعلوا مكانه
 كعب بن الأشرف^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٥٣.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٧٥، وزاد المسير ص ٤٥٣، ومعالم التنزيل للبغوي
 ص ٤٣٢.

﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ في هذا ردّ على قول اليهودي مالك بن الصيف إنه لم ينزل على أحد شيئاً والمراد به التوراة ﴿ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ أي: ضياء لليهود يسترشدون بها لعبادة الله وحده ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ﴾ أي: أنهم جعلوا التوراة في ورق يبدون مايرونه منها، ويخفون مايرونه حسب أهوائهم. ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَالًا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ أي: علمكم محمد ﷺ مما أوحى الله إليه مالم تعلموا وأنتم أصحاب التوراة ولم تعلمه حتى آبائكم من قبل وشاهده أيضاً قول الله عز ذكره ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١). ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أي: قل يا محمد لليهود: الله الذي أنزل الكتاب على موسى وهو التوراة وأنزل علي الكتاب وهو القرآن ﴿ ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: بعد أن تبلغهم هذا اتركهم يخوضون في باطلهم وما عليك إلا أن دعوتهم.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ المراد به القرآن ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ المراد أن الله بارك فيه؛ ليكون نافعا لمن آمن به وصدق به واتبع مافيه من الأحكام ﴿ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: أنزله مصدقا للكتب التي أنزلت من قبل فيما يتعلق بتوحيد الله ونفي الشرك عنه ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أي: لتنذر به أم القرى (مكة) والمراد أهلها في تحذيرهم من

(١) سورة النمل الآية ٧٦ .

الاستمرار في الشرك ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: تنذر أهل الأرض ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ المراد بهم من اتبع رسول الله ﷺ وآمن به وصدق برسالته ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: قائمون بها محافظون على أدائها في أوقاتها، وخص الصلاة بالذكر؛ لأنها عماد الدين ومن يضيعها يضيع دينه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير سوء سلوك بعض أسلاف اليهود وإنكارهم لنزول التوراة كما فعل مالك بن الصيف، وإرشاد الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ في الرد عليه، ومن قال بقوله. ومن الأحكام: الحكم بأن الله أنزل كتابه المبين يصدق الكتب السابقة فيما يتعلق بتوحيد الله وطاعته ونفي الشرك عنه، كما أن هذه الكتب تصدقه. ومن الأحكام: الثناء على الذين يؤمنون بالقرآن وعلى إيمانهم بالبعث، وعلى محافظتهم على الصلاة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ

ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى
أي: اختلق على الله الكذب ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾
المراد به مسيلمة الكذاب في اليمامة، وزوجته سجاح، والأسود العنسي
في اليمن الذين زعموا أنهم أنبياء، وأن الوحي ينزل إليهم^(١). ﴿وَمَنْ
قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قيل: إنها نزلت في عبد الله بن سعد أبي
سرح كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد وعاد للمشركين في
مكة؛ والسبب كما ذكر المفسرون أنه لما نزل قول الله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾^(٢) دعاه رسول الله ﷺ فأملاها عليه
فلما انتهى إلى قوله ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٣) عجب في تفصيل
الخلق فقال ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤) فقال رسول الله ﷺ:

(١) سبقت ترجمتهم.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢.

(٣) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٤) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(هكذا أنزل علي)، فشك عبد الله حينئذ وقال: لقد أوحى إلي كما أوحى إلى محمد، فارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله ففر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً وقد أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، وقد ولاه عثمان مصر وفتحت إفريقية على يديه. وقيل: إنه دعا ربه أن يجعل خاتمة عمله في صلاة الصبح وقد قبل الله دعوته، فلما صلاها وسلم عن يساره قبض الله روحه^(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: لو رأيت الظالمين في شدة الموت وأهواله، والمراد بهم اليهود المكذبون للوحي والمتنبئون الذين يزعمون أنه يوحى لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لكي يقبضوا أرواحهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: أنقذوها من العذاب الذي ينتظرها إن كنتم تقدرُونَ على ذلك، وفي هذا توبيخ لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي تجزون فيه العذاب المهين؛ جزاء أعمالكم السيئة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: تجزون بالعذاب؛ جزاء كذبكم على الله واستهانتكم بأحكامه ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: وتجزون اليوم العذاب بما كنتم تعرضون عن آيات الله إعراض المتكبر المتجبر.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٧٥-٣٧٦، ومعالم التنزيل للبغوي ص ٤٣٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٥٤.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ أي: أحاداً ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
 أي: على الصفة التي خلقناكم فيها لا تملكون شيئاً ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا
 خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: تركتم وراءكم في الدنيا الأموال
 والأولاد التي أعطيناكم إياها لا ينفعكم منها شيء ﴿وَمَا نَرَى
 مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ أي: الذين كنتم تعبدونهم من الأصنام والأوثان
 ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ المراد بهم الذين جعلوهم شركاء
 لله. ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: انتهت الصلة التي بينكم وبينهم
 ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: ذهب عنكم ما كنتم تزعمون
 من شفاعة الأصنام ونفعها. وشاهده قول الله جل ذكره ﴿إِذْ
 تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
 الْأَسْبَابُ﴾^(١). ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
 كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ
 بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٢).

أحكام ومسائل الأيتين:

تحريم الكذب على الله، وأنه لا أحد أظلم ممن يكذب عليه
 عزوجل. ومن الأحكام: تحريم ادعاء النبوة، وأنه لا أحد أظلم ممن

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

يدعيها. ومنها: تقرير شدة سكرات الموت إلا من هونه الله عليه. ومن الأحكام: تقرير العذاب والهوان للذين يتقولون على الله ويستكبرون عن عبادته. ومنها: انتفاء الشفاعة يوم القيامة إلا لمن أذن الله أن يشفع، وأول الشفعاء نبينا ورسولنا محمد ﷺ كما قال عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨.

بيان الآيات:

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ المراد به الشق الذي يكون في وسط حبة النبات كحبة البر ونواة التمر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: يخرج النبات الحي من الحب، ويخرج الميت من الحي أي: البيضة من الدجاجة. ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أي: أن الذي خلق الحب والنوى ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو الله الخالق القادر ﴿فَأَنِّي تُوفِّكُون﴾ أي: كيف تحيدون عن الحق، وتميلون إلى الباطل.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: الذي خلق الضوء، وجعله ضياء للخلق في معاشهم ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ أي: الذي جعل الليل راحة لهم يسكنون فيه ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أي: ومن آيات الله أن الشمس والقمر يجريان بحساب متقن لا يتغير، ولا يتبدل، أو يضطرب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي: كل هذه الأشياء تجري بقدرة الله وتسييره وحكمته.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ أي: ومن كمال قدرته، وعظيم صنعه أن جعل لخلق النجوم والأجرام ﴿لِنَهْتَدُوا بِهَا﴾ أي: لترشدكم وأنتم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ حتى لا تضلوا السير فيهما ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بينهاها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لقوم يعلمون قدرة الله وآياته.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ المراد به آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ أي: كنتم مستقرين في الأرحام ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: في صلب آبائكم ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بينهاها، وأوضحناها للذين يفقهون حقيقة قدرة الله في خلق الخلق من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ المراد به المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: جميع النباتات وأصنافها وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١). ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي: جعلنا من الماء كل شيء أخضر من النباتات في مختلف أنواعها ﴿تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ أي: يركب بعض هذا الحب على بعض في شكل متناسق كحال سنابل القمح وسائر الثمرات. ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ أي: أن النخل يطلع قنوانا، أي: عذوقها من الرطب قريبة من تناولكم ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: وأخرجنا لكم جنات من العنب المختلف في ألوانه، وأصنافه ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ أي: أن الزيتون والرمان متشابه في الورق والأغصان وغير متشابه في الثمر. ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أي: تفكروا في إنشائنا لهذه الجنان

والثمار وقدرتنا على تكوينها نفعاً لكم في دنياكم. ﴿وَيَنْعَمُ﴾ أي: وانظروا كذلك إلى نضج هذه الثمار، وما فيها من المنافع لكم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات لا يصدق بها إلا المؤمنون الذين وقر الإيمان في قلوبهم، فعرفوا صنع الله وما وهبه لخلقه من المنافع والأرزاق.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان قدرة الله عز وجل في صنع أكبر المخلوقات، كالسموات والأرض، وصنع أصغرها كشق نواة التمرة، أو حبة القمح. ومن الأحكام: بيان امتنان الله على خلقه في خلق الضوء لهم، وجعل الليل سكناً لهم والنهار مبصراً لهم، وجعل الشمس والقمر يجريان في نظام دقيق. ومنها: امتنانه على خلقه بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، ومن مظاهر قدرته عز وجل إنزال المطر من السماء، وإنبات النبات في مختلف مظاهره، وأشكاله، وكل هذه المظاهر تدرك بالمحسوس والمشاهد، وهي دلالة واضحة للذين يعقلون بأن الذي صنعها وقدرها هو الله عز وجل المستحق وحده للعبادة والتعظيم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلَيْهِ ۝ (١٠١) ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ (١٠٣)

بيان الآيات:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ المراد بهم مشركو العرب فيما أن يكونوا يعبدون الجن، بمعنى أنهم يلجؤون إليهم في جلب النفع لهم أو دفع الضر عنهم، أو يكون المراد أنهم ما عبدوا الأصنام إلا طاعة للجن وشاهده قول الملائكة ﴿ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (١). ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ أي: أن الله هو الذي خلق الجن، كما خلق المشركين ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ والمراد أن المشركين كذبوا حين قالوا: الملائكة بنات الله. كما كذب اليهود حين قالوا: عزيز بن الله. كما كذب النصارى حين قالوا: المسيح بن الله وهذا ضلال مبين. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: لا علم لهم بذلك، وإنما هو جهلهم وضلالهم ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ أي: تقدس في أسمائه وصفاته، وتنزه عن الولد وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: صانعهما وخالقهما ومبدعهما

(١) سورة سبأ من الآية ٤١ .

﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ أي: أن الولد إنما يكون من زوج وزوجة، وحاشا لله أن يكون على هذه الصفة فهو متفرد في ذاته القدسية، وصفاته العلية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: هو خالق كل شيء في الوجود، ومن يخلق المخلوقين لا يكون مثلهم، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأكيد بأن الذي خلق كل الأشياء وعلمها، لا يمكن أن تكون له صاحبة، أو ولد من خلقه.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لما ذكر الله تعالى أنه منزّه عن الصاحبة والولد، وأنه بديع السموات والأرض قال: ذلکم الله ربکم المتعالی فی ملکوتہ. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يوجد إله إلا هو ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: الذي خلق الخلق وقدر أرزاقهم ومحياهم ومماتهم وبعثهم ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أدوا عبادته، وتوحيده، وطاعته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: رقيب وحفيظ.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا يدركه بصر، ولا يحيط برؤيته بشر في الدنيا، والأصل فيه قوله عز ذكره في كتب متقدمة لموسى لما سأله الرؤية (ياموسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده) (١). وقوله ﴿فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١١٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ الآية^(١). والأصل فيه ما ذكره مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب؛ فإن الله تعالى قال ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) أما في الآخرة: فإن المؤمنين يرون ربهم حيث أخبر عن ذلك بقوله عز ذكره ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾^(٣).
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٤).

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي: يعلم كل شيء في الوجود ولا يخفى عليه منه خافية. ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: الرفيق المتلطف بعباده ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأحوالهم وأعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن من الإنس من عبد الجن وأشركهم مع الله في العبادة، ويدخل في هذا قدماء المشركين والكفار كما يدخل فيه السحرة الذين يطيعون الجن فيذبحون لغير الله. ومن الأحكام: التنديد بالذين ينسبون الولد لله، كما كان مشركو العرب يقولون إن الملائكة بنات الله، وما يقوله بعض النصارى بأن عيسى ابن الله، فتنزه

(١) سورة الشورى من الآية ٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (١) من سورة النجم برقم (٤٨٥٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٧٢ .

(٣) سورة القيامة الآية ٢٢ .

(٤) سورة القيامة الآية ٢٣ .

الله وتقدس عما ينسبه إليه الظالمون. ومن الأحكام: تقرير توحيد الربوبية والألوهية. ومنها: الحكم بأن الله لا يرى في الدنيا؛ أمّا في الآخرة فيراه المؤمنون وهذا غاية ما يتمنونهم في دار كرامته.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۗ﴾ (١٠٤) ﴿وكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَتَذَكَّرُوا ۚ﴾ (١٠٥) ﴿أَتَبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۚ﴾ (١٠٦) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۚ﴾ (١٠٧).

بيان الآيات:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البصائر الآيات والبيانات التي جاءت من عند الله على لسان رسوله محمد ﷺ ويستدل بها العقلاء على الإيمان بالله وتوحيده واتباع شرعه. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: من استدل بها وآمن بالله، وبرسوله، فقد نجا. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: من أعرض عن هذه البيانات، فقد هلك وشاهده قول الله تعالى ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (١). ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: ليس من مهمتي حفظكم، فلست إلا مبلغاً لرسالة ربي.

(١) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ أي: نفسرها، ونفهمها لمن يريد الهداية كما قال عز وجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(١). ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أما الذين لا يهتدون ولا يرغبون في بيان الحق الذي جئت به يا محمد فيقولون إما أنك ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: نلت الدرس من غيرك حتى لا ينتفعوا بما جئت به كقولهم: ما هذا إلا أساطير الأولين أو يقولون: لقد دارست أهل الكتاب فتعلمت منهم ولم يوح إليك من عند الله بشيء وهذا منتهى الكفر والضلال. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: تبين القرآن وتصريفه. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الذين وهبهم الله العقول التي يستبصرون بها طريق الهدى من الضلال.

﴿أَتَبَعُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: المتفرد بالألوهية، ولا تحزن على فعلهم وكفرهم فذاك متروك لله ليحاسبهم عليه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا منسوخ بنزول آية القتال^(٢).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ أي: أن شركهم كان بمشيئته، لعلمه أنهم لا يهتدون ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي: لا تستطيع حفظهم من عذاب الله ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: إنك مبلغ لهم ما أوحى إليك ولست وكيلاً عنهم.

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤٦٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الله قد أرسل البينات لخلقه على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ، فمن اتبعها فقد سلك الطريق السوي الذي يوصله إلى السعادة في الدارين، ومن تولى عنها فقد سلك طريق الضلال الذي يؤدي به إلى الهلاك. ومن الأحكام: أن الله عز وجل فسر الآيات ويسرها لمن يبتغي الحق الذي جاء به رسوله ﷺ؛ أما الذين لا يريدون اتباع هذا الحق فيتهمون الرسول بالكذب عياداً بالله منهم. ومن الأحكام: وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والإعراض عن أقوال الكفار، وأهوائهم، وأباطيلهم. ومنها: تسلية رسول الله ﷺ بألا يحزن على إشراك المشركين وكفرهم، فلو شاء الله عدم إشراكهم لما أشركوا ولكنهم ضلوا في أنفسهم فأضلهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

بيان الآية:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تتعرضوا بالسب للذين يدعون من دون الله ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ وفي هذا ذكر ابن عباس أن كفار قريش قالوا لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه

عن سب آلهتنا، وإما أن نسب إلهم ونهجره فنزلت الآية (١). ﴿عَدَّوْا
بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً وضلالاً. ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾
أي: وكما زينا لهؤلاء تعظيم أصنامهم والدفاع عنها فقد زينا مثل هذا
العمل لغيرهم من الأمم السابقة .

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: معادهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
أي: سيلقون ما كانوا يعملونه فيحاسبون عليه.

أحكام ومسائل الأئمة:

الأصل منع مايؤدي إلى المحذور، ودرء المفسدة أولى من جلب
المنفعة، والتعرض للكفار بالسب قد يؤدي إلى المحذور، وهو سب الله
أو سب رسوله محمد ﷺ، أو سب الإسلام، فمتى كان الكفار في قوة
وسلطة من أمرهم وجبت موادعتهم حتى لا يؤدي التعرض لهم إلى
مفسدة أكبر من المصلحة في التعرض لهم بالسب ونحوه، وسد الذرائع
مما توجبه أحكام الشريعة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (من الكبائر
شتم الرجل والديه) قيل: يارسول الله هل يشتم الرجل والديه؟ قال:
(يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) (٢).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٧٧-٣٧٨، ومعالم التنزيل للبغوي ص ٤٣٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠)، صحيح مسلم بشرح
النووي ج ١ ص ٧٢٤ .

إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُم
الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: حلفوا ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غايتها
﴿لَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي: لو جاءتهم معجزة من المعجزات التي
تعطى للأنبياء ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: يصدقونها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن مرجع هذه الآيات إلى الله ﴿وَمَا
يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعله دخل في نفوس المؤمنين
أن تنزل على المشركين آية من الله حتى يؤمنوا، فأنزل الله هذه الآية
أي: وما يدريكم أيها المؤمنون أنه إذا جاءتهم آية يؤمنون بها بل هم
يسألونها تعنتاً وتعجيزاً، وليس هدفهم الاستهداء والاستنارة بها إلى
الطريق الحق.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنهم
حلفوا أيماناً مغلظة بأن يؤمنوا إذا جاءتهم معجزة ذكر حقيقة
أحوالهم وعدم هدايتهم ولو قالوا ما قالوا فقال ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ

وَأَبْصَرَهُمْ ﴿٢٤٣﴾ أي: نحول بينهم وبين الإيمان لعدم صدقهم فيما يقولون عن رغبتهم في الإيمان إذا جاءتهم معجزة ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿٢٤٤﴾ أي: أنهم لا يؤمنون، كما لم يؤمنوا بالقرآن أول منازل ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ أي: نتركهم في ضلالهم حيارى لا يهتدون سبيلاً.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَأِيكَةَ﴾ ﴿٢٤٦﴾ أي: لو أرسلنا لهم الملائكة فرأوهم بأعينهم ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ ﴿٢٤٧﴾ أي: لو أحيينا الموتى فكلموهم جهاراً ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ ﴿٢٤٨﴾ أي: لو أتيناهم بما طلبوه من الآيات والمعجزات ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ ﴿٢٤٩﴾ أي: مع كل ذلك لن يؤمنوا إلا أن يشاء الله أن يهديهم، فهو الهادي، ومصرف القلوب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٥٠﴾ أي: يجهلون في طلبهم الآيات حكمة الله وتدبيره في عبادته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مجرد القول لا يدل على صدقه فقد يقول قائل إنه مؤمن ويحلف أيماناً مغلفة ولكنه ليس كذلك ولأن الله يعلم عدم صدقه يحول بينه وبين الإيمان فيجعله حيران لا يهتدي إليه سبيلاً. ومن الأحكام: تقرير أن الذين لا يصدقون في قولهم لن يؤمنوا حتى لو رأوا الملائكة جهاراً أو كلمهم الموتى أو أوتوا ما طلبوا من الآيات.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ عما أصابه من قومه والمراد أنه كما تعرضت يا محمد للعدوان من قومك، فقد حدث لكل نبي قبلك أعداء. ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: أعداء من هذين الجنسيتين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الإيحاء هنا بمعنى التمويه والوسوسة التي يقوم بها شياطين الجن إلى شياطين الإنس، ويزخرفون لهم الباطل؛ ليغروهم به وشاهده قول رسول الله ﷺ: (مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: (وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق) (١). ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما فعلوا هذا التمويه؛ لأن كل شيء بحكمته وإرادته. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: اتركهم وما يفعلونه من التمويه؛ فإن الله ناصرك وسيلقون جزاءهم على كذبهم.

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ٣٨٥، والدارمي في كتاب الرقاق، باب ما من أحد إلا ومعه قرينه من الجن، برقم (٢٧٣٤)، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٩٦.

﴿وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ﴾ أي: لتميل إليه ﴿أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ﴾ أي: لتميل إلى كذبهم وتمويههم قلوب الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿وَلَيْرِضْوُهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ أي: ويرضوا بهذا الكذب وليرتكبوا بفعلهم تلك الخطايا والسيئات.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله جعل لكل نبي أو داعية إلى الدين عدواً من شياطين الإنس والجن، يكيدون له ويعادونه، وقد تصل هذه العداوة إلى حد القتل كما حدث لبعض أنبياء بني إسرائيل. وفي هذا التقرير تسلية لرسول الله ﷺ عما وجده من قومه. ومن مسائل الآيتين تحريم الخداع والتمويه بالباطل، وأنه لا يصغي له إلا الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

بيان الآيات:

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين الذين كذبوك: أأطلب غير الله حكماً بيني وبينكم؟ وهو الحكم الحق الذي خلقكم ورزقكم ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ أي: بين لكم في القرآن عظيم قدرته وسلطانه ودلائل آياته ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ المراد بهم اليهود والنصارى ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: يعلمون أن القرآن منزل من عند ربك تنزيلاً بيناً لا شك فيه ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: لا تكونن من الشاكين في علمهم أنه منزل من عند الله، فهم يعرفون ذلك حقيقة كما يعرفون أبناءهم وشاهده قول الله جل ذكره ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: أحكامه ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي: صدقاً في الوعد؛ لأنه لا يخلف الميعاد وعدلاً فيما حكم وقضى به وشاهده قوله عز وجل ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٢). ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾ أي: لا معقب لما حكم وقضى به ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لما يقوله عباده ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بسرائرهم وخفاياهم.

(١) سورة يونس الآية ٩٤ .

(٢) سورة التين الآية ٨ .

﴿وَأِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار والمشركين
 ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الطريق الذي هداك الله إليه وهو
 طريق الإسلام.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: إن هؤلاء الكافرين لا يعرفون إلا
 الظن الكاذب الذي لا يستند إلى علم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: إن
 عملهم هو مجرد التخمين والخرص الذي لا يوصل إلى حقيقة.
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: إن ربك يا محمد
 يعلم من يضل عن سبيله من الخلق وسوف يجازيه على هذا الضلال
 ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وهو أعلم كذلك بالذين يريدون الهداية
 فيرشدهم إليها.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: تحريم التحاكم إلى غير الله والمراد به كتابه وسنة رسوله
 محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ
 حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١). ومنها: أن أحكام الله المنزلة في كتابه وعلى
 لسان رسوله محمد ﷺ كلها حق وصدق وعدل. ومنها: الحكم بأنه
 لا راد ولا معقب لما حكم الله به وقضى به على عباده. ومنها: الحكم
 بأنه يعلم بعلمه المطلق من يضل عن سبيله من الخلق، ومن يدعو إليه
 وسوف يجازي كلا بعمله.

(١) سورة المائدة الآية ٥٠.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٦﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١١٨﴾

بيان الآيات:

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من المطعومات وغيرها مما هو في حكمها ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: في حال كونكم مؤتمرين بشرعه وأحكامه. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ المراد من الذي يمنعكم من أكل ما ذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ المراد لما ذا لا تأكلون مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم الله الحلال والحرام من الطعام والشراب. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: فصل لكم الحلال والحرام حيث حرم عليكم الميتة والدم وغيرهما، إلا إذا اضطررتم إلى ذلك للحفاظ على أنفسكم من المجاعة أو العطش.

﴿وَأِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ أي: إن كثيراً من المشركين ومن في حكمهم من الكفار يضلون الناس ﴿بَاهْوَاءِ بِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: يتكلمون عن الذبح، وعن الحلال، والحرام، بجهل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ أي: هو العليم باعتدائهم وكذبهم على الله.

﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أي: اجتنبوا المعاصي في علانياتها وسرها؛ لأنها إثم وخطيئة في أي: صورة كانت عليها. وشاهده قول الله عز ذكره ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (١). ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ أي: إن أهل المعاصي سيجزون على ما يقترفونه منها سواء فعلوا ذلك سراً أو علانية.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: إن الله حرم عليكم أن تأكلوا ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها. وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ أي: الذبح بغير التسمية باسم الله وشاهده من السنة أحاديث كثيرة منها قول رسول الله ﷺ: (من ذبح قبل الصلاة) (المراد الأضحية) فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله) (٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما أنهر الدم وذكر اسم

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ فليذبح على اسم الله، برقم (٥٥٠٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥٤٦.

الله عليه فكل) ^(١) ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ أي: إن الشياطين يلهمون الكذب والتمويه وغرور القول لأوليائهم والمصدقين لهم. ﴿لِيُجَدِّلُواكُمْ﴾ بالباطل كقول المشركين للمسلمين: أنتم تزعمون أنكم تتبعون أحكام الله ومرضاته فما لكم تأكلون ما ذبحتم ولا تأكلون ما قتل الله (يقصدون الميتة) ؟ فقال الله عز ذكره ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أي: في قولهم بأكل الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أي: مثلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب التسمية عند ذبح الأنعام وكل ما في حكمها، وهذا واضح بدلالة صريح الآية بأن ترك التسمية فسق، فإن ترك التسمية فله حالتان: إذا كان تركها ناسياً غير متعمد حلت ذبيحته عند أكثر العلماء؛ لأن الناسي لا يسمى فاسقاً؛ ذلك أن النسيان مما يجوز على الإنسان ويعذر فيه؛ لقول رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ^(٢). الحالة الثانية: إن ترك التسمية عامداً لم يحل أكل ذبيحته والاحتجاج بحديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: (اسم الله على كل قلب مؤمن يسمى أو لم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمداً، برقم (٥٤٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥٣٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٥٩، والمشكاة برقم (٦٢٨٤)، وقال الألباني صحيح.

يسمّ) (١). لا يصح؛ لأن هذا الحديث ضعيف. هذا في خصوص التسمية عند ذبح الأنعام، أما في العموم فإن المسلم يسم الله عند أكله لقول رسول الله ﷺ للغلام: (سم الله وكل بيمينك) (٢). كما يسم الله عند وضوئه لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا وضوء لمن لا يذكر اسم الله عليه) (٣). كما أن المسلم يسم الله عند مجامعته لأهله وفي الكثير من أقواله وأفعاله طلباً لبركة الله وعونه.

ومن الأحكام: حل ما اضطر إليه العبد لإنقاذ نفسه من الهلاك ومن ذلك أكل الميتة ونحوها. ومنها: تحريم اتباع أهل الباطل وأهل الأهواء. ومنها: وجوب ترك الإثم في ظاهره وباطنه. ومن الأحكام: تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، ما لم يكن ذلك نتيجة السهو. ومن الأحكام: تحريم طاعة الشياطين ومن في حكمهم، فمن فعل ذلك فقد أشرك.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا

(١) ذكره الإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بلفظ «اسم الله على كل مسلم» وقال: إسناده ضعيف ج ٢ ص ٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأثرية، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٥٢١.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، برقم (١٠١)، سنن أبي داود ج ١ ص ٥١، كما أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند ج ٢ ص ٤١٨.

جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

بيان الآيات:

﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ في هذه الآية ضرب الله مثلاً للتفرقة بين المؤمنين والكافرين، أي: أن من كان قبل الإسلام غارقاً في الغواية والإثم، ثم هديناه للإسلام فاتبع ما أمرنا به وانتهى عما نهينا عنه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ وهو القرآن فيحل الحلال ويحرم الحرام فالجواب أنه ليس ﴿كَمَنْ مَّثَلُوهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ وهو الغارق من الجهل والضلال فيحرم الحلال ويحل الحرام ونظيره قول الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(١). ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أي: أصبح غارقاً فيها لا يستطيع الخروج منها ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أن الشيطان زين للمشركين سوء أعمالهم فأرداهم في الغواية والضلال .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا﴾ في هذا تسليّة لرسول الله محمد ﷺ عما أصابه من المشركين، أي: أن ما أصابك من كبار كفار قريش كأبي لهب، وأبي جهل، قد حدث للأنبياء

(١) سورة فاطر من الآية ٢٢ .

قَبْلَكَ مِمَّنْ عَصَاهُمْ قَوْمُهُمْ وَتَصْدَى لَهُمْ كِبَارُهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَنَظِيرُهُ
 قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١). قَوْلُهُ
 ﴿لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾ أَي: لِيَفْسِدُوا فِيهَا ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا
 بِأَنفُسِهِمْ﴾ أَي: مَا يَفْسِدُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛ لَمَّا سَيَّنَالَهُمْ مِنَ الْحِسَابِ
 وَالْجَزَاءِ عَلَى إِجْرَامِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلرُّسُلِ. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: بِعَاقِبَةِ
 فِسَادِهِمْ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وَسُوءِ إِدْرَاكِهِمْ.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ
 اللَّهِ﴾ مَازَالَ السِّيَاقُ فِي أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ وَسُلُوكِهِمْ وَذَكَرَ جَهْلَهُمْ، فَإِذَا
 جَاءَهُمْ بَرَهَانٌ مِنَ اللَّهِ وَمَوْعِظَةٌ قَالُوا: لَن نُّؤْمِنَ بِمَا قِيلَ حَتَّى نَكُونَ
 أَنْبِيَاءَ تَنْزِلُ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ مَا كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَى الرُّسُلِ وَنَظِيرُهُ أَيْضاً
 مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ
 عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾^(٢). قَوْلُهُ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ﴾ أَي: هُوَ الْعَالَمُ بِمَنْ يَكْلِفُهُ بِالرِّسَالَةِ مِنْ خَلْقِهِ فَلَوْ عَلِمَ
 فِيهِمْ خَيْرٌ لَّكَفَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالرِّسَالَةِ، وَلَكِنَّهُ كَلَّفَ بِهَا مُحَمَّدًا ﷺ؛
 لَعَلَّمَهُ أَنَّهُ أَهْلٌ لِّهَا؛ لَصَدَقَهُ وَأَمَانَتُهُ وَعِفَافُهُ وَطَهْرُهُ. ﴿سَيُصِيبُ
 الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: سَيُنَالُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُجْرِمِينَ

(١) سورة الفرقان من الآية ٣١ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٢١ .

الذين قالوا هذا القول صغار أي: ذلة وهوان عند الله يوم يعرضون عليه ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: عذاب أليم ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: يخدعون ويموهون ويجادلون بالقول الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المؤمن حي في الدنيا والآخرة بمعنى أنه حي في الدنيا باطمئنانه فيها ورضاه بما حباه الله به من الهداية، وحي في الآخرة بما يناله فيها من النعيم المقيم، وهذا على خلاف الكافر الذي حياته ظلام في الدنيا، لبعده عن طريق الله وظلام في الآخرة بما يناله من الهوان والعذاب. ومن الأحكام: تسليية رسول الله ﷺ عما أصابه من قومه؛ لأن ما أصابه منهم سبق أن حدث للأنبياء قبله. ومن مسائل الآيات أن كثيراً من البلاد لا تخلو من مجرمين يفسدون فيها كما قال تعالى ﴿وَكَاثٌ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١). ومن الأحكام: أن من يفسد ويمكر في الأرض يرتد عليه مكره وفساده. ومنها: تقرير غباء وجهل المشركين وكونهم لا يؤمنون إلا إذا أنزل الله عليهم مثل ما ينزل على أنبيائه والحكم بأن العذاب سينالهم جزاء عدم إيمانهم.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

(١) سورة النمل الآية ٤٨ .

يُضِلَّهُ، يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ .

بيان الآية:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ لقد بين الله لعباده سننه وأحكامه في عبادته، فمن يشرح صدره لأوامر الله ويتبعها؛ فإنه يرحمه ويرأف به ويوفقه للإسلام، فتشرح لذلك نفسه ويطيب خاطره وهذا دليل سعادته ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: أن من يضيق صدره بأوامر الله، فإن نفسه تكتئب وتضيق ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: أنه من شدة ما يعانيه من الضيق بسبب فقد الإيمان يتكلف ما لا يستطيع مثله في ذلك مثل من يحاول الصعود إلى السماء وهو محال وهذا دليل على شقائه ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: جعل الله اضطراب العقل، وسوء البصيرة على الذين لا يؤمنون به.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يتبع أوامر الله، وينتهي عن نواهيه يشرح الله صدره للإسلام فتطمئن نفسه، ويكون على نور من ربه، كما قال عز وجل ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (١).

(١) سورة الزمر من الآية ٢٢ .

الحكم بأن من يعرض عن أوامر الله ويرتكب محارمه يضيق صدره وتكتئب نفسه ويضطرب عقله وتعمى بصيرته.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۖ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾
 ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ الخطاب لرسول الله محمد ﷺ والمراد أن ما أنت عليه وأتباعك إنما هو صراط الله المستقيم الذي ارتضاه لكم ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بينهاها ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: من كان لهم علم ووعي وفهم لما أنزل الله من هذه الآيات. ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ضمن الله للمتذكرين دار الله أي: الجنة التي وصفها بدار السلام وهو وليهم أي: ناصرهم بما كانوا يعملون أي: جزاء لهم على إيمانهم وتذكرهم لآيات الله.

من الأحكام: الحكم بأن الله ارتضى لرسوله محمد ﷺ وأتباعه الصراط المستقيم الذي من سلكه فاز في الدارين ومن ضل عنه هلك فيهما. كما قال عز وجل وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١﴾. ومنها: أن الذين يتذكرون آيات الله ويستقيمون على طريقه المستقيم يجزون بدخولهم الجنة دار الكرامة عند ربهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ط
وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا
الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٣﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ
أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَلِكُلِّ
دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾﴾

سورة الأنعام

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ أي: يوم تحشر الخلائق يوم القيامة
﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ط﴾ المراد ينادي الله الجن
فيقول قد استكثرتم من إضلال الإنس وإغوائهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ
مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ والمراد أن الإنس استمتعوا
من الجن حيث زينوا لهم المعاصي واستمتع الإنس بالجن، فكانوا إذا

نزلوا وادياً استعاذوا من الجن وشاهده قول الله عز ذكره ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١).
 قوله ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ أي: يوم البعث ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَّكُمْ﴾ أي: منزلتكم التي لا تخرجون منها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: كتب عليكم البقاء فيها أبد الأبدين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فهو المرجع والحكم في كل شيء.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نسلط بعض الظالمين على بعض كما هو الحال في تسلط شياطين الجن على الإنس ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: بسب سوء أعمالهم.

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي يقال للجن والإنس يوم يحشرهم الله: ألم يأتكم رسل منكم يبلغونكم رسالة الله إليكم؟ وقد تم هذا البلاغ للإنس عن طريق الرسل، كما تم للجن عن طريق رؤسائهم الذين كانوا يستمعون للرسل ومنهم رسول الله ﷺ وشاهده قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٢). ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا

(١) سورة الجن الآية ٦ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .

أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢﴾. وقوله عز ذكره ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿٣﴾. ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٤﴾.

﴿يُقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أي: يُفَصِّلُونَ لَكُمْ ما أنزلته من الآيات ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: كان رسلنا يحذرونكم من هذا اليوم الذي تحاسبون فيه وتجزون على أعمالكم ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أي: يقولون إن الرسل بلغونا رسالة الله. ﴿وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن الذي منعهم من الإيمان وتصديق الرسل هو ما سَوَّلَهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْغُرُورِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ أي: أقرؤا واعترفوا بكفرهم وضلالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل إلى الإنس والجن ﴿أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ أي: أن ربك يا محمد لم يكن يهلك أهل القرى قبل أن يرسل إليهم رسلاً؛ لأن من حكمته وإرداته في خلقه ألا يظلم

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٠.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣١.

(٣) سورة الجن الآية ١.

(٤) سورة الجن الآية ٢.

أحداً منهم وشاهده قوله عز ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(١). وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢). وقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣). ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ أي: لم يأتهم نذير من قبل، يدلهم على الهدى ويبصرهم الحق.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي: لكل واحد من الجن والإنس درجات حسب عمله في الخير أو الشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنه عالم بكل عمل يعمله الإنس والجن وسوف يحاسبون عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يجري بين كفرة الجن والإنس من التعاون على الخبث والضلal، كما هو الحال في تعاونهم على السحر ونشر الفساد. ومن الأحكام: تولى الظالمين لبعضهم جزاء أفعالهم فمن يستسلم من الإنس لشياطين الجن يسلطه الله عليه فيتولاه. ومنها: أن الله عزوجل قد أعذر الإنس والجن بإرسال الرسل لهم؛ فمن اتبعهم فقد عصم نفسه وأنجاها، ومن أعرض عما جاؤوا به فقد أهلكها. ومنها: أن لكل من الإنس والجن جزاءه على عمله من الخير أو الشر.

(١) سورة النساء من الآية ٤٠ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ (١٣٣) **إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيٌ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغني في ذاته العلية والغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (١). ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٢). ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي: الرحيم لمن أطاعه واتقاه كما قال عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣). ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: إن يشأ يستأصلكم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يخلق خلقاً آخر غيركم، لا يكونوا مثلكم في المعصية ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته كما أنشأ آخرين من قبلكم وشاهده قوله عز ذكره ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ

(١) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

وَيَأْتِ بِشَاخِرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١﴾. وقوله تقدست أسماؤه
﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ أي: إن الذي توعدون به أيها
المشركون المكذبون لرسالة الله وما جاء به نبيه آت لا محالة. ﴿وَمَا
أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لن تعجزوا الله في شيء.

﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد
ابقوا على عملكم من الكفر وهذا تهديد لهم. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي:
باق على ما أنا عليه من الإسلام والإيمان بالله وإخلاص العبادة له
وحده لا شريك له ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ
الدَّارِ﴾ أي: سوف ترون يوم الحساب أن العاقبة الحسنة ستكون
للمتقين، وأن العاقبة السيئة لكم بسبب شرككم وكفركم. ﴿إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تأكيد أن المشركين لا ينتصرون وقد تحقق
ذلك فانتصر رسول الله ﷺ وأتباعه وانهزم المشركون فكان لهم
الخسران والهوان في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله عز وجل غني عن عباده، فلا تنفعه طاعتهم ولا

(١) سورة النساء الآية ١٣٣ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

تضره معصيتهم. الحكم بأن وعد الله للمشركين بالعذاب واقع لا محالة وقد يكون هذا العذاب معجلاً لهم في الدنيا أو مؤجلاً لهم في الآخرة. ومن الأحكام: أن الله قادر على إبادة الخلق والإتيان بغيرهم. ومنها: تهديد المشركين بالعذاب إذا استمروا على شركهم وهذا الحكم عام في كل زمان ومكان.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْعِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ

خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ
اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧١﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾

قال ابن عباس: رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءاً، وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه، وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمر الذي جعلوه لله فاختلف بالذي جعلوه للوثن قالوا: هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه لله، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ

الْحَرْثِ﴾^(١). وقيل: المراد أنهم إذا ذبحوا ماله ذكروا عليه

اسم أوثانهم، وإذا ذبحوا لأوثانهم لم يذكروا عليه اسم الله^(٢)

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٤٠-٤١، والدر المنثور ج ٣ ص ٨٨-٨٩، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٧١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٩٠.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس عملهم فالله جل وعلا لا يقسم له من خلقه فهو خالقهم وخالق نباتهم وأنعامهم وزروعهم فتعالى وتقدس عما يقول الظالمون.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ

أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ لما بين الله جل وعلا مازينته الشياطين للمشركين من جعلهم لله نصيباً ولأوثانهم نصيباً من الحرث والأنعام بين أنهم زينوا لهم كذلك قتل أولادهم خشية الفقر وواد البنات خشية العار. ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم أي: يخلطوا عليهم دينهم بالباطل. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: إن فعلهم هذا هو بإرادة الله وحكمته ومشيئته. ﴿فَذَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: اتركهم وما يفعلون فلست إلا مبلغاً لهم، وسوف يحكم الله في ذلك وهو خير الحاكمين.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٍ﴾ أي: محجورة لأوثانهم ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْعِهِمْ﴾ أي: لا يأكل منها: إلا من يشاؤون من المقربين لهم أو هي الوصيلة كما قال عز وجل ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١). ﴿وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ

ظُهُورُهَا ﴿٢٦٦﴾ أي: أنعام يتركونها قرابين للأوثان، فلا يركبها أحد منهم أو من غيرهم. ﴿وَأَنعَمُوا لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: يذبحونها للأوثان وليس لله ﴿أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ﴾ أي: يكذبون على الله أنه أمرهم بهذا ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: سيلقون يوم القيامة جزاء كذبهم.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾

هذا جهل من جهالتهم، وعمى من عماهم، وضلال من ضلالهم فيجعلون اللبن وأجنة الأنعام مما يباح لذكورهم، ويحرم على نسائهم. ﴿وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ أي: إن كانت الأجنة ميتة أباحوها لذكورهم ونسائهم ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾ أي: سيجزيهم الله على كذبهم وافتراءهم على الله وزعمهم أن هذا من أحكامه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في شرعه وأحكامه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله عباده.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ أي: بآء بالإثم

والخسران في الدنيا هؤلاء الذين قتلوا أولادهم؛ بحجة الخوف من الفقر أو الخوف من العار، وما يفعل هذا إلا السفهاء الذين ضلوا عن الطريق المستقيم فأضلهم الله. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فيما شرعوه من شرعهم الباطل في السائبة والوصيلة والحامي

﴿أَفْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: كذباً وزوراً بادعائهم أن هذا من أحكام الله.
 ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: أنهم بفعلهم هذا كفروا
 ولم يهتدوا بما جاءهم من أحكام الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم ما كان يفعله أهل الجاهلية من البدع والضلال.
 ومن الأحكام: تحريم قتل النفس بغير حق كما كان أهل الجاهلية
 يقتلون أولادهم خشية الفاقة أو العار، وهذا يشمل ما تفعله بعض
 دول المسلمين من تحديد النسل خوف الفقر. ومنها: إبطال أعمال
 الجاهلية في تحريم ما أحله الله، ويشمل ذلك كل عرف أو عادة
 تتعارض مع أحكام الله، ومن ذلك: الذبح عند القبور والتقرب إلى
 أصحابها من الأولياء.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ
 وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
 كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

بيان الآية:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ أي: هو الذي خلق ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾

أي: بساتين مرفوعات عن الأرض والمراد بالتعريش الرفع ﴿وغيرَ
مَعْرُوشَتٍ﴾ أي: غير مرفوعات. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾
أي: يختلف من حيث الطعم والذوق. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ
مُتَشَبِهًا﴾ أي: متشابه الورق واللون. ﴿وغيرَ مُتَشَبِهٍ﴾ في الطعم.
﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ أي: مما يثمر النخل والزيتون
والرمان. ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قد يكون المراد الزكاة
وهي: العشر ونصف العشر وقد يكون المراد الصدقة وقد يكون
الاثنين معاً، فالزكاة فرض؛ أما الصدقة من الثمار فمما يحبه الله
خاصة من يأتي وقت الثمار وهو يتطلع إلى شيء منها، وقد ذم الله
أصحاب الجنة الذين يجنون الثمار في خفية حتى لا يراهم المساكين
وشاهده هذا وقوله عز ذكره ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١). ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ (٢). ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٣). ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٤). إلى قوله ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ
يَخْفَتُونَ﴾ (٥). ﴿أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ (٦).

(١) سورة القلم من الآية ١٧ .

(٢) سورة القلم الآية ١٨ .

(٣) سورة القلم الآية ١٩ .

(٤) سورة القلم الآية ٢٠ .

(٥) سورة القلم الآية ٢٣ .

(٦) سورة القلم الآية ٢٤ .

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قد يكون معطوفاً على الأكل في قوله ﴿كُلُوا﴾
 مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴿وقد يكون المراد النهي عن الإسراف في الصدقة؛
 لما روي أن ثابت بن قيس بن شماس عمد إلى خمسمائة نخلة فجذها
 ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فنزلت الآية^(١) ﴿إِنَّكَ لَا
 يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: أن الله يبغض المسرف.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب إخراج الصدقة مما تنبت الأرض وقد اختلف في
 حكم المخرج منها الوارد في هذه الآية، هل هي الزكاة المفروضة أم
 الصدقة من غيرها؟ فقال فريق: إن المراد الزكاة المفروضة أي: العشر
 فيما سقت السماء، وما سقي بنضح ونحوه نصف العشر وقيل: إن
 المراد حق في المال من غير الزكاة ندب الله إليه، وقيل: إن هذا منسوخ
 بآية الزكاة، فهذه الآية مكية وآية الزكاة مدنية.

وقد استدل الإمام أبو حنيفة بهذه الآية: فأوجب الزكاة في كل
 ما تنبت الأرض، إلا الحطب، والحشيش، والقضب، والتين، والسعف،
 وقصب السكر^(٢). وقال صاحباه: لا يجب العشر إلا فيما له ثمرة باقية
 إذا بلغ خمسة أوسق^(٣). وخالفه في ذلك آخرون، وقالوا: لا زكاة إلا في

(١) معالم التنزيل للبغوي ص ٤٤٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٢ .

(٢) البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني ج ٣ ص ٤١٧ .

(٣) البناية شرح الهداية ج ٣ ص ٤١٨ .

الحنطة والشعير والزبيب والتمر. وعند الإمام مالك: تجب الزكاة في كل ماهو مقتات مدخر^(١). وعند الإمام الشافعي: تجب الزكاة في كل يابس يدخر ويقتات مأكولاً باستثناء الزيتون^(٢)؛ أما الإمام أحمد فيرى مثل مارآه الإمام أبو حنيفة إذا كان يوسق^(٣) استدلالاً بقول رسول الله ﷺ: (ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة)^(٤).

أما الوقت الذي يجب فيه الحق المراد في الآية فقليل: إنه وقت جذاذ الثمر أو صرامه وقيل: يوم الطيب؛ لأنه قبل أن يكون طيباً لا يصح للأكل؛ لأنه ليس بطعام، وقيل: إن وقت إخراج الحق بعد خرص الثمار^(٥).

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١٤٢) ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ

- (١) شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل لعبد الباقي بن يوسف الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٣.
 (٢) مغني المحتاج للشربيني الخطيب ج ١ ص ٢٨١.
 (٣) الكافي لابن قدامة ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٤.
 (٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة، برقم (١٤٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٣٧٨.
 (٥) التفصيل في زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٢.

الَّذِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ
 يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ
 رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
 رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ أي: وكما أنشأ جنات
 معروشات وغير معروشات جعل من الأنعام حمولة، والمراد بها الإبل
 بما تحملها من الأثقال، ونظيره قوله عز ذكره ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ
 إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾^(١). ﴿وَفَرْشًا﴾ أي:
 صغار الأنعام ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: كلوا من الثمرات
 والزرع ومن الأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: لا تتبعوا
 ما سنه الشيطان لأوليائه من تحريم بعض الأطعمة واللحوم. ﴿إِنَّهُ
 لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة.

﴿ثُمَّ نِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ ما زال السياق في جهل

(١) سورة النحل من الآية ٧.

المشركين من العرب وضلالهم في عاداتهم حين حرموا أنواعاً من الأنعام، فأبطل الله هذه العادات وأمر المؤمنين ألا يتبعوها وبين لهم أنه أباح لهم من ﴿الضَّانِّ﴾ ومن ﴿الْمَعْزِ﴾ ذكورها وإناثها ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وهذا رد على عاداتهم الباطلة فقولهم ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: قل لهم يا محمد أفيدوني إن كان لديكم علم عن تحريمكم على أزواجكم ما في بطون الأنعام وتحريمكم للبحيرة والسائبة والوصيلة ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وهذا كما سبق قوله عز وجل في الضأن والمعز. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ أي: هل شهدتم بأعينكم أن الله وصاكم بما تفعلونه من تحريم ما أحله لكم؟ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: لا أظلم من أحدٍ يفترى على الله الكذب ويحرم ما أحله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين يتبعون أهواءهم فيحرمون ما أحل الله طاعة لأهوائهم.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ مازال السياق في الرد على لجاج المشركين وأباطيلهم، فأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: لم أجد فيما أوحاه الله إلي محرماً ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أي: أكل يأكله إلا هذه الأشياء، اللهم ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً﴾ أي: مامات دون تذكية شرعية ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ أي: مصبوباً، وليس هو ذاك الذي اختلط باللحم أو العظم ﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ﴾ ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أي: أن لحم الخنزير نجس ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح، ولم يذكر اسم الله عليه ثم استثنى الله من تحريم هذه الأشياء بقوله ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي: من ألجأته الضرورة؛ لإنقاذ نفسه من الهلاك ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: إن الله يتجاوز عن أكله هذه المحرمات مادام ذلك لإنقاذ نفسه وهو غير باغ ولا عاد.

أحكام ومسائل الآيات:

اختلف بعض العلماء حول ما أبيح وما حرم من الحيوانات وقالوا: في ذلك أقوالاً عن السباع وهوام الأرض والحيات والعقارب والذي لا جدال فيه: أن الله حرم الميتة أيا كانت موتتها وقد فصل أنواعها في كتابه العزيز وهي ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾^(١).

كما حرم الله بنص القرآن: الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وكل

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

مالم يذكر اسم الله عليه، وقد بينت السنة أنواعاً من المحرمات، فحرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية^(١)، وكل ذي ناب من السباع^(٢)، وكل ذي مخلب من الطير^(٣). وكل ما جاز قتله - كالعقرب والحية والفأرة - حرم أكله.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١٤٦) **فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴿١٤٧﴾

بيان الآيتين:

لما ذكر الله تعالى ما حرم على أمة محمد ﷺ ذكر ما حرم على اليهود في قوله عز ذكره ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ أي: حرّمنا على اليهود كل ما له ظفر من الدواب والطيور كالأبل والبقر والوزن ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: ما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، برقم (٥٥٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، برقم (٥٥٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٩ ص ٥٧٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، برقم (١٩٣٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي، ج ٧ ص ١٦.

علق في باطنها من الشحوم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ استثناء من التحريم وهو ما كان على الظهر من الشحم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ وهي المرائب وتشمل الأمعاء ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أي: أحل لهم ما اختلط من الشحم بالعظم ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: أن السبب في هذا التحريم عليهم هو مجازاة لهم؛ بسبب عصيانهم لما أمرناهم به من الأحكام ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ هذا بيان عن عدل الله في حكمه في اليهود.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ أي: إن كذبتك - يا محمد - اليهود والمشركون فيما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته واتباع أحكامه ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن رحمته واسعة للتائبين من ذنوبهم فيرحمهم ويتوب عليهم ويكفر ما سبق من سيئاتهم إذا صلحوا ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أما إن استمروا على تكذيبهم فسيدخر لهم العذاب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله حرم على اليهود أنواعاً من الطيبات؛ بسبب ذنوبهم. الحكم بأن رحمة الله واسعة؛ فمن تاب إليه قبل توبته؛ أما من استمر على كفره وفسقه فإن بأس الله لا يرد عنه.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا
 حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا
 قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ
 شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إخبار من الله لرسوله بأن كفار قريش
 قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾
 يريدون البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي والمراد أنهم يقولون:
 لو أن الله أرسل إلى آبائنا رسولا ينهاهم عما كانوا يفعلونه لما حدث منا
 ما حدث؛ ذلك أنا وجدناهم على هذه الطريقة فاتبعناهم. ﴿كَذَلِكَ
 كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أن من كان قبلهم من الأمم السابقة
 قالوا مثل هذا القول تبريراً لتحريمهم ما أحل الله لهم ﴿حَتَّى ذَاقُوا
 بَأْسَنَا﴾ أي: نزل بهم عذابنا؛ جزاء فعلهم ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ
 مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: قل لهم يا محمد هل عندكم حجة غير
 ما قلتم؟ لأن حجتكم هذه لا تنفعكم؛ فالله لم يأمركم بما عملتم وقد

أعطاكم من العقل ما تفكرون به ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: الكذب فيما تقولون ﴿وَأَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: تزعمون صحة حجتكم ودليلكم هذا باطل من أساسه.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ يأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ أي: الدليل الذي يزيل الوهم والشك، فحجته بينة في أنه فاطر السموات والأرض وخالق الخلق أجمعين، وأنه الإله الحق وأنه يهدي من يشاء، وأن ما يفعله خلقه إنما هو بمشيئته وإرادته وحكمته ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: إن من حكمته أن يبين للناس طريق الهدى ويقيم عليهم الحجة بما يبينه لهم من الآيات، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ونظيره قوله جل وعلا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون إن الله حرم عليهم الوصيلة والبحيرة ﴿هَلَمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾ أي: أقيموا وأحضروا شهداءكم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أي: يشهدون أن الذي حرمتموه كان بناء على حكم من الله أو أمر منه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تصدقهم

(١) سورة يونس الآية ٩٩ .

ولا تتبعهم؛ لأن ما يقولونه كذب وافتراء على الله. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فيه تنبيه وتحذير من الله لرسوله محمد
ﷺ ألا يتبع أهواء المشركين. ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ﴾ هذا وصف للمشركين بأنهم ينكرون البعث والحساب
ويشركون مع الله غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم ببطلان حجة من يحتج بالقدر على فعل المعصية؛ لأن الله
جل وعلا بين لعباده على لسان رسله، وآخرهم وخاتمهم محمد ﷺ
ما يجب عليهم من الأحكام التي تدلهم على الخير، وتنهاهم عن الشر؛
فمن فعل منهم الخير فقد ائتمر بما أمره الله به ومن فعل منهم
الشر فقد عصى ما أمره الله به وكل منهم يستحق جزاءه على ما
عمل، وقد بين الله ذلك في قوله عز وجل ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١). وقوله جل
ذكره ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢).

ومن الأحكام: أن الظن والخرص لا يغني عن الحق شيئاً وأن
حجة الله بالغة في أنه الإله الحق. ومنها: أنه عز وجل قادر على
هداية الخلق أجمعين ولكنه لم يفعل ليرى من الذي يطيع أمره،

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٣ .

(٢) سورة البلد الآية ١٠ .

ومن الذي يعصيه. ومن الأحكام: جواز الشهادة ومشروعيتها، وعدم قبول شهادة أهل الكذب. ومنها: تحريم اتباع أهل الأهواء وأهل الباطل.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكِلُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

بيان الآيتين:

ما زال السياق في مجادلة المشركين وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يبين لهم ما فرضه الله عليهم من الأحكام والفرائض العظيمة بقوله عز ذكره ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أي: أقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أبين لكم ما حرمه الله عليكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ والمعنى أن الشرك بالله مما حرمه وعظم تحريمه وتوعد

صاحبه بعدم المغفرة ووعد بالمغفرة لما دون الشرك من الذنوب والمعاصي إن شاء، وشاهده قوله عز ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١). وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق)^(٢).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأمركم أن تبرا والديكم وتحسنوا إليهم والبر بالوالدين والإحسان إليهم معروف من الدين بالضرورة ففي كتاب الله قوله عز وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣). والبر بهما والإحسان إليهما حتى لو كانا كافرين لقول الله عز ذكره ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٤). وفي السنة مارواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ

(١) سورة النساء من الآية ٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، برقم (٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١ ص ٧٤١ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٤) سورة لقمان من الآية ١٥ .

أي: العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) الحديث^(١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

وهذا تحذير مما كان يفعله العرب في جاهليتهم من قتل أولادهم؛ خشية الفقر ويئدون بناتهم؛ خشية العار وحكم جل وعلا أنه يرزق الآباء والأولاد، وقد تكفل بذلك في قوله عز من قائل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢). أما في السنة فما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: أي: الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) الحديث^(٣).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الفواحش

كل ما حرمه الله على عباده كالزنى، والخمر، ونحو ذلك من الموبقات وشاهده من كتاب الله قوله عز وجل آمراً نبيه أن يبلغ أمته ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾^(٤). ومن السنة قول

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم (٨٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٠٨.

(٢) سورة هود من الآية ٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣.

(٤) سورة الأعراف من الآية ٣٣.

رسول الله ﷺ: (لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر فيها وما بطن)^(١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهذا نهى للتأكيد على التحريم القطعي لقتل النفس، سواء كانت مؤمنة أو معاهدة وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)^(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: (من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(٣). ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: هذه المحرمات ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: أمركم وفرض عليكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ المراد أن على ولي اليتيم أن يصلح أموال موليه واستثمارها؛ لما فيه نفعه. وهذا يقتضي عدم جواز الاتجار فيها إلا إذا كان ذلك مظنة فائدته كما يقتضي عدم جواز إقراضها لنفسه أو لغيره؛ لما في ذلك من احتمال فقدها. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: قوته في بدنه ورشده في عقله، وهذان الأمران

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ برقم (٤٦٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود (القسامة)، باب ما يباح به دم المسلم، برقم (١٦٧٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٥٩٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم، برقم (٦٩١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٠.

متلازمان، فلو كان قوياً في بدنه ولم يرشد في عقله لا يجوز توليته ماله. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: أوفوا واعدلوا عند كيلكم ووزنكم في بيعكم وتجارتكم. وقد توعده الله المطففين في كيلهم ووزنهم فقال عز ذكره ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٢). ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٣). ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾^(٤). ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٥). ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا تكلف إلا طاقتها والمراد ما يجب عند التعامل من الاحتياط والاحتراز من تطفيف الكيل والوزن مما هو في مقدور البائع. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: يجب أن يكون العدل هو غايتكم في البيع والشراء وسائر القضايا. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: لو كان الحق يترتب على ولدكم أو أقاربكم؛ لأن الحق لا يتجزأ، فهو واجب الأداء في أي: وقت وفي كل محل. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أي: أوفوا بكل

(١) سورة المطففين الآية ١ .

(٢) سورة المطففين الآية ٢ .

(٣) سورة المطففين الآية ٣ .

(٤) سورة المطففين الآية ٤ .

(٥) سورة المطففين الآية ٥ .

(٦) سورة المطففين الآية ٦ .

عهد هذه الله إليكم، سواء في العبادات أو المعاملات. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر في الآية من الحرص على مال اليتيم، والوفاء بالعدل في الكيل والوزن، والعدل في القول والعمل. ﴿وَصَّنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أمرتم به؛ لكي تتعظوا وتمتثلوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بتحريم الشرك بأي صفة كان. ومن الأحكام: وجوب بر الوالدين. ومنها: تحريم قتل الولد خشية الفقر والعوز ويشمل ذلك - كما ذكر سابقاً - تحديد النسل إذا كان المراد منه خشية من الفقر. ومن هذه الأحكام: الحكم بتحريم الفواحش العلنية والخفية كالزنى والخمر. ومنها: الحكم بتحريم قتل النفس إلا بالحق الذي بينه الله في كتابه وبينه رسوله محمد ﷺ في سنته. ومن هذه الأحكام: وجوب التصرف بالحسنى في أموال الأيتام والعدل في الكيل والوزن والوفاء بالعهد.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)

بيان الآية:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ هذه الآية من أمهات الآيات وأعظمها؛

لما فيها من الأمر باتباع طريق الإسلام الذي هو دين الحق وخاتم الأديان وأفضلها وهو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه يهدي إلى الحق ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: الزموه ولا تحيدوا عنه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ توكيد للالتزام بعدم الميل عنه، وشاهده ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطأً ثم قال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطأً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، ثم قال: (هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثم قرأ هذه الآية^(١). وقيل: إن المراد بالسبل اليهودية، والنصرانية، وأي ملة غير ملة الإسلام^(٢).

وقيل: المراد بقوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: البدع^(٣) وشاهده ما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ فقال: (تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ومن يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، برقم (٢٠٢)، سنن الدارمي ج ١ ص ٧٨، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، برقم (١١)، بلفظ قريب منه، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦.

(٢) تفسير البغوي ص ٤٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٨.

(٣) تفسير البغوي ص ٤٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٧٨.

بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وعليكم بالطاعة) الحديث^(١).

نعم: كان خلفاء الأمة أحرص ما يكونون على اتباع صراط الله المستقيم سواء ما مناطه سلوكهم أنفسهم المتمثل في الحرص على تقوى الله، والتمسك بشرعه، والبعد عن الأهواء، ومظان الفتن والبدع، أو فيما يدعون إليه. وفي هذا ذكر سفيان بن عيينة أن رجلاً كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فكتب إليه: «أما بعد فأني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السنة إنما سَنَّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحقم والتعمق، فارض لنفسك ماضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي،

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، برقم (٤٢-٤٣)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٥-١٦، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم (٢٦٧٦)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٣.

ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»^(١).

﴿ذَالِكُمْ﴾ أي: الأمر باتباع الصراط المستقيم. ﴿وَصَّكُمْ بِهِ﴾ أي: أمركم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: تتفكرون وتتعتظون.

أحكام ومسائل الآية:

هذه الآية تضمنت عدة أحكام منها: أن صراط الله مستقيم لا عوج فيه؛ لأنه حكم حكم به؛ فلا حكم إلا له قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢). ومنها: الأمر باتباع هذا الصراط والأمر يقتضي الوجوب والتكليف. ومنها: تحريم اتباع أي: سبيل غير سبيل الإسلام. ومنها: أن هذا توصية من الله لعباده وهذه تعني تكليفهم وإلزامهم بما أمرهم به.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(١٥٥) أَنْ تَقُولُوا

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم (٤٦١٢)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٠٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٥ ص ٣٣٨.

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٠.

إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٨٩﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿٢٩٠﴾

بيان الآية:

لما ذكر الله تعالى ما حرمه على عباده من الشرك وما أمر به من البر بالوالدين وسائر الأوامر الأخرى في الآيات السابقة عطف على ما أعطاه موسى من البينات وهي التوراة؛ ذلك أن بني إسرائيل كانوا عصاة معاندين له، جاحدين لآيات الله ومنكرين لبعثة رسول الله محمد ﷺ فيذكرهم الله بما سبق أن دعاهم إليه أنبياءهم وبالأخص موسى عليه السلام فقال عز ذكره ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: تمامًا على الذي أحسنه الله إلى موسى من الرسالة وإنزال التوراة عليه. ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تفصيلًا للأحكام التي كان يحتاجها قومه بنو إسرائيل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ لهم إذا اتبعوا ما جاء فيها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لعلهم يؤمنون بما أنزل إليهم، ويتوبون إلى الله من خطيئاتهم، ويتركون مفاسدهم وشرورهم وفتنهم.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ المراد به القرآن الكريم ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ أي: أنزله الله هدى ورحمة للعالمين؛ لما فيه من بركة الله فيه. ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: اتبعوا ما فيه من الأحكام. ﴿وَاتَّقُوا﴾ أي: اتقوا مخالفته. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أي: يرحمكم الله بسبب اتباعه وعدم مخالفته.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: لكيلا تقولوا أيها المشركون ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: التوراة والإنجيل على الطائفتين: اليهود، والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب نقرؤه. ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ أي: إن ذلك الكتاب أنزل عليهم ونحن لا نعرف لغتهم. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِمَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ أي: وقد أنزلنا هذا القرآن لكيلا تقولوا لو أنه أنزل علينا مثل ما أنزل عليهم من الكتاب لكنا أفضل منهم وأقرب للهداية، ولهذا لا عذر لكم بعد ذلك. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ يبين لكم الحلال والحرام وينهاكم عن الشرك والكفر، وعن الفحشاء، ويدلكم على الخير، ويجنبكم الشر ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ إن عملتم بما فيه. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: لا أحد أظلم منكم إن كذبتكم بما جاءكم به القرآن من البينات وأعرضتم عنها. ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ

يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٨﴾ أي: سنعاقب الذين يتولون ويعرضون عن آياتنا بأشد العذاب جزاء إعراضهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعم الله على موسى عليه السلام بما أعطاه من النبوة والكتاب هدى ورحمة للذين يتبعون مافيه والمراد بهم بنو إسرائيل في زمانهم. ومن الأحكام: تقرير أن الله عز وجل أنزل القرآن مباركاً وجعله رحمة للعالمين وأوجب عليهم الإيمان به واتباع أحكامه وعدم مخالفته، وبذلك لم يعد لأحد حجة في عدم الإيمان. ومن الأحكام: تقرير العذاب للذين يكذبون بآيات الله ويعرضون عنها.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

بيان الآية:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ استفهام إنكاري المراد منه المشركون والكافرون حيث جاءتهم البينات وأقيمت عليهم الحجة فماذا ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم. ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره بعذابهم. ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾

أي: يأتيهم أمانة من أمارات الساعة كطلوع الشمس من مغربها أو خروج الدجال، فحينئذ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ والمراد أنه إذا قامت الساعة، فلا قيمة لإيمانهم حينذاك وفي ذلك روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) (١).

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي: لا يقبل منها عمل صالح ولا حسنة من الحسنات إذا لم يكن صاحبها قد فعل ذلك من قبل حدوث أمانة من أمارات الساعة. ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ في هذا تهديد للمشركين والكافرين الذين يتولون عن آيات الله وأحكامه وينتظرون وقت قيام الساعة وشاهده قوله عز وجل ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْنِيَهُمْ بَعَثَ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ (٢).

أحكام ومبادئ الآيات

تقرير قيام ملك الموت وأعوانه بقبض أرواح الخلق. وتقرير إتيان أمارات الساعة، أو إحداها كطلوع الشمس من مغربها، وخروج

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم (١٥٧) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٩٧-٨٩٨.

(٢) سورة محمد الآية ١٨.

الدجال والدابة، فإذا خرجت هذه الأمارات أو إحداها فلن يقبل من أحد توبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

بيان الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ قيل: المراد بهم اليهود والنصارى في اختلافهم على أنبيائهم^(١) وشاهده قول الله تعالى ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾^(٢). والمعنى عام في كل من ابتدع فرقة، أو ملة، أو نحلة، أو اتخذ طريقاً أو مسلكاً يخالف ما أمر الله به أو أمر به رسوله كحال الفرق والملل والنحل التي ابتدعت لها أحكاماً وسنناً غير أحكام الله وسننه كما هو الحال في الفرق السابقة مثل القدرية، والمرجئة، والمشبهة، والمعطلة، ونحوها، وكما هو الحال في الفرق المعاصرة كالقاديانية^(٣)

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٨٠، وتفسير البغوي ص ٤٥٣، والدر المنثور ج ٣ ص ١١٦.

(٢) سورة البينة الآية ٤ .

(٣) سبقت الإشارة إلى أنها حركة من الفرق الباطنية المنحرفة ظهرت في سنة ١٩٠٠م تحت رعاية الاستعمار في شبه القارة الهندية، تعتقد بأن النبوة لم تختتم بمحمد ﷺ بل هي جارية، وتدعو إلى إلغاء الجهاد. وإباحة المنكرات، وعقيدتها تخالف الإسلام، وقد أفتى علماء الإسلام بكفر أصحابها، ويعيش معظم أتباع هذه الطائفة في باكستان والهند ولها أنشطة في أفريقيا وبعض الدول الغربية. كان زعيمهم مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٢٨-١٩٠٨م)، القاديانية لإحسان إلهي ظهير، والقاديانية لأبي الأعلى المودودي.

والبهائية^(١)، ونحو ذلك من الفرق المنحرفة.

وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الذين فرقوا دينهم هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة)^(٢). ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت يا محمد بريء منهم وشاهده قول رسول الله ﷺ - كما أشير إليه من قبل -: (أنا فرطكم على الحوض ليرفعن رجال منكم إلي، ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(٣).

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: هو الذي سيتولى محاسبتهم وعقابهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: أنهم سيجدون ما عملوه بيناً واضحاً لهم يوم القيامة فلا تحزن عليهم، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ.

(١) البهائية إحدى الفرق الباطنية المنحرفة التي عملت على محاربة الإسلام تحت رعاية الاستعمار والصهيونية، وهي تنكر أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن كتابها البيان قد نسخ القرآن الكريم، أسسها الميرزا علي محمد الشيرازي سنة ١٨١٩-١٨٥٠ م، وتقطن غالبية أتباعها في إيران، وقليل منهم في العراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين المحتلة، ولهم وجود ضعيف في مصر. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الصادرة من الندوة العالمية للشباب الإسلامي ج ١ ص ٤١٢-٤١٨، والبهائية أضواء وحقائق، لإحسان إلهي ظهير.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١١٧، ونوادر الأصول لحكيم الترمذي ص ٢٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم (٦٥٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٢.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم التفرق في الدين، ويشمل ذلك الفرق والملل والنحل التي تحيد عن الطريق الذي رسمه الله لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ. كما يشمل هذا الحكم أصحاب البدع والأهواء الذين يضعون أحكاماً، أو يسنون سنناً خلاف أحكام الله وسننه.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠)

بيان الآية:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: من أتى بحسنة ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: فله عشر حسنات، وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده كاملة وإن هم بها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ومحاها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك) (١). ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: إن الله عز ذكره لا ينقص من أحد شيئاً مما عمل.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (١٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٢٩-٨٣٠.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير نعم الله وفضله على عباده بمضاعفة حسناتهم إلى سبعمائة ضعف كما قال عز وجل ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١). كما أن من نعمه ومنته على خلقه عدم مضاعفة سيئاتهم بل تجاوزه عنها إذا تابوا منها وتحولوا إلى حسنات كما قال عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢). ومن الأحكام: أن الله لا يظلم أحداً من خلقه.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ^(١٦٤).

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: قل يا محمد

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠.

للمشركين وغيرهم إن ربي وفقني إلى صراطه المستقيم، ثم بينه عزوجل في قوله ﴿دِينًا قِيمًا﴾ أي: قائماً وهو ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الإمام ابن كثير: وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام^(١).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ديني والمراد بالنسك هنا كل الطاعات وأعمال الخير. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: إن حياتي وموتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي: لاند، ولا نظير، ولا مثل ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني ربي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة وقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٨٩ .

فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك^(١).

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا رد على الكفار الذين قالوا لرسول الله ﷺ: اترك دينك يا محمد، والزم ديننا وسنتكفل بكل ماتطلب منا، فأنزل الله هذه الآية^(٢) توبيخاً لهم والمعنى: كيف أبتغي رباً، وربى هو مالك كل شيء ومصرفه وهو القادر والقاهر فوق عباده؟ ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: إن كل نفس لا تحاسب إلا على ما عملته يوم القيامة، وهذا هو عدل الله في خلقه، فأنتم أيها الكفار سوف تجزون بابتغائكم رباً غير الله ونحن سنجزى على اعتقادنا بأن الله هو ربنا وخالقنا ومصرفنا لا نعبد إلا إياه ولا نتوجه إلا إليه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: إن كل نفس لا تحاسب إلا على عملها هي، فلا تحمل عبء نفس أخرى وهذا من عدل الله في خلقه. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: إليه معادكم. ﴿فِيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف تجدون ما عملتم، ونجد ما عملنا

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة ج ٢ ص ٣٢، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلوات ج ١ ص ٢٣٢، وأخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٢٥٦.

(٢) تفسير البغوي ص ٤٥٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٤٨١.

يوم القيامة وما كنا نختلف فيه في الدنيا فيحكم الله بيننا فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير هداية الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ لملة إبراهيم وهي الإسلام. ومن الأحكام: استحباب قول المسلم إذا قام للصلاة إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين اتباعاً لما كان يفعله رسول الله ﷺ عند قيامه للصلاة^(١). ومنها: الحكم بأنه لا رب للخلق إلا الله عز وجل مالك السموات والأرض ومن فيهن، وما بينهما. ومنها: الحكم بأن النفس لا تطالب إلا بجريرتها هي عملاً بقول الله جل ذكره ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢). وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٣). وهذا إبطال لاعتقاد أهل الجاهلية بأن الرجل يؤخذ بابنه وبأبيه وبجريرة حليفه، ولما وفد أبورمثة رفاعة التميمي مع ابنه على رسول الله ﷺ قال: (ابنك هذا) قال: إي - ورب الكعبة - قال: (حقاً) قال: اشهد به فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه^(٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٢٥٦.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٦.

(٣) سورة المدثر الآية ٣٨.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب لا يؤخذ أحد بجريرة أخيه أو أبيه، برقم (٤٤٩٥)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٦٥، والنسائي في كتاب القسامة، باب هل يؤخذ أحد بجريرة غيره، برقم (٤٨٤٧)، سنن النسائي ج ٨ ص ٤٢٣.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥)

بيان الآية:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ أي خلقكم بعد الأمم قبلكم. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ المراد به التفاوت بينكم في الخلق، والرزق، والغنى، والفقر، وغير ذلك مما يتفاوت به الخلائق في حياتهم. ﴿لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ليختبركم فيرى ما إذا كنتم تشكرونه على فضله، أو تكفرون به، وما إذا كنتم تحمدونه على السراء أو الضراء. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ أي يعجل بالعقوبة لمن عصاه. ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي يغفر ويرحم من أطاعه وأناب إليه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مراحل الخلق، حيث تموت أجيال، ويأتي بعدهم آخرون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن الأحكام: تقرير التباين بين الخلق في الغنى، والفقر، وفي الصحة، والمرض، وفي الإيمان، والكفر، وفي مظاهر الحياة ليعلم الله - وهو العليم - من هو الذي يشكر، ومن هو الذي يكفر منهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعراف

مكية وآياتها خمس ومائتا آية

﴿الْمَصَّ ١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الْمَصَّ﴾ الله أعلم بمراده. ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا الكتاب القرآن أنزل إليك من عند الله ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ الحرج الضيق والمراد أن هذا الكتاب الذي أنزله الله إليك، إنما أنزل لتنذر به قومك فلا يكن في نفسك ضيق إذا لم يؤمنوا به ونظيره قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١). والمراد إنما أنت مبلغ كما قال عز وجل ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٢). ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما وصفه الله عز وجل بأنه لإنذار القوم الكافرين وصفه بأنه ذكرى للمؤمنين الذين آمنوا به وصدقوه فيكون في ذكره لهم موعظة دائمة، وثبات لهم على الإيمان بالله.

(١) سورة الحجر الآية ٩٧ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٤٠ .

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول لهم: اتبعوا كتاب الله الذي أنزل إليكم، هدى ورحمة لكم واتبعوا سنة نبيه ﷺ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره، فإن ذلك شرك، وعذابه عظيم ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: إنكم بشرككم تتركون دين الله الذي ارتضاه لكم وهو الدين الحق، وتتبعون غيره مما هو باطل.

أحكام ومسائل الآيات:

المخاطب رسول الله ﷺ بقول الله تعالى ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ والمراد به غيره فالحرج هو الشك، ورسول الله ﷺ قد ملأ الله قلبه بالإيمان، فلا يمكن أن يشك فيما أنزل الله إليه، ولما كان القرآن لم يكن مكلفاً به رسول الله ﷺ وحده، بل هو لكل من آمن به، ولما تتعرض له النفس من الوسوس الشيطانية، وما قد يخالجها من الريب في القرآن خاطب الله المسلم من خلال الرسول الذي أرسل إليه، وهو محمد ﷺ. ومن الأحكام في الآيات: الحكم بوجوب اتباع ما نزل به القرآن، وذلك بتحليل ما أحل، وتحريم ما حرمه، والامتثال لما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وهذا يقتضي حكماً بالإيمان بألفاظه ومعانيه، وناسخه، ومنسوخه، ومتشابهه، والحكم ببطلان كل اتباع لغيره من الكتب، سواء كان هذا في العبادات أو المعاملات، ومن زعم أن غيره من الكتب أفضل منه كفر.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾
 فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾
 فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَ
 عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَكَمْ﴾ للتكثير أي: وكثير من القرى والمراد به أهلها. ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾
 بسبب تكذيب أهلها للرسل الذين جاؤوهم بالبينات ﴿فَجَاءَهَا
 بَأْسُنَا بَيِّنًا﴾ أي: جاءها العذاب والهلاك وأهلها نائمون ﴿أَوْ هُمْ
 قَائِلُونَ﴾ أي: جاءهم الهلاك والعذاب وهم في قيلولتهم والمراد به
 استراحتهم أثناء النهار كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١). ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
 ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢).

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ﴾ أي: ما كان لهم من عذر في ضلالهم وشركهم
 لما جاءهم العذاب إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: سوف نسأل رسلنا
 عما بلغوه لهم كقوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨ .

أُجِبْتُمْ ﴿١﴾ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الملائكة الذين يكتبون أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ ﴿٣﴾. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ أي: سوف يعرفون ما كتب عليهم من عملهم. ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ أي: شهدنا على أعمالهم وأفعالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاتعاظ والاعتبار بما حل بالأُمم الماضية ممن هلكوا؛ بسبب كفرهم مثل قوم: نوح، وعاد، وهود، وصالح. ومن الأحكام: عدم قبول العذر إذا حل العذاب. ومنها: تقرير سؤال الله لرسله عن بلاغهم لأُممهم.

﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ المراد أن العبرة بوزن الأعمال يوم القيامة؛ لأن ذلك هو العدل الذي يريده الله، فلا يظلم أحداً بما لم يعمل كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ

(١) سورة المائدة من الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١١ .

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أُتِينَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ ﴿٢﴾. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
هُمْ الْمُقْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ أي: من ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة، فقد أفلح في
آخرته ونجا من العذاب. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ أي: من خفت موازينه لكثرة ما فيها من السيئات وقلة
الحسنات فقد خسر نفسه بما سيناله من العذاب. ﴿بِمَا كَانُوا بِعَآيَتِنَا
يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥﴾ أي: بما كانوا يكذبون بما جاءهم من البينات.

أحكام ومسائل الأيتي:

تقرير أن الأعمال توزن يوم القيامة حيث يحولها الله إلى أجسام، كما
توزن محالها وأصحابها؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
ﷺ قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
جناح بعوضة وقال اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ ﴿٦﴾).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا

(١) سورة النساء الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه..)، فتح الباري
ج ٨ ص ٢٧٩، برقم (٤٧٢٩)، والآية في سورة الكهف من الآية ١٠٥.

لِأَدَمَ فَسَجْدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ
 إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
 ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا
 أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ
 مِنْهَا مَذءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا لكم قراراً في الأرض بما
 فيها من الرواسي، والجبال، والأنهار، كما قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ
 لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (١). ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ
 فِيهَا مَعِيشَةً﴾ أي: هيأنا لكم فيها أسباب العيش والحصول على النعم بما
 فيها من المطاعم، والمشارب، والمساكن ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: إنكم مع
 هذا ما تشكرون الله على هذه النعم كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا
 نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٢).
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ لما بين الله ما أنعم به على خلقه، وما

(١) سورة الملك من الآية ١٥ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٣٤ .

يجب أن يكونوا عليه من الإيمان والتذكر والشكر له عز وجل بين عظمته في خلق الخلق بقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم فتناسلتم من بعده ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: خلقناكم نطفاً صغيرة ثم صورناكم على صوركم الحسنة كما قال عز وجل ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١). ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ﴾^(٢). ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾^(٤). ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: قلنا للملائكة اسجدوا لآدم؛ ذلك أن الله عز وجل لما خلق آدم من طين لازب، ثم صورته بشراً ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة أن يسجدوا له، ليس اختصاصاً له بالسجود؛ لأن ذلك لا يكون إلا لله وإنما الأمر بالسجود تعظيم لله الذي خلقه وصوره، وقد استجاب الملائكة لأمر ربهم إلا إبليس فقد عصى، فلم يكن من الساجدين.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسَّجَدَ﴾ أي: ما الذي جعلك لا تسجد لآدم؟ وقد أمرتك بالسجود له كما هو الحال بالنسبة للملائكة، فقال إبليس عليه اللعنة ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي: أنا خير من هذا الذي أمرتني بالسجود له، والسبب في زعمه لعنه الله قوله ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

(١) سورة الانفطار الآية ٦ .

(٢) سورة الانفطار الآية ٧ .

(٣) سورة الانفطار الآية ٨ .

(٤) سورة غافر من الآية ٦٤ .

أي: أن النار أفضل من الطين، فالنار جوهر يضيء، والطين غير ذلك، وهذا خطأ منه في تقديره وتفسيره للأشياء، فكان ذلك سبب كفره وشقاوته.

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ كان جزاؤه على كفره وشقاوته أن قال الله ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ أي: انزل من السماء، أو من الجنة. ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ أي: أن تتعالى، وتعدو قدرك؛ لأنك شرير، وأهلها ملائكة متواضعون، يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض. ﴿ فَأَخْرَجَ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ أي: من الأذلاء الحقيرين الذين لا يستحقون منزلة الملائكة. ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: أمهلني إلى يوم البعث والحساب، فأجابه الله عز وجل بقوله ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ أي: تبقى حياً إلى يوم يبعث الله الخلق، وهذا لحكمة أرادها وقضاء قضاه لما له عز وجل من الحكمة والإرادة والمشيئة في خلقه.

﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ لما قال الله لإبليس: إنك لمن المنتظرين إلى يوم البعث قال: فبما أضللتني ﴿ لَا قَعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: لا قعدن لغواية الخلق الذي أضللتني؛ بسبب عدم السجود لأبيهم وسوف أعمل على إضلالهم، وغوايتهم، وإبعادهم، وصددهم عن الصراط المستقيم حتى يهلكوا كما هلك. ﴿ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: أفسد عليهم دنياهم. ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: أفسد عليهم آخرتهم. ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي: أشككهم في دينهم ﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ أي: أرغبهم في اتباع شهواتهم

والمعنى أني سوف أعمل على إضلالهم من كل جهة. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أي: حتى تجد أكثرهم غير مطيعين ولا شاكرين.

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا﴾ القائل هو الله عز وجل لإبليس أي: اخرج من الملأ الأعلى. ﴿مَذْءُومًا﴾ أي: محتقراً مخزياً ﴿مَدْحُورًا﴾ أي: صاغراً مطروداً ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام للقسم أي: أن من اتبعك منهم، سوف أملأ جهنم منه كما قال عز وجل ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (١). والشیطان لا يغوي إلا من اتبعه وصدق ما يزينه له من الشهوات والمعاصي؛ أما المؤمنون فلا تضرهم غواية إبليس ولا وسوسته كما قال عز وجل ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٢).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تمكين الله لخلقه في الأرض، وتيسير أرزاقهم وحياتهم. ووجوب شكرهم له على ما أنعم به عليهم. ومن الأحكام: تقرير خلق الله لأبي الخلق آدم وتصويره على أحسن الصور ونسلهم منه. ومنها: تقرير استكبار إبليس عن السجود له، على وجه التعظيم لا على وجه العبادة. ومنها: أن مفاضلة إبليس بين النار التي خلق منها وبين التراب الذي خلق منه آدم مفاضلة فاسدة؛ فالتراب في كل الأحوال أفضل من النار.

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٣ .

(٢) سورة الحجر من الآية ٤٢ .

ومن الأحكام: تقرير خطر إبليس وأعوانه على بني آدم مما يوجب عليهم عصيانه فيما يأمر به أو يوسوس به. كما قال عز وجل ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١).

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٢).

بيان الآيات:

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ لما حدث لإبليس ما حدث قال الله لآدم وزوجته حواء ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: أقيما في الجنة، وكلا من كل الثمرات فيها. ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وهي الشجرة التي حرمها الله عليهما لحكمته ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن أكلتما منها فستكونان ظالمين.

﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ لما علم إبليس بما خص الله به آدم وزوجته وأكرمهما بالسكن في الجنة سعى إبليس لخديعة آدم لإخراجه منها. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ وكان عليهما نور لا يرى أحد منه عورتهما، وقال ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ أي: ما كان ربكما لينهاكما ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ هنا، فلو أكلتما منها لحصل لكما ميزة الملائكة والخلود في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: حلف لهما بأنه ما قصد إلا النصح والمحبة لهما؛ لأنه خلق قبلهما ويعرف أكثر منهما.

﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أي: غرهما بنصحه ويمينه لهما. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ أي: لما أكلا من الشجرة، انحسر النور الذي كان يستر عورتهما. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: يقطعان ورق الشجر؛ ليسترا عورتهما. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: ألم أحذركما منها بعد أن حرمتها عليكما، فلماذا عصيتماني وأطعتما إبليس؟ وقد قلت لكما ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فلا تطيعوه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله حين يأمر أحداً من خلقه بأمر أو ينهاه عن نهي

إنما هو لمصلحة هذا الخلق؛ لأنه عز وجل أعلم بما هو أنفع له. ومن الأحكام: تقرير أن عمل إبليس هو الإغواء والوسوسة. ومنها: أن نصح إبليس لبني آدم إنما هو كذب وغرور، الهدف منه إيقاعهم في الخطيئة. ومنها: وجوب ستر العورة في الصلاة وفي غيرها.

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ أي: لقد أخطأنا وظلمنا أنفسنا بسماع نصيحة إبليس ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ﴾ أي: تتجاوز عن خطيئتنا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ أي: لاتؤاخذنا بما فعلنا. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: ستكون خسارتنا عظيمة، وهذه هي الكلمات التي علّمها الله عز وجل آدم ليقولها بعد ما حدث له من خديعة إبليس كما قال عز وجل ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّٰثَ عَلَيْهَا إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

﴿قَالَ أَهْبِطُوا﴾ أي: انزلوا من الملاء الأعلى إلى الأرض والمراد به

آدم وزوجته وإبليس كما قال عزوجل ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (١).
 ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: أصبحتم أعداء إلى يوم البعث وقد انتقلت
 هذه العداوة من آدم إلى ذريته. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى
 حِينٍ﴾ أي: أصبح لكم بعد هبوطكم الأرض استقرار ومتاع فيها إلى
 أجل معلوم حكم الله به وقدره. ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: تعيشون
 مدة معلومة. ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ أي: يحل بكم الموت فيها. ﴿وَمِنْهَا
 تُخْرَجُونَ﴾ أي: بعد قيام الساعة كما قال عزوجل ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ
 وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٢).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تعليم الله لآدم وزوجته أن يستغفرا من خطيئتهما بكلمات
 تعلماهما فتاب الله عليهما، وهي قول الله عز ذكره على لسانيهما ﴿رَبَّنَا
 ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الآية. ومن الأحكام: تقرير سوء عاقبة المعصية فعدم
 تعظيم إبليس لآدم كان السبب في لعنه وطرده من رحمة الله، وكان
 تصديق آدم لإبليس السبب في إخراجه من الجنة وهبوطه وزوجته إلى
 الأرض. ومن الأحكام: أن الإنسان يحيا في الأرض ويموت فيها إلى أن
 يبعثه الله يوم ينفخ في الصور.

(١) سورة البقرة من الآية ٣٨ .

(٢) سورة طه الآية ٥٥ .

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ
التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ (٢٦) يَبْنِيْ
عَادَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا اِنَّهُ يَرِيْكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾ (٢٧).

بيان الآيتين:

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ في هذا امتنان من الله على خلقه
فيما هياه لهم من اللباس الذي ﴿يُورِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ أي: يسترها
﴿وَرِيشًا﴾ أي: ثيابا فاخرة للزينة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾
أي: إن لباس التقوى هو الخير؛ لأن لباس الدنيا زائل؛ أما لباس
التقوى فهو لباس الآخرة، وهو خير من لباس الدنيا. ﴿ذٰلِكَ مِنْ
ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ أي: إن ماهياه الله ويسره لخلقه من
اللباس هو من آيات الله الدالة على صنعه، فلعل العباد يتذكرون
النعم التي أنعم الله بها عليهم.

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ﴾ النداء لبني آدم ينهاهم
الله فيه عن فتنة الشيطان لهم بما يوسوس به في نفوسهم وما يسوله
لهم من فعل المعاصي ﴿كَمَا اَخْرَجَ اَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ أي: يفعل بكم مثلما فعل بأبيكم آدم

وأَمَكُم حَوَاء حِينَ أَغْرَاهُمَا بَنَزَعَ لِبَاسَهُمَا؛ لَكِي تَنكُشِفَ سَوَاءَهُمَا.
﴿إِنَّهُ يُرِيكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أَي: أَنْكُم لَا تَرَوْنَ
الشَّيْطَانَ وَأَعْوَانَهُ وَجَنَدَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَلَكِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَأَعْوَانُهُ كَمَا
فِي الْحَدِيثِ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ) ^(١). ﴿إِنَّا
جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الشَّيَاطِينُ هُم مَصْدَرُ الشَّرِّ
لِلْإِنْسَانِ وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ،
وَلَكِنْهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّذِينَ يَبِيعُونَ دِينَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ فَفَقَدُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِمَا
جَاءَ بِهِ نَبِيهِ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نعم الله على خلقه وتكريمه لهم بما جعل لهم من اللباس
الذي يسترون به عوراتهم. تقرير أنَّ خير اللباس لباس التقوى
والإيمان؛ لأنَّ هذا اللباس هو الباقي. ومن الأحكام: التحذير من غواية
الشَّيْطَانَ وَضَلَالَهُ حَيْثُ إِنَّهُ يَرَى الْإِنْسَانَ وَهُوَ لَا يَرَاهُ. ومنها: أَنَّ
الشَّيَاطِينَ يُوَالُونَ وَيُحِبُّونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢٨) قُلْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك
للخصم، برقم (٧١٧١)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج ١٣ ص ١٦٩.

أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ أي: إذا فعلوا فعلاً قبيحاً كطوافهم في الجاهلية وهم عراة ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ أي: إننا نفعل كما كان آبؤنا يفعلون. ﴿ وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ أي: إنه لم ينهنا عنها ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ أي: إنه جل وعلا لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالأخلاق الحسنة، وكل أفعال الخير، وإن ماقالوه كذب وافتراء على الله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (١). ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تنسبون إلى الله ما لا علم لكم به ولا بصحته.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ أي: أمر بالعدل. ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أي: أمركم بعبادته، وطاعته ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: توجهوا له وحده بالدعاء أن يثبتكم على دينه والإخلاص له في عبادته. ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ أي: كما بدأكم في الخلق تعودون إليه، فأخلصوا له العبادة. ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ أي:

الذين آمنوا واستسلموا لله وأخلصوا له العبادة. ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: علم الله أنهم لا يؤمنون بما جاءهم من البينات ولا يهتدون بما جاءهم به رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: إنهم استسلموا للشياطين، وجعلوهم أولياء من دون الله، يأترون بما يأمرونهم به، وينتھون عما ينھونهم عنه، وفي هذا دلالة على أن الله لم يضلهم إلا بسبب توليهم للشياطين. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي: مع ضلالهم واتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله يظنون أنهم مؤمنون بالله وهذا دليل على جهلهم، وضلالهم، وفساد عقولهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد تقليد ما يفعله الناس وهو مخالف لأوامر الله كما قال تعالى في ذم المتبعين لأبائهم، وهم على ضلال، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(١). ومن الأحكام: تنزيه الله عز وجل عن الأمر بالفواحش، فتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ومنها: وجوب العدل؛ لأن الله أمر به كما قال عز ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(٢). ومنها: وجوب دعاء الله وأن يكون ذلك بإخلاص وصدق،

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٣ .

(٢) سورة النحل من الآية ٩٠ .

ومنها: أن الله يهدي الذين يؤمنون به ويستسلمون له ويضل الذين يتبعون الشياطين ويتخذونهم أولياء من دونه.

﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٣١)

بيان الآية:

لما ذكر الله عز وجل خديعة إبليس لأدم وزوجته بنصحهما بالأكل من الشجرة، وما أدى إليه أكلهما منها من انكشاف عورتهما، وما ذكره عن تقليد أهل الجاهلية لأسلافهم في فعل الفاحشة كالطواف بالبيت عراة أمر تعالى الناس بستر عوراتهم فقال عزوجل ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ﴾ أي: ثيابكم أو رياشكم. ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: كلما صليتم أو طفتم بالبيت، وفي هذا رد على من كانوا يطوفون عراة بحجة أنهم لا يريدون عبادة الله في ثياب أذنبوا فيها، وقد استمر أهل الجاهلية في صنيعهم هذا إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه هذه الآية، فأمر بلالاً أن يؤذن في الناس ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(١).

﴿وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا﴾ قيل: إن بني عامر كانوا يعظمون

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا...﴾، برقم (٤٦٥٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٦٨.

حجهم، فلا يأكلون من الطعام إلا قليلاً كما لا يأكلون دسماً فقال المسلمون: نحن أحق بذلك منهم، فأنزل الله هذه الآية^(١). وفي تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: كل ماشئت والبس ماشئت، مأخطأتك اثنتان سرف ومخيلة^(٢). وقد روى المقدام بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)^(٣). ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: الذين يسرفون في طعامهم وشرابهم.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب ستر العورة، وهذا الستر من فرائض الصلاة عند الأئمة أبي حنيفة^(٤) والشافعي^(٥) وأحمد^(٦) وعند الإمام مالك: أنها فرض ديني لا تختص بالصلاة^(٧)، ويجب تغطية البدن من السرة إلى الركبة

-
- (١) معالم التنزيل للبغوي ص ٤٦١، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٨٥ .
 (٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٢٦٤ .
 (٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم (٢٣٨٠)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٠٩، وأحمد في المسند ج ٤ ص ١٣٢ .
 (٤) البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني، ج ٢ ص ١١٩ .
 (٥) الوجيز لأبي حامد الغزالي ج ١ ص ٤٨، وقال الشرط الثالث ستر العورة وهو واجب في غير الصلاة.
 (٦) الكافي لابن قدامة المقدسي ج ١ ص ٢٤١ .
 (٧) أسهل المدارك لأبي بكر الكشناوي ج ١ ص ١٨١، ويقول ستر العورة شرط في صحة الصلاة وقال الخرشي والعورة في الأصل الخلل في الثغر وغيره وما يتوقع منه ضرر وفساد، الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ١٩٠ .

للرجال؛ أما للنساء فلجميع أجزاء البدن، وقد وسع الله على عباده في لباسهم، فوجب أن تكون السترة للرجال ساترة لجميع البدن وفي هذا قال عمر: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا^(١). ومن الأحكام في الآية: أخذ الزينة عند الصلاة وعند الطواف، وقد جاء الحكم بهذا؛ لخصوصيتهما في مناجاة الله ولقائه. ولا تحرم الزينة فيما عدا ذلك، فلإنسان أن يتجمل بلباسه في غير سرف ولا مخيلة والله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده.

ومن الأحكام في الآية: عدم تعدي الحد في الأكل والشرب بما يؤدي إلى الأسراف فيه، فهذا مكروه، وقد يكون محرماً إذا كان يؤدي إلى ضرر البدن.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٢ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ ٣٣ ﴿

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لنور الدين الهيثمي، ج ٢ ص ٣٩، برقم (٣٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة، ج ٢ ص ٢٣٦.

الذين يحرمون بأهوائهم: لماذا تحرمون من عند أنفسكم ما أحل الله وارتضاه لعباده؟ فاقضى هذا حل الزينة من الطيبات وفي هذا روى عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال: (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)^(١). كما روى أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يكثر دهن رأسه ويسرح لحيته بالماء^(٢).

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أي: كل ما استلذ وطاب من الطعام وكان رسول الله ﷺ يأكل من الطيبات كالحلوى، والبطيخ، والعسل، والرطب^(٣)، وما كان يكره شيئاً إلا إذا كان يرى فيه تكلفاً أو يؤدي إلى شهوات الدنيا التي تصد عن الآخرة. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إن هذه الطيبات للمؤمنين الذين يعرفون حقها، وذلك بطاعتهم لله وعبادته، وتوحيده، وشكره عليها، وقيامهم بحقها في

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيان، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٣.

(٢) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح، برقم (٤٤٤٥)، كتاب اللباس، باب الترجل، ج ٢ ص ١٢٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في الجمع بين لونين في الأكل، برقم (٣٨٣٦-٣٨٣٧)، ج ٣ ص ٣٧٦-٣٧٧، والترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب، برقم (١٨٤٣)، وفي باب ما جاء في حب النبي ﷺ الحلوى والعسل، برقم (١٨٣١)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٤١، ٢٤٧.

عدم الإسراف، وفي إطعام الأقارب المحتاجين والمساكين والبر بهم. ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: كما تكون الطيبات للمؤمنين في الدنيا تكون لهم في الآخرة جزاء إيمانهم. ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبينها عن الطيبات وعن الإسراف وعن الحلال والحرام. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: للذين يعلمون آيات الله وأحكامه حق العلم.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ لما لبس المسلمون الثياب وهم يطوفون بالبيت، استجابة لأمر الله ورسوله محمد ﷺ بأخذ الزينة غيرهم المشركون فنزل قول الله جل ذكره ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ (١) أي: إن الذي حرمه الله هو الفواحش ومنها: طوافكم بالبيت عراة، وكل ما هو مستقبح من أفعالكم ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: ما كان واضحاً للعيان كالطواف عراة، أو ما كان باطناً مما لا يراه أحد. ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المراد به أي فعل فيه معصية لله أو تعد على عباده. ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: الظلم. ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ أي: تعبدوا معه غيره ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ قال الزمخشري: هذا فيه تحكم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره (٢). ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ أي: تفتروا على الله الكذب.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٤٩١-٤٩٢ .

(٢) الكشف ج ٢ ص ٤٣٩ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بحل الزينة، وتشمل التجميل في الدنيا بالثياب وحسن المظهر. الحكم كذلك بحل الطيبات في المأكول والمشرب في غير سرف أو مخيلة. ومن الأحكام: تحريم الفواحش الظاهرة وهي كل ماظهر للعيان أو كان له دليل على ظهوره، وكذلك تحريم الفواحش الباطنة وهي كل ماخفي عن الأعين، وتحريم الإثم وهو كل مافيه معصية لله أو تعدٍ على عباده، وتحريم البغي وهو الظلم والتجاوز على عباد الله وأكل أموالهم بالباطل أو التعرض لدمائهم أو أعراضهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾
 ﴿٣٤﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: إن لكل أمة وقتاً معيناً يكون فيه هلاكها.
 ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: إذا حان وقتهم المعلوم لهلاكهم. ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ أي: لا يتأخرون عنه بمقدار ساعة وهي أقل أسماء الأوقات. ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: ولا يتقدمون عن هذا الوقت بساعة.

وهلاك الأمم يحدث عندما ترتكب المحرمات وتستمرى المعاصي، ولا يكون لها من نفسها رادع.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: إن أتاكم رسل منكم أي: من جنسكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَقِي﴾ أي: يتلون عليكم ما فرضته عليكم من الأحكام ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ أي: من أصلح منهم باتباع ما جاءتهم به رسلهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لا يخافون من عذاب الآخرة ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: لم يصدقوا ما جاءتهم به الرسل ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: تكبروا عن العمل بهذه الآيات ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: هم أهل النار الذين يخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الأمم تهلك كما يهلك الأفراد وهلاكها يحدث عندما تتولى عن أحكام الله، وتنتهك حرماته، وتستمرى الفسوق والفواحش، وهذا هو ما حدث للأمم التي كذبت رسلها مثل قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١). ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (٢). ومن الأحكام: عدم قبول أعذار الخلق عن

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨.

ذنوبهم وذلك؛ لأن الرسل أرسلت إليهم بالبينات فمن اتقى منهم فقد أمن من الخوف في الآخرة وعدم الحزن على الدنيا؛ أما من استكبر وعتا فيخلد في العذاب.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَلِلَّهِم رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُم لِأُخْرَبْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

بيان الآيات:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: كذب على الله بأن قال مالم يقله، أو قال خلاف ما أنزل على أحد من رسله، أو كذب بما جاء به رسله من البينات. ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يأتيهم ما كتبه الله لهم من رزق وأجل وسعادة وشقاء. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: إذا

جاءتهم رسل الموت. ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يسألونهم سؤال توبيخ وتقريع قائلين لهم أين الذين كنتم تشركونهم مع الله؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ابتعدوا عنا، فلا نجد أنهم ينفعوننا بشيء. ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ أي: اعترفوا بكفرهم وافترائهم على الله وتكذيبهم لرسولهم.

﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾ أي: يقول الله يوم القيامة للذين افتروا الكذب على الله وكذبوا بآياته، وكذبوا رسوله، وهم مشركو العرب أدخلوا النار مع أمم من الجن والإنس كانوا مثلكم في أعمالهم. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي: تلعن التي سبقتها إلى النار. ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: إذا اجتمعوا ﴿قَالَتْ أَخْرِبُهُمْ﴾ أي: الأتباع ﴿لِأُولَئِهِمْ﴾ وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب؛ لأنهم الذين أضلونا عن الطريق القويم فيجيبهم الله بقوله ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ أي: للتابع والمتبوع. ﴿وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ أي: لاتدرون ما يلاقونه من العذاب.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَبُهُمْ﴾ أي: قال المتبوعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: إنكم فعلتم مثل ما فعلنا من افتراء الكذب على الله، وتكذيب آياته ورسوله ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْسِبُونَ ﴿١﴾ أي: لاقوا العذاب الذي نلاقيه؛ جزاء اتباعكم لنا في الكفر ونظير هذا قول الله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١﴾. وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَكْرِهَنَّ فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من يكذب على الله أو يكذب بآياته هو أشر الناس ظلماً وأشدّهم عذاباً. ومن الأحكام: تقرير توبيخ ملائكة الموت للظلمة والمشرّكين عند قبض أرواحهم. ومنها: تقرير لعن أهل النار لبعضهم واتهام كل منهم الآخر بأنه السبب في دخوله النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧.

هَدَنَّا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَنَّا اللَّهُ ﷻ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ المعنى في وصف هؤلاء في تكذيبهم لآيات الله واستكبارهم عنها. ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لا يرفع لهم عمل في الدنيا، ولا تفتح السماء لأرواحهم بعد قبضها وشاهد هذا أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء، فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون: فلان، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^(١). ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: يدخل البعير في فتحة الإبرة وهذا من المحال. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بسبب سوء عملهم ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ الفرش. ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ والمراد اللحف. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: هكذا يكون جزاء الكفار والظلمة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما ذكر الله عز وجل

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٨٧-٢٨٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ١٧٦-

١٧٧، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٠٤.

حال الظلمة، والكافرين، ومآلهم، وما يلاقونه من العذاب ذكر المؤمنين فقال عز ذكره ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ المراد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لم يكلفهم الله من العمل إلا ما وسعته نفوسهم. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: إنهم هم السعداء بما استحقوه من الجنة والخلود فيها.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: أخرجنا ما في قلوبهم من الحسد والبغضاء، فلا يحسد بعضهم بعضاً في تفاوت المنزلة في الجنة. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي: دلنا على هذا الثواب والمنزلة العالية والمقام الكريم في الجنة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: لولا لطف الله ورحمته بنا لما اهتدينا. ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ أي: هذه هي الجنة ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: صارت لكم مساكنها وخيراتها؛ جزاء عملكم في الدنيا.

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

الحكم بأن المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها يحرمون من دخول الجنة حرماناً أبدياً. ومن الأحكام: أن الإيمان سبب موجب لدخول الجنة والخلود فيها. ومنها: أن الله عز وجل لم يكلف عباده من الأعمال إلا حسب طاقتهم وقدراتهم. ومنها: أن أهل الجنة لا

يتحاسدون عندما تتفاوت منازلهم فيها. ومن الأحكام: أن الهداية من الله، وهذا يقتضي وجوب طلبها منه، وقد أرشد عباده أن يسألوها منه في قوله عز ذكره ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ حينما يدخل المشركون والكفار النار يناديهم المؤمنون على سبيل التوبيخ ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ أي: وجدنا الجنة التي وعدنا الله بها حقاً وصدقاً. ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فيجيبونهم بـ ﴿نَعَمْ﴾ وجدنا ما وعدنا ربنا صدقاً وعدلاً، وهكذا يلقي الكفار المهانة والشماتة في

(١) سورة الفاتحة الآية ٦ .

الدنيا والآخرة. أما في الدنيا: فقد نادى رسول الله ﷺ قتلى المشركين في بدر قائلاً: (يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال عمر: يا رسول الله تخاطب قوماً قد جيّفوا؟ فقال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا)^(١). أما في الآخرة فإن الملائكة توبخهم وتقرعهم وتقول لهم ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾^(٢). ﴿ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرَوتَ ﴾^(٣). ﴿ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٤).

قوله ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ حينما يسمع الملك المناداة بين أهل الجنة وأهل النار ينادي فيهم أن لعنة الله على الظالمين وقد وصفهم الله بقوله ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: يصرفون الناس عن اتباع شرع الله وأحكامه. ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي: يريدون أن يكون هذا الشرع عوجاً غير مستقيم يتبع أهواءهم ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ أي: أنهم كافرون بالبعث والدار الآخرة.

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم، برقم (٢٠٧٤)، سنن النسائي ج ٤ ص ٤١٦، وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٩.

(٢) سورة الطور الآية ١٤.

(٣) سورة الطور الآية ١٥.

(٤) سورة الطور الآية ١٦.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: سور حاجز بين الجنة والنار كما قال عز وجل ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُمْ بَابٌ﴾^(١). ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على أعراف السور وهي شرفته وعلوه رجال من المسلمين، تعادلت حسناتهم مع سيئاتهم، فمنعتهم سيئاتهم من دخول الجنة ومنعتهم حسناتهم من دخول النار فوقفوا على السور ينتظرون قضاء الله وحكمه فيهم. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أصحاب الجنة ببياضهم، ويعرفون أصحاب النار بسواد وجوههم. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة ﴿أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أي قالوا لهم: سلام عليكم بما أنعم الله عليكم من دخول الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: إن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد وهم طامعون في دخولها؛ بسبب حسناتهم. ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: إذا حولت وجوههم جهة النار. ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: سألوا الله ألا يجعلهم معهم؛ لما رأوه فيها من هول العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير التحادث بين أهل الجنة وأهل النار، وذلك حين يريد من في الجنة مخاطبة من في النار ممن يعرفه في الدنيا. ومن الأحكام:

(١) سورة الحديد من الآية ١٣ .

ثم الذين يصدون عن سبيل الله، ويكفرون بالبعث ويريدون أن تكون سبيل الله حسب أهوائهم. ومنها: تقرير وجود حاجز بين الجنة والنار، يقف عليه أهل الأعراف، ينتظرون حكم الله فيهم؛ لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، وهذا يقتضي أن من ثقلت حسناته على سيئاته نجا، ومن ثقلت سيئاته على حسناته هلك، ومن تساوت حسناته مع سيئاته يكون آخر من ينجو من النار.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ أي: من المشركين. ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ﴾ أي: يعرفونهم بعلاماتهم وهي سواد الوجوه وقبح المنظر. ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ أي قالوا لهم على سبيل الشماتة: ما أغنت عنكم كثرتكم، ولا أموالكم، ولا أولادكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق ﴿أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ أي: هؤلاء المؤمنون الذين كنتم تعيرونهم وتستهزئون بهم وتستكبرون عليهم في الدنيا مثل سلمان، وصهيب، وبلال، وتقولون: إن الله لن

ينالهم برحمته. ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنة. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الأموال والأولاد، وكل ما في الدنيا لا يغني شيئاً يوم القيامة؛ إذ لا يغني إلا العمل الصالح. ومن الأحكام: أن المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في الأرض هم الذين يرثون الجنة كما أنهم يرثون الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(٥١).

بيان الآيتين:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ لما يكون أهل النار في حال من الضيق والعذاب وفقد الطعام والشراب، ينادون أصحاب

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

الجنة ممن كانوا يعرفونهم في الدنيا فيسألونهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الطعام فيقول أهل الجنة لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: حرم طعام أهل الجنة على أهل النار وقد وصف الله عز وجل هؤلاء بأنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: نسوا دينهم وضيعوه. ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني اغتروا بلهوها ولعبها ونسوا ما أمرهم الله به من توحيده وطاعته وطاعة رسوله. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ﴾ أي: نذرهم في النار يذوقون عذابها. ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أي: كما نسوا أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون. ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: ونسأهم كما كانوا يجحدون بآياتنا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم اتخاذ الدين هزواً ولعباً وهذا يشمل كل استهزاء به أو بأهله أو النيل منهم. ومن الأحكام: التحذير من الاغترار بمفاتيح الدنيا وزينتها من الأموال والأولاد. ومنها: أن من نسي الله في الدنيا وجد آياته نسيه في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ أي: أنزلنا عليهم القرآن. ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ أي: بيناه وأوضحناه. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: بما بيناه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: فيه الهدى، والرحمة لمن اتبعه وعمل ما فيه. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: للمؤمنين به المتبعين لأحكامه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ سؤال استنكاري وتعجب أي: هل ينتظرون صدقه - المراد به القرآن - وما أخبر به من العذاب للكافرين. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي: يوم يتبين ما جاء به وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يعترفوا بما جاءتهم به الرسل من الحق والقول الفصل. ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ أي: هل لنا من أحد ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ من هذا العذاب ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: نؤمن ونصدق بما جاءنا من البينات. ونظيره قول الله عز وجل

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِمَا يَتَرَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بلهوهم ولعبهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: زال عنهم من كانوا يطيعونهم ويعبدونهم من دون الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن القرآن نزل مفصلاً، وفيه هدى العباد ورحمتهم إذا آمنوا به، وصدقوه، واتبعوا أحكامه. ومنها: أنه إذا حل الأجل فلا ينفع نفساً إيمانها بالقرآن إذا لم تكن آمنت من قبل. ومنها: أن الذين يكفرون به يعترفون بما جاءهم من العلم، ويبحثون عمن يشفع لهم ثم يتمنون أنهم يردون إلى الدنيا؛ ليكونوا من المؤمنين ثم يرون أن ذلك مستحيل، وأن من كانوا يطيعونهم ويعبدونهم قد تخلوا عنهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥).

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

إخبار من الله تعالى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهي الأحد، والأثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وقد يكون المراد باليوم اليوم المعتاد، وقد يكون المراد به ألف سنة كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١). كما قال بذلك ابن عباس.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الاستواء صفة من صفات الله العظيمة،

ولقد ضل الذين تقولوا فيه وفي كلفيته، والأصوب ما عليه أهل السنة والجماعة أن الله عزوجل لا يشبهه شيء من خلقه، وإنما هو كما وصف نفسه بقوله عز ذكره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢).

﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي: يذهب ضياء النهار بظلام الليل، ويذهب ظلام الليل بضياء النهار، وكل منهما يتابع الآخر. ﴿حَثِيثًا﴾ أي: سريعاً في وقت معلوم، لا يتأخر أحدهما عن الآخر.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ فكل هذه الأفلاك تسير بأمره كما قال عزوجل ﴿وَأَيُّهَا لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣). ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾

(١) سورة الحج من الآية ٤٧ .

(٢) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٢﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا
الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣﴾ قَوْلُهُ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له الملك والتصرف والتدبير
لخلقه كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ ﴿٤﴾ وقوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿تَبَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: تقدس وتنزه لارب غيره ولا إله سواه.

﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ في هذا أمر من الله لعباده، أن يدعووه فهو
المستحق وحده لدعائه، فاقتضى هذا أن من يدعو غيره من الأموات
أو يتوسل به، أو يعتقد أنه ينفعه أو يدفع الضر عنه إذا دعاه يعد
مشاركاً ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: تذلاً، واستكانة، وخشوعاً يليق بعظمة الله.
﴿وَحُفْيَةً﴾ أي: سراً؛ لابعاد مظنة الرياء؛ ولهذا أثنى الله على نبيه
زكريا في قوله ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ﴿٦﴾ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ المراد به من يعتدون في الدعاء بتجاوز الحد فيه لقول

(١) سورة يس الآية ٢٨ .

(٢) سورة يس الآية ٣٩ .

(٣) سورة يس الآية ٤٠ .

(٤) سورة يس الآية ٨٢ .

(٥) سورة الأحزاب من الآية ٣٨ .

(٦) سورة مريم الآية ٣ .

رسول الله ﷺ: (سيكون قوم يعتدون في الدعاء)^(١). ومن ذلك الجهر الكثير، والصياح أو الدعاء بما لا يعقل، أو الدعاء بما ليس في الكتاب، ولا في السنة، وشاهده أن عبد الله بن مغفل لما سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، قال: أي: بني سل الله الجنة وعُذُّ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (سيكون قوم يعتدون في الدعاء)^(٢).

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير خلق الله السموات والأرض في ستة أيام بقدر أيام الدنيا مع قدرته في خلقها بمجرد قوله: «كن». ومن الأحكام: أن استواءه جل جلاله على العرش صفة من صفاته العظيمة، ويحرم تأويل هذا الاستواء بأي صفة، ويجب الإيمان بما عليه أهل السنة والجماعة في هذا الأمر، وهو أنه عز وجل لا يشبهه شيء من خلقه وإنما هو كما وصف نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣). ومن الأحكام: الحكم بأن الخلق والأمر كله لله، وليس هذا لأي أحد غيره.

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء برقم (٣٨٦٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٧١، وأبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء برقم (١٤٨٠)، سنن أبي داود ج ١ ص ٥٥٠، وأحمد في مسنده ج ١ ص ١٧٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء برقم (٣٨٦٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٧١، وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٨٧.

(٣) سورة الشورى من الآية ١١.

ومنها: وجوب دعائه وحده كما قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١). وهذا يقتضي حكماً تحريم دعاء غيره كما قال عز ذكره ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢). ومن الأحكام: أن يكون دعاء الله مصحوباً بالتضرع إليه وأن لا يجهر به الداعي.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٥٧) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ^(٥٨)

بيان الآيات:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ في هذا نهى مطلق عن الإفساد في الأرض بأي صورة من صور الفساد ومنه القتل والظلم وترويع الأمنين، واستباحة كل ما حرمه الله، ومنع كل ما أحله والنهي

(١) سورة غافر من الآية ٦٠.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٧.

هنا يقتضي التحريم. ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والمراد أن يدعو الإنسان ربه وهو في خوف ووجل من الله عز وجل وطمعاً في رحمته وهدايته كما قال عز وجل في صفة المؤمنين ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(١). وقال ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته قريبة للذين يرجون الله وقلوبهم وجلة خاشعة، خوفاً منه وطمعاً في رحمته ومرضاته.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنه الذي خلق السموات والأرض، وأنه يغشي الليل النهار قال عز وجل إنه هو الذي يرسل الرياح تبشر بنزول المطر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ أي: إذا حملت الرياح سحباً ثقيلاً بالماء ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ والمراد به البلد الذي لم ينزل فيه مطر، ولم ينبت فيه نبات فأصبح بمثابة البلد الميت. ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءَ﴾ أي: بالبلد. ﴿فَخَرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بنزول المطر أنبتنا النبات، فأنتج الثمرات. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ وفي هذا تنبيه على أن إنزال الماء على البلد الميت مثل إحياء الموتى من قبورهم، وهذا يكون بمطر ينزله الله على قبورهم، فتعود إليهم أرواحهم وفي هذا روى عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قوله:

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩٠.

(ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم)^(١). قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون بما جاءكم من البينات.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ المراد أن البلد الطيب ذا التربة الطيبة إذا نزل عليه المطر أخرج نباتاً طيباً بإذن الله، ﴿وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إن التربة الحمأة أو السبخة إذا نزل عليها المطر لا تخرج نباتها إلا نكداً أي: عسيراً وهذا مثال المؤمن والمنافق، فالمؤمن مثل التربة الطيبة والمنافق مثل الأرض النكدة وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ... وبعث من في القبور، برقم (٢٩٤٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم (٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٢١١.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإفساد في الأرض بالشرك، أو الظلم، أو الفسق، أو بأي صورة من الصور؛ لما في ذلك من منافاة لحكم الله الذي أمر بعمران الأرض كما قال عز ذكره ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(١). ومن الأحكام: تقرير قرب الله ومحبته لأهل الإحسان. ومنها: أن المؤمن مثل التربة الطيبة لا تخرج إلا نباتاً طيباً؛ أما الكافر فهو مثل الأرض النكدة التي لا تخرج إلا نباتاً عسيراً.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^(٦٠) قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ^(٦١) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٦٢) أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ^(٦٤).

بيان الآيات:

لما ذكر الله قصة آدم وإبليس وحذر عباده من كيده وأعدائه وأمر

(١) سورة هود من الآية ٦١.

عباده بستر عوراتهم، وأن يكون أكلهم وشربهم في غير سرف؛ ذكر قصة أصحاب الأعراف وعظمته وقدرته في خلق السموات والأرض ثم ذكر جل وعلا إرساله للرسول إلى قومهم؛ ليبلغوهم رسالة الله ولينذروهم من عواقب الشرك والكفر. فبدأ بذكر نبيه نوح وما كان له مع قومه فقال جل ذكره ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ واسمه نوح بن متوشلخ بن أخنوخ، وقد أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة وكان يمتهن التجارة. ﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ﴾ أي: نادى قومه الذين أرسل فيهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه. ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ أي: ليس لكم معبود تعبدونه بحق إلا الله. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: أخشى أن يصيبكم عذاب عظيم؛ جزاء شرككم.

وكان قومه أول من عبد الأصنام؛ ذلك أن أناساً صالحين منهم ماتوا، فبنى قومهم عليهم معابد وصوروا صوراً لهم؛ لكي يتذكروهم فيتشبهوا بهم في العبادة، ومع مرور الزمان وضعوا مجسمات على تلك الصور ثم سموها بأسماء الصالحين فعبدوها وفي هذا قال الله عز وجل ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (١). ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: كبراء وسادة قومه ﴿إِنَّا لَنَرِيكَ فِي

ضَلَلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤٥﴾ أي: إن ما تدعوننا إليه هو ضلال بين فأجابهم ﴿٢٤٦﴾ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴿٢٤٧﴾ أي: لست ضالاً ﴿٢٤٨﴾ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٩﴾ أي: إن الله أرسلني إليكم، لأمر مهم هو أن ﴿٢٥٠﴾ أَبْلِغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي ﴿٢٥١﴾ أي: أدعوكم إلى رسالات ربي التي أرسلت إلى جميع الخلق وهي عبادة الله وحده لا ند له ولا شريك. ﴿٢٥٢﴾ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴿٢٥٣﴾ أي: جئت ناصحاً لكم؛ لكي تدرككم هداية الله ورحمته وتسلمون من عقابه. ﴿٢٥٤﴾ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥٥﴾ أي: إني أعلم قدرة الله وشدة عذابه للذين يكذبون رسالته.

﴿٢٥٦﴾ أَوْعَجَبْتُمْ استفهام إنكاري ﴿٢٥٧﴾ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴿٢٥٨﴾ أي: كيف تعجبون لما جاءكم هدى ورحمة من ربكم على لسان واحد منكم ﴿٢٥٩﴾ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا ﴿٢٦٠﴾ أي: يندركم بأن تتقوا الله ولا تدعوا معه غيره. ﴿٢٦١﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٢٦٢﴾ أي: لعله يرحمكم إذا اتقيتموه. ﴿٢٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ ﴿٢٦٤﴾ أي: استمروا على تكذيبه. ﴿٢٦٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ ﴿٢٦٦﴾ أي: أنجيناه والمؤمنين الذين كانوا معه في السفينة. ﴿٢٦٧﴾ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿٢٦٨﴾ أي: أهلكناهم في البحر كما قال عز وجل ﴿٢٦٩﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴿٢٧٠﴾ (١). إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٢٧١﴾ أي: عمياً لا يبصرون الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نبوة نوح عليه السلام وإرساله إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، ووجوب الإقرار بتوحيد الألوهية، والتحذير من عاقبة الإعراض عن أوامر الله. ومن مسائل الآية أن السادة والمتنفذين في الأمم غالباً ما يعرضون عن دعوات الرسل خوفاً على مصالحهم ورئاساتهم. ومنها: أن الهلاك عاقبة المكذبين لرسولهم كما حدث لقوم نوح وغيرهم ممن كذبوا رسولهم.

﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ المراد أن الله أرسل هوداً إلى عاد وهو هود

بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح أما عاد فكانوا يسكنون جهة

حزرموت^(١) وكانوا ثلاث عشرة قبيلة، وكانوا أهل زراعة وحضارة، وقد دعاهم نبيهم هود عليه السلام إلى عبادة الله. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أي: اعبدوه وحده مالكم من إله غيره فهو الذي خلقكم ورزقكم ومكن لكم في الأرض. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله وتخشونه حتى لا ينزل بكم العذاب. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال سادتهم وقادتهم ورؤسائهم. ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أي: إننا نراك بدعوتك هذه سفيهاً حين تدعونا إلى ترك عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ أي: لست سفيهاً كما تزعمون. ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جئتمكم برسالة من عند الله فيها خير لكم إن آمنتم بها.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ أي: إن الله أمرني أن أبلغكم ما أرسلت به إليكم. ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ أي: أن غرضي في نهيكم عما أنتم فيه من الغواية والضلال هو النصح لكم ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ استفهام إنكاري ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: موعظة على رجل منكم أي: من جنسكم. ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: جعلكم تعمرون الأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله. ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ أي:

(١) إحدى المدن العربية التاريخية المعروفة.

طولاً وقوة في أجسامكم ﴿فَاذْكُرُواْ ءَالَآءَ اللّٰهِ﴾ أي: تذكروا نعم الله عليكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي: تنجون من عذاب الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير معنى عبادة الله بأنها توحيدة وطاعته وإفراده بالعبادة، ونفي كل عبادة لغيره. ومن مسائل الآية: نفي الرسل عليهم السلام لما اتهمهم به قومهم من الكذب أو السفاهة وتوكيدهم أنهم رسل الله إليهم لإبلاغهم أحكامه وآياته ونصحهم لهم خشية من هلاكهم وعذابهم.

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَاْ فَأَنَّا بِمَا تَعِدُنَاْ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِيْ أَسْمَاءِ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَانظُرُواْ إِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيٰتِنَاْ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٢).

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ﴾ أي: جئتنا بشيء لم نعهده ولا نعرفه وهو عبادة الله وحده. ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَاْ﴾ أي: تريد منا أن نترك آلهتنا وأصنامنا التي كان يعبدوها آبائنا وهذا كقول غيرهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِم

﴿مُهْتَدُونَ﴾^(١). ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقاً فأتنا بالعذاب الذي تقول.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ أي: وجب عليكم من ربكم السخط والغضب ﴿أَتَجِدَلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ أي: تحاجوني في أصنام وضعت لها مسميات من عندكم، وهي صمود وصدى والهباء. ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطٰنٍ﴾ أي: ليس لكم حق في عبادتها. ﴿فَانْظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ تهديد ووعد لهم بما سينزل بهم من العذاب.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي: نجاه الله ومن آمن معه من العذاب الذي حل بقوم عاد. ﴿وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَايِنِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ المراد بقطع دابرهم استئصالهم وهلاكهم، وقد بين الله صفة هلاكهم بقوله عز ذكره ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلٰكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٢). ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٣). ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٤).

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٦ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٧ .

(٤) سورة الحاقة الآية ٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد حجة من يدعي اتباع أسلافه الذين كانوا على ضلال. ومن الأحكام: تقرير سفاهة الكفرة والظلمة في استعجالهم العذاب ظناً منهم عدم وقوعه ثم ما يلبثون إلا وهم ملاقوه. ومنها: تقرير ضلال المشركين في عبادتهم أوثاناً لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل. ومنها: الحكم بأن الله ينجي المؤمنين ويهلك الكافرين.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

بيان الآيتين:

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ قبيلة ثمود تنتسب إلى ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح وهم من العرب العاربة، وكانت مساكنهم في وادي الحجر^(١). ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أي: نبيهم. ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أي: وحدوا الله وأطيعوه، وهذه

(١) لا يزال هذا الوادي يعرف بهذا الاسم، ويبعد عن المدينة ٣٤٥ كيلاً.

هي دعوة عموم الرسل إلى أقوامهم أن تكون عبادتهم لله وترك الأوثان والأصنام ﴿قَدْ جَاءَ تَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البينة العلامة، أو الدليل. ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: هي آية من آيات الله جاءتهم على خلاف العادة من غير فعل.

ويروى: أن قبيلة ثمود خلفت عاداً في أرضها بعد أن هلكت وقد أسبغ الله عليها الرزق وسائر النعم ومنها: طول أعمارهم مما جعلهم ينحتون بيوتهم في الجبال؛ بسبب تهالك بيوتهم بسبب هذا الطول وقد عثوا في الأرض فساداً وعبدوا الأوثان، فأرسل الله إليهم نبيه صالحاً يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته، فاتبعه قليل من المستضعفين منهم، ولما حذرهم من عقاب الله سألوه أن يأتي لهم بآية فقال لهم: أي آية ترغبون ؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا وهو يوم معلوم لهم من السنة، فندعو إلهك وآلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعنا، فوافقهم صالح على ما أرادوا فخرج معهم إلى أوثانهم ودعواهم وسألوهم الاستجابة فلم يجيبوهم.

ثم قام سيدهم فأشار إلى صخرة منفردة ناحية الجبل يقال لها الكاثبة فقال: اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة^(١) جوفاء وبراء، فإن فعلت صدقناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق، لئن فعلت

(١) مخترجة إذا خرجت على خلقة الجمل البختي وهو نوع من الإبل يعرف بالإبل الخراسانية. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠، والمعجم الوسيط ج ١ ص ٤١.

ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا: نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما أرادوا، وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فأمن به الذي سأل ذلك ويدعى جندع بن عمرو وبعض من قومه وامتنع آخرون عن أن يؤمنوا، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء يوم لها ويوم لهم وفي يومها تفرج مابين رجليها فيحتلبون ما شاءوا من لبنها حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون منه ويدخرون، وإذا كان الصيف تصيفت في ظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم؛ لعظم جسمها، وإذا وقع الشتاء تشنت بطن الوادي فتهرب أنعامهم إلى ظهره .

وقد شق ذلك عليهم فزينت امرأتان لهم عقرها، حماية لأنعامهما فعقروها، واقتسموا لحمها، فانطلق ولدها حتى رقي جبلاً اسمه قارة فرغا ثلاثاً فقال لهم صالح: أدركوه عسى الله أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه، فانفتحت الصخرة بعد رغائه، فدخلها فقال لهم نبي الله صالح: تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة، وبعد غدٍ وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث تسود وجوهكم ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات رأوا أن يقتلوه، فألجأه الله إلى أرض فلسطين.

ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى، تحنطوا وتكفنوا بأنطاعهم، فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا^(١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٥ ص ٢٢٤-٢٢٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢١٧-٢١٩.

قوله ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أي قال لهم صالح: اتركوا الناقة تأكل في أرض الله فهي آية من آياته والأرض أرضه. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي: لا تتعرضوا لها بأذى. ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إنكم إذا تعرضتم لها بسوء، فسوف يعذبكم الله بعذاب شديد، وقد حدث لهم كما ذكر آنفاً. ولما نزل رسول الله ﷺ بالناس في تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها، ونصبوا لها القدور باللحم، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهراقوا القدور وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال: (إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم)^(١). وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم)^(٢). وقال عليه الصلاة والسلام لعلي: (يا علي أتدري من أشقى الأولين؟) قال: الله ورسوله أعلم قال: (عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين؟)

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ١١٧، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، برقم (٤٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٦١٣.

قال علي: الله ورسوله أعلم قال: (قاتلك) (١).

﴿وَأَذْكُرُوا﴾ الخطاب لثمود أي: تذكروا ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ أي: جئتم بعدهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعل لكم فيها مساكن. ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تشيدون الدور والقصور. ﴿وَنَحْنُ نَوَالِ الْجِبَالَ يَوْمًا﴾ إشارة إلى أنهم اتخذوا بيوتهم في الجبال لطول أعمارهم؛ لأن بيوتهم كانت تتهدم قبل نهاية أعمارهم. ﴿فَأَذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ﴾ أي: تذكروا نعمه. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تنشروا الفساد في الأرض بعصيانكم الله وتكذيبكم لرسوله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يرسل رسله، ومعهم المعجزات التي تدل على صدقهم ومن هذه المعجزات: ناقة نبي الله صالح عليه السلام. ومن مسائل الآيات: تذكير الرسل لأقوامهم بالآيات وما أعطاهم الله من النعم وتمكينهم في الأرض، وتحذيرهم من معصية الله، وتكذيب رسله. ومنها: وجوب الاعتاز حين زيارة أماكن الأمم الهالكة، والاعتبار بما أصابها.

(١) أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب من هذا الحديث ج ٤ ص ١٣٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٩ ص ١٣٧.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ ٧٧ ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿ ٧٨ ﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿ ٧٩ ﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ المراد بهم الذين كذبوا صالحاً، واستكبروا على دعوته لهم ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا ﴾ المراد بهم الذين كان المستكبرون يستضعفونهم، ويذلونهم، ويتجبرون عليهم ﴿ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي: المستضعفين منهم. ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ وهذا استفهام منهم على سبيل السخرية والاستهزاء، فأجابهم المستضعفون. ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي: مصدقون لما جاء به صالح فرد عليهم المستكبرون الكفرة على سبيل التحدي. ﴿ إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي: مكذبون لما جاء به صالح .

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ قيل: إن الذي عقرها قدار بن سالف ومصدع ابن مهرج ومعهما سبعة نفر من ثمود، فكمن قدار للناقة في أصل صخرة، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فرماها بسهم ثم شد على الناقة بالسيف، فخرت على الأرض ورغت رغاء واحدة، تحذر فصيلها ثم طعن في لبتها فنحرها^(١). وهؤلاء قال الله فيهم ﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةً رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٢). ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا وتجبروا. ﴿وَقَالُوا يُصْلِحُ آثِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي: بما تخوفنا به من عذاب ربك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: إن كنت صادقاً أنك رسول.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ المراد بها الزلزال الشديد أو هي صيحة نزلت عليهم من السماء. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في مساكنهم ﴿جَنِيمِينَ﴾ أي: أمواتاً هامدين.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم لما يؤس من قبولهم الدعوة ﴿وَقَالَ يَكْفُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: لقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم من عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام

(١) قيل إن المرأتين التي حرضتا على قتل الناقة وعدت إحداهما قدار أن تزوجه إحدى بناتها الجميلات أما الأخرى فعرضت نفسها على ابن عم لها فأجابها. تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢١٩، وتفسير البغوي ص ٤٧٤.

(٢) سورة النمل الآية ٤٨.

وكنتم أنصح لكم خشية أن يصيبكم العذاب. ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ
النَّصِيحَةَ﴾ أي: لم تقبلوا ما نصحته لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الرؤساء والسادة هم الذين يستكبرون عن اتباع الحق، خوفاً من ضياع سلطانهم؛ أما الضعفاء فيؤمنون برسالات الأنبياء ويصدقونها وتكون لهم العزة والسيادة بفضل إنعام الله عليهم جزاء إيمانهم. ومن الأحكام: تقرير عذاب الله للمكذبين بآياته ورسله.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ
أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ (٨٢)
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَلُوطًا﴾ أي: أرسلنا لوطاً وهو لوط بن هاران بن أزر، فهو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ المراد بهم أهل

سدوم^(١). وما حولها من الأماكن. ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني إتيان الذكور دون الإناث. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني لم يكن أحد من الأمم الماضية يأتي مثل هذه الفاحشة التي تأتونها. ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي: إنكم غيرتم الطبيعة والفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي إتيان الرجال للنساء. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: متجاوزون في ظلمكم وشرككم إلى إتيان هذه الفاحشة الشنعاء.

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني أن أولئك القوم قالوا فيما بينهم: أبعادوا لوطاً ومن يؤمن بدعوته من قريبتكم ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ يعني أنهم لا يأتون ما تأتونه وتفعلونه.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي: نجاه الله من إثمهم وما حل بهم من العقاب. ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وكما نجاه الله نجي أهله ومن تبعه من المؤمنين. ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ فإنها كانت على دين قومها. ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: من الباقيين الذين أهلكهم الله بعد أن أمر الله لوطاً أن يسرى بأهله من القرية.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي: أرسل الله عليهم حجارة كما

(١) تفسير البغوي ص ٤٧٦، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٢٠.

قال عز وجل ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾^(١).
﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(٢). ﴿فَأَنْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: انظر يا محمد كيف نهلك
الذين يكذبون رسل الله ويرتكبون ما حرمه ؟ وفي هذا تسلية له عليه
الصلاة والسلام عما وجده من قومه.

أحكام ومسائل الآيات:

اختلف العلماء في عقوبة من أتى هذه الفاحشة المنكرة فعند
الإمام أبي حنيفة: يعزر الفاعل، ولا يعد زانياً؛ لأن عقوبة الزاني
معلومة، وهذه الفاحشة لا تدخل فيها^(٣). وعند الإمام مالك: يرمم
سواء أحسن أم لم يحسن^(٤). وعند الإمام الشافعي: يحد حد الزنى
فيجزي بجزاء المحسن، ويجزي بجزاء البكر^(٥). وفي المذهب الحنبلي:
يحد كحد الزنى^(٦). والسبب في كونه يُحدُّ حدُّ زنى عند الإمامين مالك
والشافعي خلافاً لأبي حنيفة أن اللواط فاحشة، والزنا فاحشة فأصبحا
متساويين في الاسم وفي محل الفعل، بل هو أشد نكراً أو أفحش من

(١) سورة هود من الآية ٨٢ .

(٢) سورة هود الآية ٨٣ .

(٣) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ج ٣ ص ١٨٠ .

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي، ج ٤ ص ٣١٤ .

(٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الشربيني الخطيب، ج ٤ ص ١٤٤ .

(٦) كشف القناع عن متن الإقناع لمصور يونس بن إدريس البهوتي ج ٦ ص ٩٤ .

الزنا. والجمهور: على أن من يرتكب هذه الفاحشة وهو بالغ، يقتل فإن كان غير بالغ يعزر بالضرب، والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به أحصنا أم لم يحصنا)^(١). وقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه حرق رجلاً عمل عمل قوم لوط بالنار، ووافقه على ذلك علي بن أبي طالب، فإن خالد بن الوليد لما كتب إلى أبي بكر في ذلك جمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم فيه، فقال علي: إن هذا الذنب لم تعص به أمة إلا أمة واحدة، صنع الله بها ما علمتم أرى أن يحرق بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك وفعل ذلك ابن الزبير في زمانه، وكذا فعله هشام بن الوليد، وكذا فعله خالد القسري^(٢).

قلت: والعالم في هذا الزمن يشهد هذه الفاحشة النكراء، وقد سنت بعض الدول أنظمة تبيح ممارستها، بل وصل الحد إلى إعلانها زواجاً جهازاً تتحدث عنه وسائل الإعلام بالخبر والصورة، وهو أمر يصعب على ذوي العقول والفطر السليمة تصوره؛ ذلك أن الله حرم هذا الفعل وجزّمه وأنزل على مرتكبيه قوم لوط أشد

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، برقم (٤٤٦٢)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٥٣، والترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللواط، برقم (١٤٥٦)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٧، وابن ماجه في كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، برقم (٢٥٦١)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٥٦، وأحمد في المسند ج ١ ص ٣٠٠ كلهم بدون ذكر «أحصنا أم لم يحصنا».

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٢٤٤.

العذاب. ولم يعرف بعدهم أن أمة من الأمم استباحته حتى البدائيون الذين يعيشون في الأدغال، يعرفون بفطرمهم التي فطرهم الله عليها أن الله خلق الأنثى للذكر، وحرّم ماعداه، ولو علم هؤلاء الذين أباحوا هذا الفعل المنكر سوء عاقبته، لأدركوا أن هذا يجعلهم ينقرضون وتنقرض حضارتهم مع مرور الزمن؛ لأن استمرار الفاحشة وعدم إنكارها يؤدي إلى تطورها مع مرور الأجيال، ناهيك بما فيه من احتمال العذاب الذي سينزل بمرتكبيه، والراضين بفعله، وعدم المنكرين له. وناهيك أيضاً بما فيه من الانحراف الإنساني الذي تعافه وتكرهه النفوس. ألم تر أن الحيوانات -وهي العجم التي لا عقول لها- لا تمارس الاتصال إلا مع إناثها.

إن المسلمين وهم الأمة التي جعلها الله الأمة الوسط التي تشهد على خلق الله يوم العرض عليه ويشهد عليها رسولها عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١). هذه الأمة مطالبة أن تنكر هذه الفاحشة في إعلامها، وأدبياتها؛ لأن الله حين وصفها بالخيرية قيّد هذا الوصف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله عز وجل ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾. وإنكار المنكر يقتضي الخيرية حتى يسلم المنكر من العقوبة. وقد ورد أن الله لما أمر الملك أن يخسف بقرية قوم لوط قال: يارب إن فيها عبدك فلاناً قائماً يصلي فقال عزوجل اخسف به أولاً؛ فإن وجهه لم يتمعر في ولو مرة واحدة، والأصل فيه ومصادقه قول الله عز ذكره ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٢﴾. ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣﴾. أما في السنة: فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض) ﴿٤﴾.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٦-٤٣٣٧)، سنن أبي داود

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ^ط وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي
أُرْسِلَتْ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين: بلد نبي الله شعيب عليه السلام^(١) وهو شعيب بن ميكيل بن يشجر. ﴿قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ هذه دعوة الرسل من قبله لقومهم،
فكل واحد منهم يدعو قومه هذه الدعوة؛ لأنها أساس الألوهية المنافية
للشرك. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني جاءكم دليل
وبيان هو مجيء الرسالة. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ والمراد ألا تخونوا وتغشوا الناس في

(١) وقيل مدين القبيلة، والأرض الأيكة، ومكان شعيب ومغائره الثابتة بالدلائل التاريخية هو اليوم (البدع) بكسر الموحدة وسكون أو فتح الدال المهملة، بلدة ذات مزارع وسكان في وادي عُفال على (٢٢٠) كيلاً من منطقة تبوك غرباً في المملكة العربية السعودية وتتصل معها بطريق معبدة، ولها مركز يتبع منطقة تبوك وترتبط معها بطريق معبدة وبها مدارس ولآثارها حراس، وتبعد مدين عن ساحلها على البحر الأحمر (٧٣) كيلاً إلى الداخل. انظر: معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج ٨ ص ٦٨ .

تعاملكم معهم بنقص المكايل التي تكيلون بها، والموازين التي تزنون بها كما قال عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٢). ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٣).

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: لا تفسدوا ما كان صالحاً قبلكم من حسن التعامل بين الناس، وعدم بخس بعضهم لبعض في بياعاتهم. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني أن هذا الإصلاح في الأرض وعدم الفساد فيها هو الخير لكم؛ لأن بخس الكيل والوزن ظلم، والأرض لاتصلح إذا عم فيها الظلم. ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن هذا خير لكم وهو الإصلاح إذا كنتم فعلاً مؤمنين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ﴾ أي: لا تتوعدوا المارة في الطريق ولا تخيفوهم؛ لكي تصدوا عن سبيل الله من آمن به. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: تريدون أن تجعلوا سبيل الله عوجاً - حسب أهوائكم - ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ أي: تذكروا واعتبروا أنكم كنتم عدداً قليلاً فكثرت عدداً. ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

(١) سورة المطففين الآية ١ .

(٢) سورة المطففين الآية ٢ .

(٣) سورة المطففين الآية ٣ .

أي: واعتبروا بما حدث للأمم الظالمة والفاصلة قبلكم وكيف أن الله أهلهم بعذابه.

﴿وَأِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾

يعني إن كان طائفة صدقت وآمنت بما جئت به من وجوب العدل في الكيل والميزان. ﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: كذبت واستكبرت عن الحق. ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أي: انتظروا، وهذا على سبيل التهديد والوعيد. ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم بيننا وبين الذين اختلفوا علي. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: إن حكمه هو الحكم الحق والعدل الذي لا ريب فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

جعل الله للمال حرمة كحرمة الدم ذلك أنه المسدد لحاجات الناس ومبتغياتهم، فكان له محبة كبيرة كما قال عز وجل ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١). ولهذا حكم الله أن يتعامل الناس بالعدل والحق، فلا يبخس بعضهم بعضاً؛ وهذا يقتضي ألا يأكل أحد مال آخر، فإن فعل فإنه يُعدّ آكلًا بالباطل كما قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٢).

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٨ .

وقد بخس الناس أموالهم من غشهم أو باعهم بيعاً فيه غبن لهم، أو طفف في الكيل أو الوزن لهم، وقد أفسد في الأرض؛ لأن الله لما قال ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أعقب ذلك بقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾. ومن الأحكام: تحريم إخافة المارة في الطرق والصد عن سبيل الله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (٨٨) ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩).

بيان الآيتين:

هذا بيان من الله عز وجل عن سلوك قوم شعيب مع نبيهم وتطاولهم عليه وتهديدهم له بطرده. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ المراد بهم ساداتهم ورؤساؤهم، وهؤلاء غالباً مايكونون المكذبين برسل الله؛ لأنهم يزعمون أنهم ينزعون منهم قوتهم ورئاستهم في قومهم. ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ يعنى إن لم تنته عن دعوتنا لنطردك. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ﴾، وفي هذا دلالة على أن

قوم شعيب ليسوا كلهم كافرين بل كان منهم مؤمنون، والمراد بالقريّة مدين أو أصحاب الأيكة^(١). ﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أي: لتكونن من ضمننا في اتباع ملتنا. ﴿قَالَ أَوْلَوْكُنَّا كَرِهِيْنَ﴾ أي: لو كنا كارهين للثكم وكفركم.

﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا﴾ قال الزمخشري: وكيف أجابهم بهذا الجواب والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير، فضلاً عن الكبائر، فضلاً عن الكفر. فلما قالوا ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ﴾ فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا ﴿لَتَعُودَنَّ﴾ فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدتين جميعاً إجراء للكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا﴾ وهو يريد عود قومه؛ إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: ولا نرجع إلى الكفر إلا بمشيئة الله هذا على جهة التسليم لله عز وجل وإلا فهو سبحانه لا يرد عباده

(١) هم قوم شعيب عليه السلام - كما ذكر من قبل - وكانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل، تفسير البغوي ص ٧٠٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ٤٨، تفسير سورة الحجر.

المؤمنين إلى الكفر ونظيره قوله تعالى على لسان نبيه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(١). وكان من دعاء رسول الله ﷺ (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٢). ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: هو العالم بما كان وما سيكون. ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: توجهنا إليه بقلوبنا معتمدين عليه. ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ المراد بهم أهل مدين وأصحاب الأيكة. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أي: خير الحاكمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عادة المستكبرين والكفرة تهديد الدعاة والمصلحين؛ لكي يتركوا دعوتهم، أو يتعرضوا للطرد من المكان الذي يدعون إلى الله فيه، وهذه سنة مطردة في كل زمان ومكان فكما حدث هذا في الماضي يحدث اليوم في الحاضر وسيحدث في المستقبل. ومن الأحكام: أن على الدعاة الذين عرفوا الحق وآمنوا به أن يثبتوا على إيمانهم، ويوقنوا أن الله سوف ينصرهم كما قال عز وجل ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣). ومن الأحكام: وجوب

(١) سورة هود من الآية ٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٩٠، برقم (٣٥٢٢)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٠٣، وأحمد في المسند ج ٤ ص ١٨٢.

(٣) سورة الحج من الآية ٤٠.

الاستثناء بالمشيئة فيما يريد العبد عمله كما قال عز وجل ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (١). ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٢).
ومنها: وجوب التوكل على الله والتضرع إليه أن يحكم بالنصر لعباده المؤمنين على الظالمين.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَبًا كَان لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٍ لَقَدْ أَتَلَعْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال رؤساؤهم: لمن هم دونهم من أتباعهم ﴿لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ يعني إن قبلتم دعوته واتبعتموه؛ فإنكم هالكون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ والمراد بها الزلزال، أو الصيحة من السماء. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ أي: هامدين بعد هلاكهم. ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَبًا كَان لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ المراد أن الذين كذبوا شعبياً أهلكوا بالرجفة

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

فكانهم لم يقيموا في قريتهم التي أرادوا إجلاء شعيب وقومه منها.
﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ والمراد أن الذين كذبوا
شعيباً كانوا هم الهالكين وهذا رد عليهم؛ لما قالوا لمن اتبع شعيباً
إنكم إذا لخاسرون.

﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم بعدما تعرضوا للعذاب
﴿وَقَالَ يَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي﴾ أي: قمت بما يجب علي
نحوكم. ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: أددت لكم ما يجب عليكم مخلصاً
في ذلك راغباً في اتباعكم للحق. ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾
أي: لا آسف، ولا أحزن على قوم كافرين لم ينتفعوا بالنصح ولم يهتدوا
بما جاءهم من الهدى.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير صد المتبوعين من الرؤساء والسادة أتباعهم عن سبيل
الله واتباع رسله وتقرير هلاكهم جزاء كفرهم. ومن مسائل الآيات:
استحباب توبيخ الظلمة على أفعالهم، وعدم الأسى، أو الحزن على
هلاكهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ١٤ ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة حتى

عَفَوُا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا ﴾ المراد أن القرية التي أرسلنا إليها نبياً فكذبته أهلها ﴿ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ ﴾ أي: ما يصيبهم في أبدانهم من الأمراض. ﴿ وَالضَّرَّاءُ ﴾ أي: ما يصيبهم من الفقر والجوع. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ أي: يدعون الله، ويخشونه، ويخافونه، ويتوبون من ذنوبهم. ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ أي: بدلنا أحوالهم، فجعلنا لهم الغنى بعد الفقر، والشبع بعد الجوع. ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ أي: تكاثروا في أموالهم، وأولادهم. ﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: بعد أن ابتلوا بالشدة ثم بالرخاء، ولم يعتبروا ولم يغيروا من سلوكهم فاجأناهم بالعذاب فجأة ليكون ذلك أكثر ألماً لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان سنة الله في عباده أنه يرسل إليهم رسلاً، فإذا كذبوهم أصابهم الله بالأمراض والفقر، لعلهم يتوبون إليه فيتوب عليهم ويبدل أحوالهم فيغنيهم بعد فقرهم ويشفيهم بعد أمراضهم، وهذا

من رحمته عز وجل بعباده؛ أما إذا أصرّوا على كفرهم، واستكبارهم استدرجهم ثم عاقبهم كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (١).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦)
 أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠).

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ القرى جمع قرية وهي مكان اجتماع عدد من الناس والمراد بهم الذين كذبوا الرسل ويشمل أهل مكة. ﴿ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا بالله ورسوله. ﴿وَاتَّقَوْا﴾ أي: عبدوا الله حق عبادته ولم يشركوا به. ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي:

أنزلنا عليهم المطر من السماء، وأنبتنا لهم الأرض ليأكلوا من ثمراتها ونظير هذا قوله عز ذكره ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(١). وقوله ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٢). وقد نادى نوح قومه أن يستغفروا ربهم حتى ينزل عليهم المطر كما قال الله على لسانه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٣). ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٤). ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٥). قوله ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: كذبوا رسلهم، فأخذناهم بالهلاك والعذاب جزاء تكذيبهم.

﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى﴾ استفهام إنكاري ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي: أأمنوا أن يأتيهم عذاب الله في الليل وقت نومهم وراحتهم. ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ أو آمنوا أن يأتيهم عذاب الله أثناء الضحى، وهم لاهون وسادرون في لهوهم. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استفهام إنكاري أيضاً المراد وهل آمنوا استدراج الله وبأسه ونقمته عليهم؟ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

(٢) سورة الجن الآية ١٦ .

(٣) سورة نوح من الآية ١٠ .

(٤) سورة نوح من الآية ١١ .

(٥) سورة نوح من الآية ١٢ .

إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧٤﴾ أي: ولا يأمن أحد استدراج الله وبأسه إلا من خسر نفسه وسبب لها الهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي: ألم يبين للذين خلفوا من كان قبلهم من الأمم ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكناهم بتكذيبهم للرسل وكفرهم بما جاؤوا به. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: نصيبهم بالعذاب، ونجعل على قلوبهم غشاوة. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يستجيبون لدعوة تدعوهم أو موعظة تذكرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام أن العباد إذا آمنوا بالله حق الإيمان، أنزل عليهم المطر وبارك في أرزاقهم وأعمارهم؛ فإن كفروا عاقبهم الله جزاء عملهم. ومنها: تحذير العباد من الغفلة واللغو في الحياة وما يؤدي إليه ذلك من العقاب المباغت لهم. ومنها: تحريم الأمن من مكر الله والاستهانة بأوامره؛ لما يؤدي إليه ذلك من الخسران في الدنيا والآخرة. ومن الأحكام: وجوب الاتعاظ بما أصاب الأمم الهالكة بسبب خطيئاتها.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ
عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

بيان الآيتين:

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ المراد بها القرى التي قص الله خبرها على نبيه
ورسوله محمد ﷺ وهي القرى التي أرسل إليها أنبياءه نوحاً، وهوداً،
وصالحاً، وشعيباً، ولوطاً. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أي: نبين
لك أخبارها وفي هذا تسليّة له عليه الصلاة والسلام عما لحقه من
قومه، مثله في ذلك مثل الأنبياء الذين سبقوه. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالأدلة والبراهين الواضحة الدالة على وجوب توحيد
الله. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ المراد أنهم
استمروا على تكذيب رسلهم مصرين على هذا التكذيب. ﴿كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يطبع الله على قلوب الكافرين
مثل طبعه على قلوب هؤلاء الذين كذبوا رسلهم ممن قص الله على نبيه
ورسوله أخبارهم.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: ما وجدنا لأكثر الأمم
التي خلت أنهم وفوا بالعهد الذي أخذناه عليهم في ظهر أبيهم آدم

من وجوب عبادتنا وعدم الشرك بنا كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١). قوله ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ أي: عاصين لله مكذبين لرسله وآياته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله قص على نبيه ورسوله محمد ﷺ أحوال الأمم السابقة وما كانت عليه من المعاصي التي كانت سبباً في هلاكها. ومن مسائل الآيات: أن من الخلق من لا يؤمن بالأدلة والبراهين الربانية بسبب سيطرة الكفر على عقله. ومنها: أن سبب هلاك الأمم السابقة هو عدم وفائهم بالعهد الذي أخذ عليهم من وجوب عبادة الله وتوحيده والبراءة من الشرك به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ^(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ
لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى﴾ أي: بعثنا موسى من بعد الرسل
السابقين وهم: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب. ﴿بِثَايَةٍ﴾
أي: بمعجزاتنا وهي عصا موسى كما سنرى. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾
المراد به ملك مصر حينذاك ومن معه من قومه. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي:
جحدوها ولم يصدقوا بها وهم يعرفون أنها حق وصدق كما قال
عز وجل ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (١). ﴿فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا محمد ما كانت عليه
عاقبة فرعون من إغراقه، ومن معه؛ بسبب فسادهم وتكذيبهم لموسى
وما جاءهم به من المعجزات.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ﴾ لما أرسل الله موسى إلى فرعون وقومه
جرت بينهما مناظرة طويلة كما يلي: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ﴾ نادى
موسى فرعون قائلاً ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لم آتكم من
عندي، وإنما أمرت من رب العالمين أن آتيكم؛ لأبلغكم رسالته إليكم

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

بعبادته وحده. فرد فرعون عليه قائلًا: لقد كذبت فرد عليه موسى ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: حق علي ألا أقول لكم إلا الصدق وأن أبلغ الرسالة التي أرسلني الله بها إليكم. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أتيتكم بحجة وبرهان بين على صدق رسالتي لكم. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: اترك شأنهم وماهم فيه من الأسر والضيق واتركهم كذلك يعبدوا ربهم فلم يتقبل فرعون طلبه ورد عليه ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني إن كان معك آية كما تقول فأرنا ننظر إليها لنعرف مدى صدقك.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ أي: رمى بها أمام فرعون وقومه. ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: تحولت إلى ثعبان كبير.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ كما قال الله عز وجل ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (١). أي: من غير مرض.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن جحود آيات الله كفر بواح وعاقبته الهلاك. ومن

مسائل الآيات: بيان ما جرى بين موسى وفرعون من الجدل واستكبار

(١) سورة النمل من الآية ١٢ .

فرعون عن قبول الحق وإصراره على الكفر رغم ما جاء به موسى من
البيانات الدالة على صدقه، كتحول عصاه إلى ثعبان كبير.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٠٩ ﴿ يُرِيدُ أَنْ
يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ١١٠ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ١١١ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ ١١٢ ﴿

بيان الآيات:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: خاصته
وجلساؤه والقائل: -ابتداء- هو فرعون أما قومه فصدقوه أو هم قالوه
بعد أن بلغهم أنه قاله؛ لأنه ما كان لهم أن يقولوا ما لم يقله خاصة،
وهو معروف ببطشه وتسلطه عليهم. ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾
أي: قال لهم: إن موسى يريد أن يخرجكم من أرضكم وكان بقوله هذا
يريد أن يشجعهم على مقاومته خاصة؛ لأن إخراجهم من أرضهم ليس
بالهين عليهم. ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي قال لهم فرعون: وماذا ترون
في شأنه؟

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أي: أجل أمره وآخره ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾
أي: ابعث في الأقاليم والأماكن ﴿ حَاشِرِينَ ﴾ أي: من يجمع السحرة
منها، وفي هذا دلالة على تفشي السحر في أرض مصر حينذاك. ﴿ يَأْتُوكَ

بِكُلِّ سِحْرِ عَالِمٍ ﴿١١٢﴾ أي: إذا فعلت ذلك فسوف يأتيك من السحرة من هو أعلم من موسى وأكثر مهارة منه في السحر؛ ذلك أن فرعون وقومه تصوروا أن الذي فعله موسى عليه السلام هو مجرد سحر وليس آية من آيات الله مما يدل على غبائهم وجهلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كفر ملأ فرعون بالآيات التي جاء بها موسى مما جعلهم يتهمونه بالسحر. وبسبب خوفهم من فرعون وبطشه أرادوا التقرب إليه بأن موسى يريد إخراجهم من ملكهم. ونصحهم لفرعون أن ينتظر قليلاً ويجمع السحرة من أرجاء مصر؛ لكي يغلّبوا موسى وسحره؛ لكونهم أعلم منه، وأعظم منه قدرة.

﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾

بيان الآيات:

﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ ﴿١١٤﴾ أي: تجمعوا قادمين من الأقاليم - كما أريد

لهم- وبدؤوا يتعاقدون مع فرعون وقومه على الأجر الذي سوف يدفع لهم في حالة غلبتهم فقالوا ﴿إِنَّا لَنَآلِجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن فرعون وافق على منحهم أجوراً في حال غلبتهم، بل وعدهم أنهم سيكونون من المقربين عنده ومن خاصته.

﴿قَالُوا يَكُونُ لِمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾ جعلوا لموسى الخيار بحيث يلقي هو السحر كما يزعمون ثم قالوا ﴿وَلِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ أي: لآمانع من أن تبدأ أنت، أو نبدأ نحن فأجابهم موسى عليه السلام ﴿أَلْقُوا﴾ أي: ابدؤوا أنتم أولاً فاستجابوا لذلك. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي: لما ألقوا حبالهم وعصيهم. ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي: خيلوا لهم أن ما فعلوه حقيقة. ﴿وَأَسْأَرَهُمْ بِهِمْ﴾ أي: أرببهم وأخذوا عقولهم بما رأوه من التمويه عليهم ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ أي: في ظاهره، ولكنه ليس عظيماً في حقيقته؛ لأنه مجرد تمويه حيث قيل: إنهم ألقوا حبالاً فيها زئبق، فكانت تتحرك بفعل الزئبق.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بجواز الاستئجار للعمل، وأخذ الأجرة عليه كما قال

تعالى على لسان ابنة شعيب ﴿يَتَأَبَّتِ أَسْتَعِجْرُهُ﴾^(١). والاستئجار للعمل وأخذ الأجرة عليه مقيد بشرطين: أولهما- ألا يكون الاستئجار للعبادة إلا ما اقتضته الضرورة، كأخذ الأجرة في النيابة في الحج، أو عدم وجود مصدر رزق لمن يقوم بعمل من أعمال العبادة كالأذان. وثاني الشرطين- أن يكون محل العمل مشروعاً، فلا يجوز الاستئجار ولا أخذ الأجرة إذا كان المحل محرماً كاللهو والسحر والأعمال الباطلة. ومن مسائل الآيات: تقرير تأثير السحر كما قال تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^(٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(١١٧) ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١٨) ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾^(١١٩) ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾^(١٢٠) ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٢١) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(١٢٢).

بيان الآيات:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذا إخبار من الله تعالى أنه أمر موسى أن يلقي عصاه ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾

(١) سورة القصص من الآية ٢٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٠٢ .

أي: تلتهم حبالهم وعصيتهم وما كان معهم من وسائل السحر وعندئذ تبين للسحرة أن موسى ليس ساحراً، وأن الذي رأوه آية من آيات الله، ومعجزة من معجزاته وفي هذا قال الله تعالى ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ أي: تبين وظهر لهم الحق ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عرفوا بطلان عملهم في السحر. ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾ أي: انهزموا في ذلك المشهد. ﴿وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ أي: صاروا أذلاء بعدما تبين للناس ما جاء به موسى من الآيات العظيمة الدالة على أنه رسول من عند الله. ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ أي: خروا ساجدين بعدما رأوه من ضخامة الثعبان وتلقفه لما كان بأيديهم من وسائل السحر، وعندئذ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي: آمنا وصدقنا برب موسى وهارون ورب الخلق أجمعين، وقد آمن معهم أناس آخرون، ولما رأى فرعون مارأى من خروجهم من ملته ومن طاعته ودخولهم في دين الله اشتد حقه عليهم وجرت بينهم وبينه مناظرة كما سيأتي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حقيقة المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون. الحكم بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن الباطل مهما كانت قوته لا يصمد أمام الحق. ومن الأحكام: أن السحر عمل باطل وكفر وظلم،

ومنها: أن بيان الحق للعصاة قد يكون سبباً لهدايتهم كما حدث مع السحرة الذين جاء بهم فرعون من آفاق مملكته، فانقلبوا عليه لما تبين لهم الحق الذي جاء به موسى عليه السلام.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ ءَامِنًا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ۞ ﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي قال فرعون للسحرة: آمنتم بموسى دون إذني، وهذا تهديد ووعد لهم على ما فعلوا ثم قال لهم ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ أي: إن ما حدث من موسى كان بالتشاور والاتفاق معكم وقد ذكر السدي، عن ابن عباس وابن مسعود في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ ﴾ قال: التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى: أرايتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ماجئت به حق؟ قال كبير السحرة: لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لأن غلبتني لأؤمنن

بك، ولأشهدن أنك حق وكان فرعون ينظر إليهما لهذا قال فرعون ما قال من زعم عن مكر موسى والسحرة^(١).

﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: إنكم اتفقتم مع موسى؛ لإخراج أهل مصر حتى تكون له ولكم الغلبة والسلطة فيها. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعد لهم ثم قال ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: أقطع أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى. ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: سوف أصلبكم على الخشب، أو على جذوع النخل فكان فرعون بفعله هذا أول من قطع من خلف وصلب على الأعواد. ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أي: كل السحرة ومن آمن معهم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: مهما عذبتنا فإننا تائبون عما فعلنا من السحر، وقد رجعنا إلى ربنا وآمنا به وبما جاء به موسى من عنده. ﴿وَمَا نَنْقُمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا بَيَّاتٍ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ هذا جواب منهم لفرعون بأنك مانقمت علينا، إلا لما آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا على لسان موسى، فليكن هذا الانتقام منك ولا نبالي به ثم توجهوا إلى ربهم مما يحييكه لهم فرعون فقالوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا الصبر والاحتمال عندما يفعل بنا فرعون القطع والصلب. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: أمثنا ونحن على دين

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٢٢، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٢٨.

الإسلام وقيل: إن فرعون قطعهم كما توعدهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الطغيان إذا سيطر على الإنسان أعماه عن إدراك الحقائق، فلا يبالي حينئذٍ بما يفعل من الكذب والظلم. وأن الإيمان يجعل صاحبه أكثر صلابة وأشد قوة، فلا يبالي بما يفعله به الطغاة. ومن الأحكام: وجوب سؤال الله الصبر عند حدوث البلوى كما قال عز وجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١). ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢). ومنها: استحباب دعاء المسلم ربّه أن يتوفاه على دين الإسلام، وأن تكون خاتمته عليه.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٦ .

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: خاصته وجلساؤه وبطانته يحثونه على الانتقام منهم بقولهم ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: إن تركتهم على حالهم هذه، فسوف يفسدون عليك ملكك ويفرقون رعيتك. ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ أي: يترك موسى وأتباعه. قيل: إن فرعون كان يعبد الأصنام، وقد صنع أصناماً له وسخر الناس لعبادته، وقد حكى الله ذلك عنه بقوله عز ذكره ﴿ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾^(١). وقوله ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾^(٢). فأجاب قومه بقوله فيما حكاه الله عنه ﴿ سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ ﴾ أي: سنقتل أطفالهم. ﴿ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ أي: نتركهم ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ أي: لنا عليهم الغلبة والقهر فلا نخشاهم.

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾ أي: لا خيار لكم أمام فرعون وقوته، إلا أن تستعينوا بالله؛ لأنه وحده الذي يعينكم وأن تصبروا على ما تلاقونه منه من الظلم. ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ يعني إن الأرض أرض الله، فهو المالك لها والمتصرف فيها، ويورثها لمن يشاء من عباده ويختار، والمعنى أن

(١) سورة القصص من الآية ٣٨ .

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤ .

أرض مصر ليست لفرعون وقومه، وإنما هي ملك لله. ﴿وَالْعَقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن العقبي لا تكون للظلمة والمعاندين لله ولرسوله،
وإنما تكون لأولياء الله الذين يؤمنون به ويصدقون رسله.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال بنو إسرائيل لموسى ﴿أُوزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أي: لاقينا الأذى والهوان وقتل أولادنا
من قبل فرعون قبل مجيئك بالرسالة وبعد مجيئك بها فلا زال يمتهننا
ويستعبدنا ويتسلط علينا فأجابهم موسى فيما حكاه الله عنه بقوله
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ أي: لعل ربكم أن يهلك
فرعون وبطانته ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يمكن لكم
فيها ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ينظر ما إذا كنتم تطيعونه
وتشكرونه على نعمه أم تكفرون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد بطانة فرعون وخاصته حين حثوه على الاستمرار في
عداوة موسى، وهذا يقتضي وجوب اختيار البطانة الصالحة والجلساء
الصالحين والبعد عن البطانة الفاسدة التي تزين الباطل وتحث
عليه وتعادي الحق وتنهى عنه. ومن الأحكام: وجوب الاستعانة بالله
عند الشدائد والصبر عليها كما قال عز وجل ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةَ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١﴾. ومنها: أن الأرض ومن فيها ملك لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده كما قال عز ذكره ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ ﴿٢﴾. ومن الأحكام: تقرير صبر الأنبياء عليهم السلام على قومهم ووعدهم لهم بنصر الله إذا استمروا على إيمانهم وصبروا على ابتلائهم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرُهمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ أي: بلوناهم بالجذب والقحط. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: قلة بركة فيها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: لعلهم يتعظون ويرجعون إلى الله.

(١) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٢) سورة مريم من الآية ٤٠.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ أي: إذا أنعم الله عليهم بالمطر وخصب الأرض. ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: أعطينا هذا لما نستحقه. ﴿وَلِنْ تَصِبَّهُمْ سَيِّئَةً﴾ أي: يصابوا بالجذب أو الأمراض. ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: يتشاءموا بهم ويقولوا: لولا هذا ومن معه ما أصبنا بما نحن فيه. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إن ما يأتيهم من خير وشر، إنما هو من عند الله وبحكمته في خلقه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حكمة الله.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْنِى بِهِ مِنْ ءَايَةٍ﴾ لقد مكث موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه أكثر من عشرين سنة، وقد أكدوا له أنهم لن يقبلوا ولن يصدقوا ما جاء به وشاهده ما حكاه الله عن فرعون وقومه ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْنِى بِهِ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: أي آية جئتنا بها لن نؤمن لك وقولهم ﴿ءَايَةٍ﴾ على سبيل قوله إنها آية، أما هم فلا يرونها آية، بل يرونها سحراً ﴿لَتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي: لتصدنا عما نحن فيه. ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الطوفان: المطر الكثير، وقيل: إنه دام عليهم ثمانية أيام لا يرون فيها الشمس ولا القمر ولا يخرجون من دورهم^(١). ﴿وَالْجَرَادَ﴾ معروف. ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ أي: السوس

(١) زاد المسير في علم التفسير ص ٥١٤ .

الذي يتعرض للحنطة، أو هو الدبى صغار الجراد الذي لا أجنحة له، والجراد في عمومها معروف بأكل النبات. ﴿وَالضَّفَادِعُ﴾ حيوان يعيش في المياه الراكدة ﴿وَالدَّمَ﴾ أي: ما يخرج من الجسد. ﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ أي: خمس بينات للعيان هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: عاندوا واستنكفوا عن عبادة الله. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾؛ بسبب عدم إيمانهم بهذه الآيات؛ ذلك أن موسى عليه السلام لما سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل فأبى أرسل الله على فرعون وقومه الطوفان - وهو المطر - فخافوا أن يكون هذا عذاباً لهم فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ما نحن فيه، فإن رفعه آمنا بك وصدقناك وأرسلنا معك بني إسرائيل، فدعا ربه فاستجاب له فطلب منهم موسى أن يؤمنوا بما وعده فكنثوا عهدهم، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل زروعهم ونباتهم وأشجارهم، فأتوا موسى ووعدوه إن رفع الله عنهم الجراد آمنوا به، وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه فاستجاب له، ثم طالبهم موسى أن يوفوا بوعدهم، فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم القمل وهو سوس الحنطة، فطلبوا من موسى أن يرفع الله عنهم ذلك الأذى فرفعه عنهم فلم يوفوا بوعودهم، وهكذا تمت خمس آيات وهم يعدون موسى وينكثون بما وعده^(١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٣٤-٣٩، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٣٠-٢٣٢.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير التدرج في العقوبة؛ ذلك أن الله عز وجل ينبه عباده بما يصيبهم به من الشدائد، كالقحط لعلمهم يتذكرون فيتوبون إليه، فإن تابوا تاب عليهم وبدل ضعفهم قوة. ومن أحكام الآيات: تحريم التطير والتشاؤم بالأشخاص أو البنين أو غيرها؛ لأن السبب فيما يحدث للعباد من شدة وبلاء مرجعه إلى المعاصي كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١). ومنها: تقرير كفر فرعون وقومه رغم البينات والمعجزات التي جاء بها موسى إليهم.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ﴾^(١٣٤) ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۚ﴾^(١٣٥) ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١٣٦)

بين الآيات:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: العذاب. ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بما عهد به إليك والمراد النبوة

(١) سورة الشورى من الآية ٣٠ .

﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ أي: العذاب الذي حل بنا. ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ أي: نصدق ماقلت ونتبعك. ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ﴾ كما طلبت ذلك. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ﴾ أي: الأجل الذي حدد لهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ أي: يخلفون ماوعدوا به. ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: جازيناهم على نكثهم العهد. ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي: أغرقناهم في البحر جزاء تكذيبهم بالآيات وجزاء نقضهم؛ لما كانوا يعدون به موسى من الإيمان به، وإرسال بني إسرائيل معه.

أحكام ومسائل الآيات:

الغالب في الظلمة أنهم عندما يتعرضون للشدائد، يلجأون إلى الله لكشف ضرهم؛ فإذا كشفه الله عنهم، فمنهم من يشكره ويؤمن به ويثبت على إيمانه، ومنهم من يعود إلى ضلاله كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١). ومن أحكام الآيات: أن سبب ضلال الضالين هو تكذيبهم بآيات الله، والغفلة عنها، والاستهزاء بمن يدعوهم إلى الله مما يقودهم إلى الهلاك.

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١٣٧)

بيان الآية:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل الذين كانوا مؤمنين
﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني كانوا مسخرين للخدمة
في زمن فرعون. ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾ قيل: هي أرض
الشام ومصر^(١) على زمن مملكة سليمان عليه السلام. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا﴾ أي: بما أنزل الله فيها من البركة في الثمار وخصب الأرض.
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: منة الله
عليهم بإغراق فرعون وجنده. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: جزاء صبرهم
على ما نالهم من الأذى والاستعباد من فرعون. ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي: بإهلاك
فرعون وجنده ثم تدمير كل ما صنعه أو بناه من القصور.

أحكام ومسائل الآية:

إن سنة الله وحكمته في خلقه اقتضت أن من آمن به واتقاه يمكن

(١) زاد المسير في علم التفسير ص ٥١٥، ومعالم التنزيل ص ٤٨٦ .

له في الأرض كما قال عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(١). وهذا أمر عام في كل البشر في كل أزمانهم وأماكنهم.

قلت: وما كان هذه النعم لبني إسرائيل، إلا بسبب إيمانهم في ذلك الوقت بما جاء به موسى من وجوب توحيد الله وطاعته وبسبب كفر فرعون ومعاندته لله وجحوده لآياته ولم يكن هذا حبا لهم أو كرامة لهم، أو خصوصية لهم، ولكنه الإيمان؛ فمن آمن بالله استحق جزاء إيمانه بالحسنى، ومن كفر به استحق جزاءه بالعذاب، ولهذا لما كفر بنو إسرائيل بما جاءهم به نبي الله عيسى عليه السلام استحقوا جزاءهم فلم يعد لهم ميراث معين في الأرض المذكورة بل عادوا إلى تيههم كما كانوا من قبل، فالأساس في كل الأحوال الإيمان بالله وطاعته.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي: قطعناه بهم وأغرق فرعون وقومه ﴿فَاتَوَّأ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قيل: إنهم من الكنعانيين، وكانوا يعبدون البقر ومعنى يعكفون أي: يلزمون عبادة هذه الأصنام وقد أغرى ذلك بني إسرائيل رغم أن الله قد نجاهم في ذلك الوقت فلم يشكروه على ما أنعم عليهم، بل أرادوا عبادة البقر ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أي: طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها من دون الله، كما هو حال من رأوهم يعبدونها. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: إنكم جهلة ضالون، وإلا فكيف تطلبون هذا الطلب والله قد نجاكم ورأيتم من آياته ما رأيتم. ولعل في إخبار الله لرسوله محمد ﷺ بما فعله بنو إسرائيل تسليّة له مما عايشه من اليهود في المدينة وكيدهم له.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ﴾ أي: إن ما يفعله أولئك من عبادة الأصنام عمل خاسر، وسوف يجزون عليه بالعذاب. ﴿وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن عبادتهم لغير الله عمل باطل وهو يضرهم ولا ينفعهم.

﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ﴾ استنكار وتعجب أي: هل أطلب لكم إلها غير الله تعالى. ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ المراد بالفضليل هنا إهلاك عدوهم فرعون في زمنهم.

﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ في هذا تذكير لليهود الذين كانوا في المدينة يناصبون رسول الله ﷺ العداوة فخاطبهم الله بما منَّ به على أسلافهم من نجاتهم من فرعون، وتعذيبه لهم وقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم. ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي: إن إنجاءهم من فرعون كان ابتلاء لهم لمعرفة شكرهم، فلم يشكروا بل كفروا بما جاءهم من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

كان أمر أسلاف بني إسرائيل عجبا، فقد أهلك الله عدوهم ونجاهم، وقد دعاهم نبيهم إلى عبادة الله وتوحيده، ولكنهم طلبوا منه أن يجعل لهم إلها يعبدونه مما يدل على جهلهم. ومن المؤسف حقاً أن الجهل هو السبب في فساد عقائد الكثير من البشر، ومنهم بعض المسلمين الذين يتقربون إلى الأموات ويدعونهم ويتصورون أنهم يشفعون لهم ويكشفون شوائدهم. ومن أحكام الآيات: وجوب إنكار المنكر وإعلان بطلانه وتبصير أصحابه بما يجب عليهم بما هم فيه من النعم ليشكروا المنعم بها أو تذكيرهم بما أصابهم من البلاء ليتعظوا ويتوبوا.

﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤٢)

بيان الآية:

﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ المراد أن الله تعالى واعد موسى أن يناجيه في جبل الطور بعد أن يصوم ثلاثين يوماً وهي شهر ذي القعدة. ﴿ وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ أي: أتم عشرين من ذي الحجة؛ لتكون مدة صيامه أربعين يوماً^(١). ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ أي: كن خلفي فيهم وذلك بعد غيابه لمناجاة الله. ﴿ وَأَصْلِحْ ﴾ أي: تعهد أحوال بني إسرائيل. ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: اثبت على ماعندك من الهدى ولا تتبع سبيل من يريد منهم إفسادك.

أحكام ومسائل الآية:

مشروعية تحديد المواعيد، ووجوب الوفاء بها. ومن الأحكام: أنه يجب على الحاكم إذا غاب عن رعيته أن يستخلف فيهم من هو أهل للخلافة والصلاح واتباع سبيل المؤمنين، واجتناب سبيل المفسدين

(١) تفسير البغوي ص ٤٨٧، ج ٢ ص ٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٣٣.

والصلاح، والابتعاد عن الفساد واجب في كل حياة العبد حتى يكون متبعاً سبيل الله مجافياً ومنكراً لسبيل الظالمين.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ المراد الموعد الذي وعد الله له ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: أرجو أن أنظر إلى ذاتك العلية ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ أي: لن تراني في الدنيا ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ أي: انظر إلى جبل الطور ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ المراد أن الله أوحى إليه أن رؤيته له جل وعلا مستحيلة في الدنيا؛ لأن الجبل بعد رؤية الله سوف يتحول إلى ركام ولهذا

قال جل ذكره ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: لما ظهر الله للجبل تحول إلى ركام وبعده رأى موسى ما رأى، فسقط مغشياً عليه وهو معنى قول الله عز ذكره ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أي: لما ذهب الغشيان والإغماء ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أي: إجلالاً وتعظيماً لك ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ أي: تبت من سؤالي رؤيتك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنا أول من يؤمن بأنه لا يراك أحد في الدنيا.

﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: اخترتك على أهل زمانك. ﴿بِرِسَالَتِي﴾ أي: بإنزال التوراة عليك ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: بتكليمي لك وكما خص الله موسى بكلامه خص رسوله ونبيه محمداً ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل شريعته آخر الشرائع ودينه آخر الأديان، فهو أشرف الأنبياء والمرسلين ويأتي بعده إبراهيم ثم موسى عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام. ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أي: ما أعطيتك من شرف النبوة والرسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: من المقرين بفضلي عليك وإحساني إليك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد بالألواح: التوراة، ففيها كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل في زمانهم من الأحكام، والقواعد التي تبين لهم الحلال والحرام ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ

شَيْءٍ ﴿١٤٦﴾ أَي: جاءت مفصلة لكل ما أمروا به من أمر الدين والدنيا.
﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أَي: خذ التوراة بعزم ونشاط ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ
يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أَي: أمرهم بتدبرها والعمل بأحكامها كما وردت.
﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه وما حل بهم من
الهلاك والإغراق في البحر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم باستحالة رؤية الله في الدنيا وإمكان رؤيته جل جلاله
في الآخرة، وهذا غاية ما يتمناه عباده المؤمنون وهم في دار كرامته.
ومن مسائل الآيات: تقرير كرامة الله لنبيه موسى باختياره على أهل
زمانه وإنزال التوراة عليه وتكليمه له. ومنها: تقرير أن التوراة فصلت
لأسلاف بني إسرائيل أحكام دينهم ودنياهم في زمانهم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

بيان الآيتين:

﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

المراد سأحرم الذين يستكبرون في الأرض من فهم آياتي فيطبع الجهل والضلال على قلوبهم، فلن ينتفعوا بشيء من هديي ثم بين ذلك بقوله عز وجل ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي: بسبب تكبرهم تختلط أفهامهم، وتضل عقولهم فيتبعون طريق الضلال، ويتركون سبيل الرشاد كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(١). ثم بين عز وجل السبب في ذلك فقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: جحدوها وأنكروها ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي: غير ناظرين ولا متفكرين فيها، فهم في غفلة عنها. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: خسرت أعمالهم وأفعالهم فلا ينتفعون بشيء منها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أنهم يجزون بما كسبوا، فإن كان عملهم خيراً كان لهم جزاؤه، وإن كان شراً كان لهم كذلك جزاؤه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الاستكبار والطغيان في الأرض يصرف أصحابه عن

(١) سورة الصف من الآية ٥ .

فهم آيات الله وهديه. ومن الأحكام: أن التكذيب بآيات الله والغفلة عنها سبب شقاء العبد في الدنيا والآخرة.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (١٤٨) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾.

بيان الآيتين:

قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد أن خرج موسى إلى الطور؛ لمناجاة ربه. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ أي: من حلي نسائهم ﴿عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾؛ ذلك أن السامري طلب من نسائهم - وكان صائغاً - إعطاءه حليهم؛ لأنه غنيمة من نساء الأقباط لا تحل لهم فجعله على شكل عجل قائم له خوار، أي: له صوت يشبه صوت خوار البقر، وقد نتج هذا الصوت من دخول الريح فيه، وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه فعبدوه. فقال الله لموسى عند مناجاته ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (١).

(١) سورة طه من الآية ٨٥.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: ألم يكن لهم عقول يفقهون بها أن هذا مجرد جسد لا يكلمهم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يدلهم على هدى. ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: عبدوه إلهًا لهم. ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: إنهم بفعلهم هذا ظلموا أنفسهم حيث إنهم أشركوا مع الله.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لما عرفوا أنهم أذنبوا ندموا على ما فعلوه ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ أي: انحرفوا بما فعلوه من الإشراك مع الله. ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: قالوا في أنفسهم وفيما بينهم: إن الله إن لم يرحمنا برحمته ويغفر لنا خطيئتنا لنكونن من الهالكين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير غلبة الجهل على عقول أسلاف بني إسرائيل حين أطاعوا السامري، فعبدوا العجل الذي صنعه لهم وقال: هذا إلهكم وإله موسى، مع أن نبيهم موسى علّمهم عبادة الله وتوحيده. ومن أحكام الآيتين: وجوب يقظة العبد من غفلته، والتحلل من خطيئاته، وسؤال الله أن يرحمه ويغفر له ما مضى من سيئاته.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾

مِنْ بَعْدِي^١ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ^٢ وَالْقَى^٣ الْأَلْوَحَ^٤ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ^٥
إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ^٦ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي^٧ وَكَادُوا يَقْتُلُونِي^٨ فَلَا تُشْمِتْ^٩
بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي^{١٠} مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ^{١١}
لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ^{١٢} وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ في هذا إخبار من الله تعالى أن موسى لما رجع من مناجاة الله في الطور غضب غضباً شديداً، لما رآهم فيه من عبادة العجل من دون الله. ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ هذا فيه توبيخ وتقريع لهم أي: بئس ما عملتموه من بعدي فكنتم خلف سوء. ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي: سبقتم أمر ربكم وهو عودتي إليكم بعد الموعد الذي قدره الله. ﴿وَالْقَى الْأَلْوَحَ﴾ أي: رماها وفي هذا دلالة أنه عليه السلام غضب لما رآه من قومه فرمى الألواح من شدة الغضب ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: أمسك بشعر هارون. ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ من شدة الغضب ظنا منه أنه قصر في خلافته مما جعلهم يعبدون العجل. ﴿قَالَ ابْنَ أُمِّ﴾ القائل هارون لأخيه موسى وقد ناداه باسم أمه، ربما لعزتها عليهما جميعاً مع أنه ابن أمه وأبيه، أو لاستعطافه لركة جانب الأم وحنانها. ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي﴾

أي: استقووا علي. ﴿وَكَاذِبُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي: قاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشِمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءُ﴾ أي: لا توبخني ولا تغضب علي؛ فإن ذلك يجعل بني إسرائيل يشمتون بي. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تنظر إلي، وكأنني مع هؤلاء الذين عبدوا العجل فأنا كنت ضد فعلهم ولكن لم أستطع ثنيهم عما كانوا يفعلون.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ لما سكن غضب موسى مما رأى من قومه جعل يرضي أخاه هارون حتى لا يشمت به بنو إسرائيل فطلب من ربه أن يغفر له ولأخيه مما قد يكون من تقصير منهما في الخلافة ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ تكرر لدعائه عليه السلام أن يشمل الله وأخاه، ومن آمن معهما برحمته فإنه لا راحم إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإنسان قد يتعرض للغضب نتيجة حادثة أو أمر تعرض له ويختلف الناس فيه، فمنهم: من هو حاد في غضبه، ومنهم: من دون ذلك والأنبياء عليهم السلام قد يغضبون مثلهم في ذلك مثل البشر، ولكنهم لا يغضبون إلا من أجل دين الله، ففي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قد اشتد غضباً

في موعظة منه يومئذ قال: (يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأياكم ما صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة) (١). ومن مسائل الآية: استحباب الاعتذار عن الخطأ، واستحباب قبوله إذا توفرت شروط هذا القبول. ومنها: تحريم الشماتة بالمخطئ، وعلى المخطئ أن يدعو الله أن يغفر له خطيئته ويتوب عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥٣) ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (١٥٤)

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: إن الذين عبدوا العجل أنزل الله عليهم غضبه، فأمرُوا أن يقتل بعضهم بعضاً كما قال عزوجل ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ (٢) قوله ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: هوان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب هل يقضي أو يفتي وهو غضبان، برقم (٧١٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٤٦.

(٢) سورة البقرة من الآية ٥٤.

ومسكنة، أو الشتات والتفرق في البلدان ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾
أي: الذين يشركون مع الله غيره.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا﴾ المراد أن
الذين ارتكبو السيئات كعبادة العجل. ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا﴾
أي: حققوا التوبة بشروطها، وآمنوا بالله حق الإيمان. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يمحو سيئاتهم ويتجاوز عن خطيئاتهم،
فهو يفرح بتوبة عباده وإنابتهم إليه.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: هدأت نفسه وسكن
غضبه ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي رماها لما وجد قومه بعد رجوعه من
الطور يعبدون العجل. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هدى
للمهتدين بها من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من عذاب الله. ﴿لِلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون ويخشونه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعيد الله للذين يعملون السيئات، أما إذا تابوا منها
بشروط التوبة، فإن الله يتوب عليهم، بل يبدل سيئاتهم حسنات.
ومن مسائل الآيات أن الكتب التي أنزلها الله لعباده على لسان رسله
كلها هدى ورحمة.

﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ ﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٥٧﴾

بيان الآيات:

ما زال السياق في بني إسرائيل فقلوه تعالى ﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾؛ ذلك أن موسى لما رجع من الطور ورأى ما رأى من قومه من عبادة العجل، جعل الله له موعداً يأتيه فيه مع سبعين من خيار بني إسرائيل؛ لطلب التوبة منه عما فعله قومهم، فلما وصلوا إلى الطور عمت الجبل غمامة كبيرة، فأخذ موسى يناجي

ربه، وهم يستمعون له، فعندئذ قالوا لموسى: لن نؤمن بأن ربك هو الذي يكلمك حتى نراه جهرة فغضب الله من قولهم، فنزلت بهم صيحة أهلكتهم وهو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي: الصيحة ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي﴾ أي قال: لو شئت يارب لأهلكتنا جميعا قبل أن نأتي إلى هنا حتى لا يتهمني بنو إسرائيل بأنني تسببت في موت خيارهم. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي: بما فعله سفهاؤنا من عبادة العجل ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: اختبارك وابتلاؤك لنا. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾ أي: تضل بالفتنة من تشاء من عبادك. ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ فلا هادي إلا أنت، ولا مضل إلا أنت ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ أي: اغفر لنا ما كان من سفهائنا، واشملنا برحمتك فأنت خير الغافرين وأرحم الراحمين لا غافر، ولا راحم إلا أنت.

﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: اقسم لنا فيها حياة كريمة وتوفيقاً لمرضاتك ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا وأتينا إليك. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ﴾ أي: أصيب به من يستحقه ممن يعرض عن الحق. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: هي عامة لا حدود لها، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (إن لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها رحمة بين الجن

والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على ولدها وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة^(١). ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: سأعطيها للذين يتقون الله ويوحدونه والتقوى: إطار شامل لكل ما وجب على المسلم من صلاة وصيام ونحو ذلك. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: الذين يؤدونها طيبة بها نفوسهم ومع أنها داخلة في عموم التقوى إلا أن الله خصها بالذكر؛ لأن إخراج المال مما يثقل على النفس، فمن أخرجها طيبة بها نفسه كان من المتقين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ لما ذكر الله جل وعلا أنه سيكتب رحمته للمتقين الذين يؤدون زكاة أموالهم ويؤمنون بآياته نعتهم بأنهم يتبعون الرسول، وهؤلاء هم أمة محمد ﷺ ممن آمن به والأمي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف الحساب وهذه من صفات رسول الله ﷺ كما قال الله عز وجل ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢). ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ أي:

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٢)،

صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٧٠ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

موصوفاً فيهما وفي هذا روى البخاري: عن محمد بن سنان عن فليح قال: حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وحرزاً للأُميين أنت عبي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)^(١). قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته قال: (قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً)^(٢). وفي حديث أبي صخر العقيلي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهما في اقتفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه على ابن له في الموت أحسن الفتیان وأجمله فقال رسول الله ﷺ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي) فقال برأسه هكذا، أي: لا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، برقم (٤٨٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٤٣.

فقال ابنه: إني والذي أنزل التوراة، إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال (أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفنه وحنطه وصلى عليه)^(١).

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: هذا هو شأن وصفة رسول الله ﷺ، يأمر أمته بالمعروف وهو كل عمل فيه خير، وينهاهم عن المنكر، وهو كل عمل فيه شر. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أي: يحل لهم ما أحل الله لهم من الطيبات كما قال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢). ويحرم عليهم الخبائث وهو كل ما هو مستقذر كالدم، ولحم الخنزير، والميتة، ونحو ذلك مما حرمه الله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الإصر الحمل الثقيل وهذا على خلاف ما كان عليه بنو إسرائيل، فإذا أصاب البول ثوب أحدهم قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار، فأهلكتها وإذا حاضت نساؤهم لم يقربوها وأمروا بقتل أنفسهم من أجل توبتهم وتحريم العمل عليهم يوم السبت، أما شريعة محمد ﷺ فكلها يسر ورحمة، فقد أحل الله لها الغنائم، ومؤاكلة الحائض وغسل البول بالماء، وقد

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٤١، وأخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٤١١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٢ .

بين الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١). وقال الله بعد كل سؤال قد فعلت قد فعلت^(٢). هذا في الكتاب؛ أما السنة فقول رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)^(٣). وقوله عليه الصلاة والسلام (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم)^(٤). قوله ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ يعني صدقوا به ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ المراد به القرآن وما أوحى الله إليه به ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن في كل قوم سفهاء، ومن الواجب على قومهم سؤال الله

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٢) تفسير البغوي ص ١٨٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٥٩، والتبريزي في المشكاة برقم (٦٢٨٤)، وقال الألباني «صحيح».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان، باب قوله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ برقم (٦٦٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٥٧.

عز وجل ألا يؤاخذهم بما يفعل سفهاؤهم، هذا مع وجوب الإنكار عليهم. ومن مسائل الآيات أن على العبد أن يسأل ربه أن يقسم له حياة كريمة في الدنيا، هي مرضاة الله، وحياة كريمة في الآخرة، هي الجنة. ومن الأحكام: أن رحمة الله واسعة لا حدود لها وقد كتبها جل ثناؤه للمتقين عموماً وخصوصاً للذين يؤمنون بآياته، ويؤدون الزكاة طيبة بها نفوسهم ويتبعون رسوله وفي هذا شرف عظيم لأمة المسلمين لكونهم يتصفون بهذا الوصف. ومن الأحكام: وجوب الإيمان برسالة رسول الله ﷺ وتصديقه وتصديق الكتاب الذي جاء به واتباع أحكامه.

﴿ قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨)

بيان الآية:

لما ذكر الله عز وجل أن صفة نبيه ورسوله محمد ﷺ مكتوبة في التوراة والإنجيل كما هي في القرآن أمره الله أن يبين للناس صفته ﴿ قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: قل يا محمد للناس: إنك رسول الله إليهم كبيرهم وصغيرهم ذكرهم،

وَأَنْتَاهُمْ، أَبْيَضُهُمْ، وَأَسْوَدُهُمْ، وَأَحْمَرُهُمْ، وَغَنِيهِمْ، وَفَقِيرُهُمْ. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم: إن الذي بعثني إليكم هو مالك السموات والأرض وأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: آمنوا بالله ربكم وخالقكم وآمنوا برسوله الذي وجدتم صفته في التوراة. ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ أي: الذي بعثه الله وهو لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يحسب. ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أي: يصدق بالله وكتابه وأنه الخالق الإله الحق. ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: سيروا على طريقه كما قال عز وجل ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(١). ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: تفلحون في دنياكم وأخراكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ عامة لكل الناس ذكرانهم وإناثهم، وعربهم، وعجمهم، وأبيضهم، وأسودهم وهذا يقتضي حكماً وجوب الإيمان برسالته، وتصديقه، واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فمن ابتغى سبيلاً غير سبيله، فقد ضل سواء السبيل.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
 وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٣.

اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ط فَأَنْبَجَسَتْ
 مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ط وَظَلَّلْنَا
 عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا
 مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
 لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

بيان الآيات:

لما ذكر الله ما كان من بني إسرائيل من عبادة العجل وطلبهم من
 نبيهم موسى رؤية الله جهراً وما كان منهم من العصيان استثنى
 الله منهم قوماً صالحين فقال عز ذكره ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ
 أَيْ: من أصحاب موسى طائفة. يَهْدُونَ بِالْحَقِّ أَيْ: مهتدون في
 أنفسهم باتباعهم للحق الذي جاء به نبيهم ويهدون به غيرهم. وَبِهِ
 يَعْدِلُونَ أَيْ: يحكمون بالقسط.

وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا أَيْ: جعلناهم قبائل

﴿أَمَّا﴾ وصف للأسباط، وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة وهذا تذكير لما أنعم الله به على بني إسرائيل من سقيهم من العيون التي تفجرت لهم وتظليل السحاب عليهم، وإنزال المن والسلوى عليهم. ثم أشار الله عز وجل إلى أن الذين ظلموا منهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم أي: لما قيل لهم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قالوا: حبة في شعيرة؛ استهزاء بما قيل لهم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ دخلوا متوركين على أستاذهم وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من أسلاف بني إسرائيل طائفة مؤمنة حكمت بالعدل واتبعت الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، وهذا الوصف قائم لتلك الطائفة في زمانها فحسب؛ أما بعد ختم الرسالات برسالة رسول الله محمد ﷺ فلا يوصف أحد بالإيمان إلا من كان متبعاً لهذه الرسالة وصاحبها. ومن أحكام الآيات: أن من بدل ما أنزل الله من الأحكام يعد ظالماً متبعاً لهواه ويكون عرضة لعذاب الله.

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾
 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
 الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا
 نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

بيان الآيات:

قوله تعالى ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: اسأل يا محمد اليهود
 الذين عندك في المدينة عن أسلافهم أهل القرية ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ
 الْبَحْرِ﴾ أي: على ساحله وهي «أيلة» وتسمى حالياً «إيلات»^(١) من
 قرى فلسطين التي اغتصبها اليهود. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾
 أي: يعتدون يوم السبت بصيد الحيتان مع أن الله حرم عليهم الصيد
 في هذا اليوم ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ أي:
 تأتاهم في هذا اليوم طافية على الماء ظاهرة لهم، فيسوقونها إلى حياض
 أعدت لها فتجتمع فيها ويأخذونها يوم الأحد ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ^٧
 لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: إنها تختفي بقية الأيام. ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾
 أي: نختبرهم بإظهار الحيتان لهم يوم السبت المحرم عليهم الصيد

(١) إيلات تقع في أقصى جنوب فلسطين وتبعد نحو ثلاثمائة وخمسين كيلاً جنوبي القدس على الحدود مع مصر والأردن على البحر الأحمر وكانت تسمى قبل احتلال فلسطين من قبل اليهود أم الرشراش وهي مدينة سياحية مشهورة.

فيه ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ المراد أن هذا حدث لهم؛ جزاء كفرهم وعصيانهم وجرأتهم على ارتكاب محارم الله.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: قالت طائفة لأخرى منهم. ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: كيف تعظون هؤلاء وهم قد عصوا الله بصيدهم يوم السبت فاستحقوا العذاب بسبب عصيانهم. ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فعلنا ما فعلنا من وعظهم حتى يكون ذلك عذراً لنا عند الله. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وعظناهم لعلهم يتقون الله بالتوبة من ذنوبهم والمعنى أن هناك ثلاث طوائف من بني إسرائيل طائفة ارتكبت المعاصي حين خالفت أمر الله بالصيد يوم السبت، وطائفة نهتها عن هذا الفعل، وطائفة تركتها فلم تنهها فقالت هذه للتي نهت مرتكبة المعصية: لماذا تعظون قوماً الله مهلكهم؟ فردت هذه بأن النهي عن المنكر واجب علينا وقمنا به ليكون عذراً لنا عند الله، ومن جهة أخرى أردنا منه نصح هؤلاء العصاة لعلهم يتقون الله بالتوبة إليه.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: لما نسي العصاة وعظ الواعظين ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ أي: نجيناهم من العذاب بسبب نهيمهم عن المنكر. ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: عاقبنا العاصين بعذاب بئيس أي: شديد. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب ما ارتكبوه من المعاصي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

قال: ياليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا﴾^(١) قال عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك؛ ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوه وقالوا ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فلم أزل به حتى عرفت أنهم قد نجوا^(٢). وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان^(٣).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: أنهم لما تمادوا في معصية الله بصيدهم الحيتان في اليوم الذي حرم الله عليهم صيدها فيه قلنا لهم ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي: كونوا قردة مطرودين حقيرين.

أحكام ومسائل الآيات:

تكریم الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما أوحى إليه عن حال أسلاف بني إسرائيل وابتلائهم؛ بسبب فسقهم وفي هذا تأكيد، لنبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام وهو يحاج اليهود في المدينة ويرد على أباطيلهم وتكذيبهم له. ومن الأحكام: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا أعرضت أمة أو طائفة عن المعروف وجب أمرها باتباعه، فإن قبلت ما أمرت به نجت، وإن تولت هلكت وحينئذ ينجي الله الأمرين بالمعروف والناهيين لها عن المنكر.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٩٤، والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٠٧، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٤٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٦ ص ٩٥، والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٠٧.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوبُكَ لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٧)
 وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوبُكَ﴾ أي: أعلم أو تعهد ﴿لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ والمراد أن الله أمر رسوله أن يقول لليهود إن الله أعلم أنه سيبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. وهذا ما حدث لهم بالفعل، فقد تعرضوا للعذاب والإهانة من قبل اليونانيين والكلدانيين والرومان والأسبان والنصارى، وآخر ذلك ما حدث لهم مع الألمان مما هو معروف في التاريخ الحديث، وما كان ذلك إلا بسبب مكائدهم وعصيانهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه سواء هم أو غيرهم ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي: يغفر ويرحم من يتوب إليه من عباده. وعلى هذا إذا تاب اليهود من معاصيهم وتابوا وأنابوا إلى الله ودخلوا في دينه الذي ارتضاه لعباده أصبحوا ممن يشملهم الله برحمته ومغفرته، مثلهم في ذلك مثل عباده الآخرين.

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فرقناهم في الأرض طوائف، وهذا هو ما حدث لهم بالفعل، فهم إلى اليوم متفرقون في أنحاء الأرض قلة أو كثرة، فمنهم طائفة في الهند، والصين، وروسيا، وأوربا، وفي بلاد المسلمين، وأكثرهم؛ يتجمعون في أمريكا، وفلسطين بعد أن غزوها بسبب ضعف المسلمين، وقوة الغرب الذي ناصرهم. ﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ المراد من آمن منهم بالإسلام وأقر برسالة رسول الله محمد ﷺ منذ عهدا الأول كعبد الله بن سلام، ومن معه إلى يومنا هذا، حيث يوجد منهم مسلمون صالحون. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني الكافرين منهم. ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ أي: اختبرناهم بسائر النعم. ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ الشدائد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون إلى الله من معاصيهم.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: جاء بعد اليهود الذين تفرقوا في الأمصار ذريتهم ممن كان منهم في المدينة وهؤلاء ورثوا التوراة منهم. ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: يأخذون ما يعرض

لهم من الدنيا ولو كان حراماً كالبها ونحوه. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾
 أي: يتقولون على الله بأنه سيغفر لهم معاصيهم. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ
 مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: من شدة طمعهم وحبهم للدنيا لا يتورعون عن
 الحرام. ﴿أَلَمْ يُوْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
 الْحَقَّ﴾ المراد به التوراة التي بأيديهم وما فيها من الأحكام التي توجب
 عليهم ألا يحلوا ما حرم عليهم من المكاسب الخبيثة وأن يبينوا ما فيها
 من الحق كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا
 قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(١). قوله ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي: قرؤوا
 ما فيها من المواعظ والأحكام ﴿وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾
 في هذا تذكير من الله لهم أن الآخرة خير للذين يتقون الله بطاعته
 وترك معاصيه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون وتعلمون أن
 الآخرة خير لكم من طمع الدنيا وشهواتها.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: الذين يؤمنون بما جاء في
 التوراة من وجوب الإيمان والتصديق برسالة رسول الله محمد ﷺ
 ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أدوها. ﴿إِنَّا لَنُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي:
 لانضيع أجرهم، بل نجازيهم عليه بالإحسان.

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

أحكام ومسائل الآيات:

بيّن الله في هذه الآيات أحوال بني إسرائيل في عدة أحكام: أولها: تعرضهم للعذاب، وقد حدث هذا لهم على مر التاريخ. وثانيها: تفرقهم أشتاتاً في البلدان وهذا معروف ومشهود. وثالث الأحكام: ابتلاء أسلافهم بالنعم والشدائد. ورابعها: تقرير أن منهم صالحين ومن ذلك على سبيل المثال عبد الله بن سلام ورفاقه، وكل من أسلم وآمن منهم على مر التاريخ فيشمله هذا الوصف. وخامسها: أن منهم كافرين وهم الذين لم يدخلوا في دين الإسلام. وسادسها: أن من اليهود الذين كانوا في المدينة زمن رسول الله ﷺ من كان يرتكب الحرام، كالربا، والرشا، رغم تحريم ذلك عليهم في كتابهم. وسابع الأحكام: أن من آمن منهم برسالة رسول الله ﷺ وبالقرآن الذي أنزل عليه؛ فإن الله لن يضيع أجره.

﴿وَإِذْ نَنْقُضَ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١)

بيان الآية:

قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَنْقُضَ الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: رفعناه فوق رؤوسهم كما قال عز وجل ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ (١). ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ أي:

كأنه سحابة تظلهم، والظلة اسم لكل ما أظل ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُ دُوَاقِعُ بِهِمْ﴾ أي: ظنوا أن الجبل سيقع عليهم؛ ذلك أنهم لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ورفع الله جبل الطور على رؤوسهم؛ ليقبلوها بما فيها أو ليقع على رؤوسهم، فلما نظروا إلى الجبل خروا سجداً على حواجبهم اليسر وكل منهم ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً من سقوطه عليه ويقول اليهود: إن سجدتهم تلك هي التي أزالنا عنهم العقوبة ويقولون: إن موسى لما نشر الألواح التي فيها التوراة اهتز لها الجبل، والشجر، فلماذا عندما يقرؤونها نراهم يهتزون.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: قال الله: خذوا ما في كتابكم واعملوا به، بما فيه من الميثاق. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: تذكروا دائماً ما فيه من أوامر الله، ونواهيه لكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: إذا أخذتموه على هذا الأساس لعلكم تتقون الله.

أحكام ومسائل الآية:

العجب من أمر بني إسرائيل في عدم قبولهم أحكام التوراة إلا بعد أن رفع الله الجبل فوق رؤوسهم، فلما رأوا أنه واقع بهم لا محالة سجدوا لله خوفاً من سقوط الجبل عليهم، وهذا يقتضي أن من الإنسان من لا تنفع فيه المواعظ وحدها، وإنما ينفع فيه التهديد والوعيد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

عَلَىٰ أَنْفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ
 وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ
 نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي: اذكر يا محمد لليهود وغيرهم حينما أخذ
 ربك ﴿مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرجهم من أصلابهم
 وأخذ عليهم الميثاق. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (إن الله يقول لأهون
 أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال:
 نعم قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك
 بي فأبيت إلا الشرك) (١). ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي:
 دلهم على عظمته وخلقه لهم حتى شهدت بذلك نفوسهم. ﴿قَالُوا بَلَىٰ
 شَهِدْنَا﴾ أي: نعم أنت ربنا أقررنا بربوبيتك ووحدانيتك وعظمتك
 ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أي: تنكروا ذلك
 يوم القيامة وتقولوا إنا كنا غافلين. ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
 قَبْلُ﴾ أي: تقولوا يوم القيامة لقد أشرك آباؤنا من قبلنا. ﴿وَكُنَّا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم (٣٣٣٤)، صحيح البخاري مع

ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ﴿١﴾ أي: اتبعناهم كما قال عز وجل على لسانهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١). ﴿أَفَنُهِّلُكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ استفهام إنكاري منهم معناه: كيف تهلكننا بسبب أعمال المبطلين، فهم الذين تركوا لنا الشرك. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين لهم الآيات ونوضحها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن إشراكهم مع الله غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله أخذ على بني آدم العهد وهم في أصلاّبهم بأنه ربهم ومليّكهم، وأنه لا رب إلا هو ولا إله يعبد بحق إلا هو وأنه المتصرف فيهم وقيل: المراد أنه أخذ هذا العهد على أبيهم آدم، فيكون هذا العهد ملزماً لهم، وقد يكون المراد أنه أخذ العهد عليهم جميعاً كما ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة..) الحديث (٢). وهذا هو الأصح؛ لأن قدرة الله وعظمته لا تحد بحدود، ولا توصف بوصف، فهو يقول للشيء: كن فيكون فهذه الذرة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى بالعين، تسير

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٧٦)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح في كتاب الإيمان، برقم (١١٨)، المشكاة ج ١ ص ٤٢ .

بنظام وتعيش بنظام، فلا يسيرها ولا يعلم أسرارها وخفاياها إلا الذي خلقها وكونها فجل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وصفاته. ومن الأحكام: أن الله يفصل الآيات ويبينها لعباده لتكون هدى لهم إلى الطريق الذي يوصلهم إلى مرضاته.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اقرأ يا محمد على قومك ومن اتبعك ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ قيل: إنه بلعام بن باعورا الكنعاني أيام موسى^(١) وقيل: إنه أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة فلما أقبل موسى في بني إسرائيل يريد قتال الكنعانيين سألوا بلعام أن يدعو على موسى، فلما دعا تحول

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٢٨ .

دعاؤه على أصحابه فقليل له في ذلك: فقال: لا أقدر على أكثر من هذا،
واندلع لسانه على صدره. وقيل: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي،
وكان قارئاً للكتب، وعلم أن الله سوف يرسل رسولاً في زمانه وتمنى أن
يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حسده وكفر به وقال
فيه رسول الله: (آمن شعره وكفر قلبه)^(١). ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي:
نزع الله منه العلم الذي آتاه لقاء حسده وكفره. ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾
أي: لحق به، فكان من أوليائه وأعوانه. ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾
الضالين، ولعل القول الأول هو الأصح، وأياً كان اسمه فالمراد أنه أوتي
علماً، فانسلك من علمه بعد أن أضله الشيطان.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: لرفعناه إلى منازل الصالحين بتلك
الآيات التي أوتيتها ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: رغب في الدنيا
وترك الآخرة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: لم يحتكم ويعمل بما آتاه الله من
العلم؛ وإنما اتبع هواه كما قال عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ
هُوَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ
غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: صفته في الدناءة والمهانة مثل

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٣٨٥-٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣١٩-٣٢٠،
وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣.

الكلب ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ﴿فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَإِنَّمَا اتَّبَعَ هَوَاهُ فَهُوَ ضَالٌ سِوَاهُ أَنْصَحْتَهُ أَمْ لَمْ تَنْصَحْهُ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي حَالِ سِيرِهِ أَوْ وَقُوفِهِ﴾ ﴿ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ومثل الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها كمثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فكانوا من الغاويين الضالين. ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: قص هذا القصص يا محمد على بني إسرائيل وغيرهم ممن يكذب بآياتنا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يعقلون فيحذرون من تكذيبك ومعاداتك.

﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ أي: قبح مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا كونهم مثل الكلاب الذين لا غاية لهم ولا هدف. ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي: أنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم آيات الله، أما الله فحاشاه أن يظلمهم. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىُّ وَمَنْ يُضِلِّ﴾ المراد أن الله جل وعلا يهدي المهتدين الذين آمنوا به وصدقوا رسله، وآخرهم وخاتمهم: محمد ﷺ ويضل الذين ضلوا في أنفسهم فلم يستجيبوا لنداء الله ونداء رسله. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد يمنح أحد عباده علماً وحكماً، ليعلم -وهو

العليم- إن كان يشكر أم يكفر فإن شكر زاده علماً وحكماً، وإن اتبع هواه أعرض عنه ففتتولاه عندئذ الشياطين فيصبح من الغاوين الضالين وتكون صفته في الدناءة والمهانة مثل الكلب الذي يلهث في سيره ووقوفه. ومن الأحكام: أن أسوء الأمثال يضرب للذين يكذبون بآيات الله ويظلمون أنفسهم بتكذيبهم لها. ومنها: أن الله عز وجل يهدي من يصدق بآياته ورسوله ويضل الذين يكذبون بها ولا يتوبون من تكذيبهم بها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩)

بيان الآية:

لما ذكر الله تعالى أنه نتق الجبل على بني إسرائيل، وأنه أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم، ثم أمر نبيه أن يقص على اليهود قصة بلعام بن باعورا قال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا. ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: لا ينتفعون بها. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ أي: لا يفرقون بها بين الصدق والكذب، والهدى والضلال. ﴿وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: لا يسمعون مايتلى عليهم من الذكر

والمواعظ بسبب ما انطبع على قلوبهم، وأبصارهم، وأسماعهم من الضلال. ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: مثلهم مثل الأنعام التي لا تعقل ولا تعرف إلا الأكل والشرب، بل هم أضل منها؛ لأن الله جعل لهم عقولاً وأبصاراً وأسماعاً؛ ناهيك أن الأنعام تعرف مصالحها فتجتنب المخاطر! ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أي: الذين نسوا ذكر الله ومواعظه فأنساهم أنفسهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله خلق لجهنم كثيراً من الإنس والجن؛ ذلك أنه أنعم عليهم بقلوب يعقلون بها، وأنعم عليهم بأبصار يبصرون بها وآذان يسمعون بها، ولكنهم لم يستخدمونها لفهم ما كتب الله عليهم من طاعته، وإنما استخدموها في معصيته فأصبحوا من الخاسرين. ومن الأحكام: تقرير أن مثل من يستخدم ما أنعم الله به عليه من الحواس مثل الحيوان الذي لا يعقل، بل هو أضل منه.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

بيان الآية:

هذه الآية نزلت في رجل من المسلمين، كان يدعو ربه ويقول:

يارحمن يارحيم فسمعه أحد المشركين فقال: أليس محمد وأصحابه يزعمون أن لهم رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية^(١). قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: إن له جل وعلا أحسن الأسماء وأجملها، لما فيها من تقديسه وتعظيمه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر)^(٢). وأسماءه عز وجل ليست محصورة في هذا العدد، بل هي أكثر من ذلك، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما أصاب أحدٌ همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً)^(٣). فقوله: (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) دل على أن لله أسماء استأثرت بها عنده، فلا يعلمها أحد من خلقه. قوله ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: اسألوها بها على أن يكون السؤال

(١) تفسير البغوي ص ٥٠٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، برقم (٦٤١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٢١٨.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٢٨٣.

عن الشيء متفقاً مع الاسم القدسي المناسب له فيقول السائل: يا هادي
اهدني بهداك، ويارحمن ارحمني برحمتك، ويافتاح افتح لي أبواب
رحمتك وهكذا أو يدعو بالاسم العام (يا الله).

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الإلحاد في أسماء الله

يكون بالتحريف فيها كما فعله المشركون العرب حين سموها بها
أوثانهم وأصنامهم فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة
من المنان، وقد ذكر ذلك ابن عباس^(١). أو يكون بالزيادة فيها كمن
يأتي باسم لله من عنده دون أن يكون له سند من قرآن، أو سنة،
أو يقلل من أسمائه عز وجل أو تصغيرها أو العدول بها عن معناها
﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: سيجازي الله الذين يلحدون في
أسمائه بما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب دعاء الله بأسمائه الحسنی التي ورد بيانها في الأثر ويجوز
الدعاء بأسماء الله التي استأثر بها في علم الغيب عنده. ومن الأحكام:
تحريم الإلحاد في أسماء الله سواء بتحريفها أو تأويلها أو زيادتها بما
لا يتفق وقدسية الله وعظمته. ومنها: تقرير العذاب للذين يلحدون في
أسماء الله وصفاته.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٥٣٠، وتفسير البغوي ص ٥٠٤.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١) وَالَّذِينَ
 كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِبْرَ
 كِيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
 مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
 مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ
 ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِي لَهُ يُؤْذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

بيان الآيات:

لما ذكر الله عز وجل أنه جعل في جهنم كثيراً من الجن والإنس
 قال ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ أي: ممن خلقنا من الأمم أمة ﴿يَهْدُونَ
 بِالْحَقِّ﴾ أي: يتبعونه ويدعون إليه ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي:
 يحكمون ويقضون به وفي هذا روى معاوية بن أبي سفيان أن رسول
 الله ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
 من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة) وفي رواية (حتى يأتي
 أمر الله وهم على ذلك)^(١). كما روى عمران بن حصين أن رسول الله
 ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق على من ناوهم
 حتى يأتي أمر الله وينزل عيسى عليه السلام)^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، برقم (١٩٢٠-١٩٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٢٩٣-٥٢٩٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٤٢٩، والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٥٣٥.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا﴾ المراد بهم المشركون والكافرون
 ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ أي: نسبغ عليهم النعم في أنفسهم وأموالهم
 وذرياتهم. ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من حيث لا يشعرون حيث
 يظنون أن هذه النعم تدوم لهم وأن تكذيبهم بآيات الله لن يضرهم
 ثم يأخذهم الله وهم على غفلة، كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا
 ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا
 أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (١). ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ أي: أمهلهم وقتاً أطول. ﴿إِنِّي كِيدِي مَتِينٌ﴾
 أي: إن مكري شديد.

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ أي: لم يعقلوا ويتدبروا ماجاءهم من البينات.
 ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ إنكار وتكذيب لقولهم: إن محمداً مجنون
 كما قال الله عز وجل على لسانهم ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ
 الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٣). وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن رسول
 الله ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً بأسماء أفخاذهم وبطونهم قائلاً:
 يا بني فلان يا بني فلان قوموا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك

(١) سورة الأنعام الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٥ .

(٣) سورة الحجر من الآية ٦ .

به. وكان يحذرهم مما قد يحيق بهم من العذاب إن لم يقبلوا رسالة الله إليهم فكانوا يقولون: إن صاحبكم هذا مجنون بات يصوت إلى الصباح^(١).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: لم يكن كما تدعون وتكذبون، بل

هو نذير لكم من العذاب إذا استمررتم على شرككم.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أو لم يتدبر

هؤلاء المكذبون بآيات الله في صنعه وخلقه للسموات بغير عمد يرونها

وخلقه للأرض وما فيها من البحار والأنهار. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

أي: من الآيات الدالة على قدرته وأنه الواحد الذي لا شبيه له ولا ند

له ولا نظير، وأن ماعداه مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ﴿وَأَنَّ

عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: ولم يتدبروا في آجالهم التي قد

تكون قد اقتربت فأصبحوا في عداد الموتى الذين لا ينفعهم إلا ما قدموه

من عمل صالح. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بما

جاءهم به محمد ﷺ من القرآن والبينات فلن يؤمنوا أبداً.

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادٍ لَهُ﴾ أي: من يضلّه الله بسبب

إعراضه عن ذكره فلن يهديه أحد. ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي:

يترك الله المعرضين عن ذكره حيارى غير مهتدين.

(١) تفسير البغوي ص ٥٠٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٥٣١.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه سيكون ممن خلق الله أمة ظاهرة منصورة تعرف الحق وتحكم به لا يضرها من خالفها، وهذه الأمة هي الطائفة التي ذكرها رسول الله من أمته. ومن أحكام الآيات: أن الله يستدرج الذين يكذبون بآياته ومنها: كتابه العزيز إلى أن يهلكهم. ومنها: إنكار الله على الذين كذبوا رسوله ﷺ واتهموه بالجنون، والتوكيد على أنه سليم في عقله، وأنه أرسل نذيراً للإنس والجن. ومن الأحكام: إنكار الله على المكذبين بسبب جهلهم وعدم تفكرهم في قدرة الله في خلق السموات والأرض، وكذلك عدم تفكرهم في اقتراب آجالهم. ومنها: أن من يعرض عن ذكر الله فلن يهديه أحد ويذره الله في ضنك وحيرة من أمره حتى يهلك كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١). ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٢). ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾^(٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ

(١) سورة طه الآية ١٢٤ .

(٢) سورة طه الآية ١٢٥ .

(٣) سورة طه الآية ١٢٦ .

كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

بيان الآيتين:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي: يسأل المشركون عن الساعة ليس توقاً إليها بل تساءلوا في حال من إنكارهم لها. ﴿أَيَّانَ مَرُسَهَا﴾ أي: يسألون عن منتهاها وقيامها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول لمن سألها عنها إنما علمها أي: قيامها عند ربي وليس لأحد غيره علم بها. ﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهرها لوقتها إلا هو، فهو العليم بها وحده. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والمراد أن علمها كما خفي علي وعلى الأنبياء من قبلي فقد خفي على أهل السموات من الملائكة وعلى أهل الأرض كلهم. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْثَةً﴾ هذا تأكيد أنها لا تقوم إلا في حال فجأة ولكن لها علامات لا تقوم إلا بعد ظهورها. وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين) ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا^(١). ولتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو
يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أهدكم أكلته
إلى فيه فلا يطعمها^(٢).

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: كأنك ملح في السؤال عنها
﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي قل: يا محمد لمن سألك عنها: إن علم
قيامها عند الله وحده. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون
أن الله هو المختص بعلمها وحده.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي قل: يا محمد لمن سألك
عن الساعة أو عن أي أمر من أمور الغيب: إنني بشر وعبد من عبيد الله
لا أرد عن نفسي ضرراً ولا أملك لها نفعا كما قال عليه الصلاة والسلام:
(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبده فقولوا عبد الله
ورسوله)^(٣). ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ما شاء الله أن يعطيني.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا، برقم (٤٦٣٦)، صحيح
البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٤٧، والآية في سورة الأنعام من الآية ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (٤٠)، برقم (٦٥٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري،
ج ١١ ص ٣٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا
برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٥١.

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أي: لو كنت أعلم

الغيب لاستكثر من الخير في أمر الدنيا كالنصر في الحرب وفي أمر الآخرة بزيادة العمل الصالح. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لو كنت أعلم الغيب لعرفت متى يكون النصر، ولما غلبت في الحرب كيوم أحد.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لست إلا نذيراً

للعالمين الذين يكذبون بآيات الله فأنذرهم سوء عملهم وما سوف يحيق بهم من العذاب، كما أني بشير للذين آمنوا بالله، واتبعوا ما جاءهم به رسوله؛ بأن لهم الجنة، وأنه لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن علم الساعة عند الله وأن أحداً من أهل السموات والأرض لا يعلمها. الحكم بأن الساعة لا تأتي إلا بغتة ولكن لها أشراط وعلامات تكون مقدمة لاقتربها كخروج الدابة والدجال. ومن الأحكام: أن رسول الله ﷺ بشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فالنافع والضار هو الله وحده، وهذا يقتضي حكماً بطلان عمل من يطلب النفع أو دفع الضر من الرسل أو الأولياء والصالحين أو غيرهم فهذا شرك محبط لعمل صاحبه، بل هو مخذل في النار إذا مات ولم يتب منه.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتَ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٨٩)

فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ .

بيان الآيتين:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي: آدم. ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ أي: خلق من آدم زوجته حواء؛ لكي يأنس ويألف بها ولتسكن به وتألف به كما قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴾ (١). ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ أي: واقعها ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ المراد به حمل الولد في بدايته؛ لأنه يكون خفيفاً. ﴿ فَمَرَّتَ بِهِ ۖ ﴾ أي: استمرت بالحمل. ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي: صار الحمل ثقيلاً بحكم مرور الوقت عليه ﴿ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ أي: دعا آدم وحواء ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا ﴾ أي: بشراً سوياً في خلقته ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي: شاكرين لك بما أنعمت به علينا بشراً سوياً.

﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ وليس

المراد بأن آدم وحواء هما اللذان جعلوا له شركاء؛ إذ لا يعقل أنهما أشركا بالله بعدما جاءهما الولد ومن قال ذلك فقد غلط وإنما المعنى راجع إلى المشركين من بني آدم كما قال رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ^(١). ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي: تقدس وتنزه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: المشركون من بني آدم وهذا يدل على أنهم المراد من قوله ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾؛ لأنه قال يشركون وهذا مراد به الجمع ولم يقل يشركان.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن أصل الإنسان من آدم وزوجته حواء عليهما السلام، وأن الزوج يسكن إلى الزوجة وتسكن إليه. ومن أحكام الآيتين: نفي الشرك عن آدم وزوجته، وعلى هذا فإن المشركين من ذرية آدم هم المراد من قول الله تعالى ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾.

﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ^(١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ^(١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ^(١٩٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم (١٣٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٣ ص ٢٩٠.

بيان الآيات:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ أي: يعبدون أحداً لا يقدر على خلق شيء كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (١). ﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ أي: أن ما يعبدونه من أصنام أو غيرها مخلوق.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ أي: أن هذه الأوثان التي يعبدونها لا تحقق لمن يعبدها نصراً. ﴿وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ أي: لا يقدرّون على نصرة أنفسهم بشيء؛ لأنها مجرد جماد أصم لا تعقل ولا تبصر ولا تسمع.

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴾ أي: إن تدعوا أصنامكم وأوثانكم إلى ما فيه هدى لكم. ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ المراد أنهم لا ينفعوكم بشيء. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ جهاراً أم أنتم وقفتهم عندهم صامتين فهذه الأوثان جمادات لا تفعل شيئاً، فمن كانت هذه حاله هل يعقل أن يعبد من دون الله الذي خلق الخلق وقدر أرزاقهم وأجالهم وهو القادر على نفعهم وضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في كونهم يشركون مع الله

(١) سورة الحج من الآية ٧٢ .

مخلوقين مثلهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا غيرهم ولا يملكون لها نفعاً ولا ضرراً فلما كانت هذه حالهم، فمن المحال إذاً أن ينصروا أو ينفعوا غيرهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴾ المراد أن هؤلاء الأصنام الذين تعبدونهم هم عباد الله مثلهم مثلكم في خلقهم؛ لأن كل ما في الوجود من البشر والحيوان والجماد هو من خلق الله وصنعه كما قال عز وجل ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١). فاعبدوه

وقوله عز ذكره ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١).

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: اطلبوا منهم النفع. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنهم ينفعون وفي هذا توبيخ وتسفيه لعقولهم واعتقادهم أن هذه الأصنام تنفعهم. وفي هذا: روي أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وأسلم من الأنصار كان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبل من الشباب الذين أسلموا فإذا جاء الليل ذهبوا إلى أصنام المشركين يتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل والمحتاجين، فكان لعمر بن الجموح والد معاذ صنم يعبده ويعتني به، فيجيء المعاذان إلى الصنم فيلطحانه بالعدرة، فيجيء عمرو فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً ويخاطب الصنم ويقول له: انتصر ثم يعودان لمثل ذلك، ويعود عمرو لمثل ما يفعل من الاعتناء به، وفي ذات مرة قرنا الصنم مع كلب ميت ودلياه في حبل في بئر من آبار المدينة، فلما جاء عمرو ورأى ما عليه الصنم أيقن أن اعتقاده فيه باطل، ثم أسلم رضي الله عنه وحسن إسلامه وقتل شهيداً في معركة أحد^(٢).

قلت: وفي هذا دليل على أن الجهل إذا غشي النفوس أصبحت لا

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد الجزري ج ٣ ص ٣٦٠-٣٦١.

ترى الحقائق كما هي، وما كان الإسلام إلا ليجلي تلك الغشاوة التي طبعت بثقلها على نفوس العرب في جاهليتهم، فالحمد لله على ما منَّ على هذه الأمة بدينه، فأبصرت الحق وزالت عنها غشاوة الظلام.

﴿ اَلْهَمُّ اَرْجُلٌ يَمْشُوْنَ بِهَا ۖ ﴾ أي: هل لهذه الأصنام أرجل مثلكم
 ﴿ اَمْ لَهُمْ اَيْدٍ يَبْطِشُوْنَ بِهَا ۖ ﴾ أي: يتصرفون بها. ﴿ اَمْ لَهُمْ اَعْيُنٌ
 يُبْصِرُوْنَ بِهَا ۖ ﴾ أي: يرون بها الضوء من الظلام. ﴿ اَمْ لَهُمْ اِذَا نُسِئْتُمْ
 يَسْمَعُوْنَ بِهَا ۖ ﴾ أي: هل يسمعون من يكلمهم، ففي هذا استفهام إنكاري على المشركين الذين يعبدون هذه الأصنام، وهي جمادات هامة لا يعبدها إلا من طبع الجهل قلبه وأعمى بصره فأصبح مثل هذه الجمادات. ﴿ قُلْ اَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ۖ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول للمشركين ادعوا هذه الأصنام. ﴿ ثُمَّ كِيدُوْنَ ۖ ﴾ أي: كيدوني أنتم وأصنامكم ﴿ فَلَا تُنْظَرُوْنَ ۖ ﴾ أي: لا تؤخروا كيدكم.

﴿ اِنَّ وَلِيََّ اللّٰهُ ۖ ﴾ أي قل يا محمد: لهؤلاء المشركين: إن ولي الله الذي يتولاني - وهو حسبي وملاذي - لا أتوكل إلا عليه، ولا ألجأ إلا إليه. ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتٰبَ ۖ ﴾ أي: القرآن. ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ ۖ ﴾ أي: يتولى الصالحين من الأنبياء وكل صالح آمن به وتوكل عليه.

﴿ وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ ۖ ﴾ أي: إن الذين تدعونهم من دون الله من الأصنام والأوثان وغيرهم. ﴿ لَا يَسْتَطِيعُوْنَ نَصْرَكُمْ ۖ ﴾ أي: لا

ينفعونكم بشيء ولا ينفعون أنفسهم كذلك بشيء، إنما النافع والضار هو الله. ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ أي: إن دعوتموهم إلى الهدى ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾. ﴿وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: ترى هذه التماثيل تنظر إليك، لكون أعينها مفتوحة ولكنها لا تبصر؛ لأنها جماد. فمن كانت هذه حاله فهل يعبد من دون الله، وقد يكون المراد أنك يا محمد ترى المشركين ينظرون إليك ولكنهم لا يبصرون الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون جمادات لا تتوفر فيها أي صفة من صفات الحياة، فلا يعبدها إذاً إلا من ساء عقله وعميت بصيرته. ومن الأحكام: أن ولاية الله هي أعظم ولاية فيجب على العبد أن يتوكل عليه ويلجأ إليه.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ١٩٩ ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٠٠.

بيان الآيتين

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يعفو عن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمة. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: أمر بالمعروف وكل ما فيه خير. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: السفهاء،

فلا تمار فيهم وكن حليماً عليهم كما قال عز وجل في صفة المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١). وفي هذا روى جابر بن سليم قوله: ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله ﷺ، فأنخت قعودي بباب المسجد فدلوني على رسول الله ﷺ فإذا هو جالس، وعليه برد من صوف فيه طرائق حمر فقلت: السلام عليك يا رسول الله فقال: (وعليك السلام) فقلت: إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء فعلمني كلمات ينفعني الله بها قال: (ادن) ثلاثاً فدنوت فقال: (أعد علي) فأعدت عليه قال: (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً، وأن تلقى أخاك بوجه منكسر، وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما لا تعلم فيه، فإن الله جاعل لك أجراً وعليه وزراً، ولا تسب شيئاً مما خولك الله تعالى) قال جابر: فوالذي نفسي بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيراً^(٢).

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ ذكر الله عز وجل وجوب الإعراض عن الجاهلين إلا أن ذلك لا يمنع وجود سفه وسوء أدب منهم، سواء لرسول الله ﷺ أو لأي أحد من أمته، وما يحتمل مع هذا السفه أن تنشأ عند المرء حالة من الغضب؛ بسبب سوء أدب الجاهل أرشد الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ وأمته بقوله ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

(١) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب من هذا اللفظ ج ٥ ص ٦٣-٦٤، وابن المنذر في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٢٢ .

نَزَعٌ ﴿١﴾ أي: إذا تعرضت من الشيطان لنزغ أي: فساد كالغضب أو الوسوسة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ﴿٢﴾ أي: اتجه إلى الله بالاستعاذة منه كما قال عز وجل ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٣﴾. ﴿١﴾. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ﴿٢﴾. وقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿٣﴾. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٤﴾. ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ ﴿٥﴾. ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ﴿٦﴾. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع ويعلم استعاذتك من الشيطان ويعيذك منه.

وفي هذا روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: من خلق كذا ومن خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) ﴿٧﴾. ولما قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: (وقد وجدتموه؟) قالوا: نعم قال: (ذلك صريح الإيمان) ﴿٨﴾.

(١) سورة المؤمنون الآية ٩٧ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩٨ .

(٣) سورة الناس الآية ١ .

(٤) سورة الناس الآية ٢ .

(٥) سورة الناس الآية ٣ .

(٦) سورة الناس الآية ٤ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٣٨٧ .

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم (١٣٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٣٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب التحلي بالأخلاق الكريمة، ومن ذلك كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم كما قال عز وجل في مستحقي الجنة ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١). ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢). ومن ذلك البر بكل صورته ومعاملة الناس باليسر والعلاقة الحسنة. ومن الأحكام: وجوب الإعراض عن الجهلة والسفهاء وذوي الأخلاق السيئة. ومنها: وجوب التعوذ بالله من الشياطين وأعدائهم والتعوذ من الوسواس وطغيان الغضب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢) ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِثَآئَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٣).

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: إن الذين آمنوا وصدقوا. ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ كوسوسته وإيهامه وتخيله. ﴿تَذَكَّرُوا﴾

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٤.

أي: استذكروا ثواب الله وعقابه. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي: دفعوا عنهم ما يكون الشيطان وسوس لهم به، هذا بالنسبة للمتقين؛ أما إخوان الشياطين فيكونون مدداً وتعصيماً للشياطين وهو معنى قوله تعالى ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾. ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ أي: لا يتوقفون عن إغوائهم.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ إذا لم تأت بآية تقرؤها عليهم. ﴿قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِئَتْهَا﴾ أي: أتيت بها من عندك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي: إني لا آتي بشيء من عندي، وإنما هو وحي من الله يوحيه إلي. ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو القرآن الذي جئت به إليكم دليل وبرهان على صدق ما أدعوكم إليه. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: يهدي به الله من تدبره واتبعه وأحل حلاله وحرم حرامه، وهو رحمة له في الدنيا ورحمة له في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الشيطان لا يضر أهل التقوى؛ لأنه إذا وسوس لهم، أو زين لهم الباطل غلبوه بذكر الله وتقواه، فلا يستطيع أن ينفذ إليهم. ومن الأحكام: أن إخوان الشياطين وأعوانهم يمدون الشياطين بالضلal. ومنها: أن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين كما قال عز وجل

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
 ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرَّ بِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

بيان الآيات:

لما ذكر الله جل ذكره فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة للمتقين قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أنصتوا له في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة وفي هذا روى محمد بن كعب القرظي: أن رسول الله ﷺ إذا قرأ في الصلاة أجابه من وراءه فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم قال مثل قوله حتى يقضي فاتحة الكتاب والسورة، فلبث في ذلك ما شاء الله أن يلبث فنزلت هذه الآية (١).

﴿وَأَذْكُرَّ بِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ أي: اذكر ربك يا محمد وكل واحد من أمتك. ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ أي: رغبة فيما عنده من الثواب، ورهبة مما عنده من العقاب. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: لا يكون دعاؤك جهراً، وإنما دونه وفي هذا روى أبو موسى الأشعري أن الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٥٤.

إِن الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ^(١). ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أَي: اذْكُرْ رَبَّكَ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ. ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أَي: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَغْفَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَجُوبَ ذِكْرِهِ وَعَدَمَ الْغَفْلَةِ عَنْهُ مَدَحَ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الْمُرَادُ لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، بَلْ هُمْ مُطِيعُونَ لَهُ عِبَادَ لَهُ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٢). ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ أَيِ يَقْدُسُونَهُ وَيَعْظُمُونَهُ. ﴿وَلَهُ يُسْجَدُونَ﴾ إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا وَتَقْدِيسًا لَهُ.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستماع للقرآن عند قراءته سواء الاستماع للإمام في الصلاة الجهرية، أو الاستماع له عند القراءة في أي حال كسماعه من الإذاعة أو التلفاز أو نحو ذلك؛ لما في الاستماع له من مظنة الرحمة. ومن الأحكام: وجوب ذكر الله تضرعاً إليه وأن يكون هذا الذكر سرّاً دون الجهر. ومنها: التحذير من الغفلة عن ذكر الله وقد مدح الله الملائكة؛ بسبب ذكركم وطاعتهم له وتسبيحه وتقديسه وتعظيمه.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٧٩٣ - ٦٧٩٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٠.

فهرس المجلد الثالث

٥	تفسير سورة المائدة
	تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا
٦	بِالْعُقُودِ...﴾ ١
٦	أحكام ومسائل الآية
٦	وجوب الوفاء بالعقود وبم يكون العقد وما يشترط فيه
٧	تحريم الصيد في الحرم
٧	تحريم القتال في الأشهر الحرم
٧	حل أكل بهيمة الأنعام
٧	تحريم صيد البر بعد الإحرام
	تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ
٧	اللَّهِ...﴾ ٧
١٠	أحكام ومسائل الآية
١٠	وجوب احترام شعائر الدين كلها
١٠	تحريم قتال المشركين في الأشهر الحرم
١٠	نسخ هدي المشركين
١٠	بغض الإنسان عدوه لا يبيح له الاعتداء عليه
١١	وجوب التعاون بين الأمة
١١	تحريم التعاون على الإثم
١١	تفسير قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ ٣
١٥	أحكام ومسائل الآيات
١٥	عشر محرمات حرمها الله على عباده

- ١٦ تحريم الاستقسام بالأزلام
- ١٦ تحريم الذبح عند القبور
- ١٦ تفسير قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ ..﴾ ٤
- ١٨ أحكام ومسائل الآية
- ١٨ جواز السؤال للتعلم
- ١٨ إباحة الصيد إذا كان الكلب الذي جرحه معلماً
- ١٨ تفسير قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ..﴾ ٥
- ٢٠ أحكام ومسائل الآية
- ٢٠ حل ذبائح أهل الكتاب
- ٢٠ حل نكاح المحصنات من نساء أهل الكتاب
- ٢٠ بيان حرمة أنواع الزيجات المخالفة للشرع
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
- ٢٠ الصَّلَاةِ ..﴾ ٦
- ٢٤ أحكام ومسائل الآية
- ٢٤ وجوب النية في الوضوء
- ٢٤ وجوب غسل الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل الذقن ...
- ٢٤ وجوب غسل اليدين مع المرفقين
- ٢٤ مسح جميع الرأس
- ٢٤ وجوب غسل الرجلين مع الكعبين
- ٢٤ من يباح لهم التيمم
- ٢٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٧

- أحكام ومسائل الآية ٢٥
- وجوب ذكر نعم الله على أمة المسلمين ٢٥
- وجوب ذكر الميثاق والعهد الذي تعاقد به الرسول مع أصحابه.. ٢٥
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
- لِلَّهِ...﴾ ٨-١١ ٢٦
- أحكام ومسائل الآيات ٢٩
- وجوب العدل بين الناس وأن تكون الشهادة بالقسط ٢٩
- تحريم الشهادة على الظلم والجور ٢٩
- تقرير الوعد بالمغفرة والوعيد بالعذاب ٢٩
- وجوب ذكر نعم الله على عباده ٢٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
- إِسْرَءِيلَ...﴾ ١٢ ٢٩
- أحكام ومسائل الآية ٣١
- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق ٣١
- الحث على واجبات أخرى كالصلاة ٣١
- تفسير قوله تعالى ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ...﴾ ١٣-١٤ ٣١
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٣
- تحريم نقض العهود ٣٣
- نقض العهد سلوك أسلاف اليهود ٣٤
- الندب إلى العفو ٣٤
- بيان سوء سلوك النصارى ٣٤
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ

- رَسُولُنَا .. ﴿ ١٥-١٦ ٣٤
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٦
- تقرير أمر أهل الكتاب بالإيمان ٣٦
- من آمن بالقرآن ورسالة محمد ﷺ يهدى إلى سبيل الحق ٣٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ .. ﴾ ١٧-١٩ ٣٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٩
- الحكم بكفر من ينسب إلى الله الولد أو يتقول عليه ٣٩
- قيام الحجة على اليهود والنصارى بإرسال النبي ﷺ إليهم ... ٣٩
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ .. ﴾ ٢٠-٢٣ ٤٠
- أحكام ومسائل الآيات ٤٢
- بيان سلوك اليهود وعصيائهم لنبيهم موسى ٤٢
- الأمم لا تخلو من مصلحين ٤٢
- تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا .. ﴾ ٢٤-٢٦ ٤٣
- أحكام ومسائل الآيات ٤٥
- تقرير سوء أخلاق أسلاف اليهود مع ربهم ونبيهم ٤٥
- وجوب البراءة من المعرضين عن أوامر الله ٤٥
- عدم جواز الحزن على أهل الظلم ٤٥
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ .. ﴾ ٢٧-٣١ ٤٥

- ٤٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٩ ندب التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة
- ٤٩ الحسد من أشد الخطايا
- ٤٩ وجوب دفن الميت
- تفسير قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾ ٣٢
- ٥٠ أحكام ومسائل الآية
- ٥٢ الحكم بتعظيم أمر النفس وشناعة التعرض لها بالقتل
- ٥٢ بيان أنه تعالى أرسل الرسل إلى بني إسرائيل
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَأُؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ ٣٣-٣٤
- ٥٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٥٥ تعريف الحراة وشيء من أحكامها
- تفسير قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ ٣٥-٣٧
- ٥٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٧ الحكم بأنه يجب على العبد تقوى الله وطاعته
- ٥٧ وجوب التوسل إلى الله
- ٥٨ استحالة الفداء يوم القيامة من العذاب
- ٥٨ تقرير خلود الكفار في العذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ ٣٨-٤٠
- ٥٨ أحكام ومسائل الآيات

- ٦٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٠ تحريم السرقة لما فيها من التعدي على حقوق الناس
- ٦٠ قبول توبة السارق ما لم تبلغ الحاكم
- ٦١ الحكم لله لا ينازع فيه
- تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ
- ٦١ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ..﴾ ٤١-٤٣
- ٦٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٦ تحريم تحريف الكلام
- لأهل الكتاب المقيمين بين المسلمين الاتفاق فيما مناطه
- ٦٦ أحوالهم الشخصية
- ٦٧ وجوب العدل في الحكم
- ٦٧ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ..﴾ ٤٤ ..
- ٦٩ أحكام ومسائل الآية
- ٦٩ الحكم بأن من حكم بغير ما أنزل الله كالذي يحكم بهواه ..
- ٦٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا..﴾ ٤٥
- ٧٠ أحكام ومسائل الآية
- ٧٠ النفس تقتل بالنفس والجروح قصاص
- ٧١ المماثلة في القصاص
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
- ٧١ مُصَدِّقًا..﴾ ٤٦-٤٧
- ٧٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٧٢ تقرير أن الإنجيل مصدق للتوراة

- ٧٢ من لم يحكم بما أنزل الله يعد فاسقاً
- ٧٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ..﴾ ٥٠-٤٨ ...
- ٧٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٧٧ الحكم بأن القرآن هو المصدق للكتب السابقة
- ٧٧ الحكمة من اختلاف الشرائع بين العباد قبل الإسلام
- ٧٧ ما يحصل للعباد من الضراء بسبب ذنوبهم
- ٧٧ أحكام الجاهلية أحكام فاسدة
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ..﴾ ٥٣-٥١
- ٧٧ سبب نزول الآيات
- ٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٨١ الحكم بتحريم موالاة اليهود والنصارى
- ٨١ كشف سلوك المنافقين
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ
عَن دِينِهِ ..﴾ ٥٦-٥٤
- ٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٧ الحكم بكفر من يرتد عن دين الإسلام
- ٨٧ يجب على العبد محبة المؤمنين
- ٨٧ فضل الجهاد في سبيل الله
- ٨٧ الحكم بأن من تولاه الله ورسوله كانت له الغلبة
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا ..﴾ ٥٨-٥٧
- ٨٧

٨٧ سبب نزول الآية
٨٨ أحكام ومسائل الآيتين
٨٨ تحريم موالاة من يستهزئ بدين الله
٨٨ الأذان واجب في حضر المسلمين وسفرهم
	تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَقْمُونَنَا ۚ إِنَّا ءَامِنَآ
٨٩ بِٱللَّهِ... ﴾ ٥٩-٦٣
٩٢ أحكام ومسائل الآيات
٩٢ تقرير سوء أدب أسلاف اليهود مع الأنبياء
٩٢ تقرير وصفهم بأكل الرشى
٩٢ ذم العلماء الذين لا ينكرون المنكر
	تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ؕ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ
٩٣ وَلَعْنُوا۟ مِمَّا قَالُوا۟... ﴾ ٦٤ - ٦٦
٩٧ أحكام ومسائل الآيات
٩٧ تقرير سوء أدب أسلاف اليهود وقبح سلوكهم
٩٧ تقرير عقابهم
٩٧ إثبات صفة اليد لله
٩٧ لو طبق أهل الكتاب أحكام الله لرزقهم
٩٧	تفسير قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا ٱلرَّسُولُ بَلَّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ٦٧ ...
١٠٠ أحكام ومسائل الآية
١٠٠ جميع الرسل ملزمون بتبليغ رسالة الله
١٠١	تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٦٨-٦٩
١٠٢ أحكام ومسائل الآيتين

- الحكم بكفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم برسول الله ١٠٢
- تقرير أن الأشقياء لا ينتفعون بالآيات ١٠٢
- الأمر لرسول الله بأن لا يحزن على الكافرين المعاندين ١٠٢
- من آمن بالله وبالبعث وعمل الصالحات فلا خوف عليه ١٠٢
- تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ..﴾ ٧٠-٧١ ١٠٢
- أحكام ومسائل الآيتين ١٠٤
- تقرير أخذ الميثاق من بني إسرائيل ١٠٤
- البشارة بنبوّة محمد ﷺ ١٠٤
- تقرير اتباع بني إسرائيل لأهوائهم ١٠٤
- تقرير حلم الله عليهم ١٠٤
- تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ..﴾ ٧٢-٧٥ ١٠٤
- أحكام ومسائل الآيات ١٠٧
- الحكم بتكفير من يدعي ألوهية المسيح ١٠٧
- تبرؤه وأمه من الذين ألوههما ١٠٧
- الحكم بأن عيسى وأمه مخلوقان ١٠٧
- وجوب الاستغفار والتوبة بكمال شروطها ١٠٧
- تقرير أن الله بين لعباده الآيات ١٠٧
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ..﴾ ٧٦-٧٧ ١٠٧
- أحكام ومسائل الآيتين ١٠٩

- التنديد بكل من يعبد غير الله ١٠٩
- الحكم بسوء الغلو في الدين ١٠٩
- تفسير قوله تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ..﴾ ٧٨-٨١ ١١٠
- أحكام ومسائل الآيات ١١٣
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١٣
- وجوب ردع مرتكب المنكر ١١٣
- تفسير قوله تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا..﴾ ٨٢-٨٦ ١١٣
- أحكام ومسائل الآيات ١١٧
- تقرير عداوة أسلاف اليهود والمشركين للمسلمين ١١٧
- النصارى أقرب مودة إلى المسلمين ١١٧
- ذم الكبر وأهله ١١٧
- تقرير ثواب الله لأهل الكتاب الذين يؤمنون برسالة رسول الله ﷺ ١١٧
- تقرير الوعيد بالعقاب للذين يكذبون بآيات الله ١١٧
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا..﴾ ٨٧-٨٨ ١١٧
- أحكام ومسائل الآيتين ١١٩
- لا يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً أحله الله ١١٩
- وجوب الأكل من الطيبات وما يقتضيه ذلك ١١٩

- ١١٩ تفسير قوله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾ ٨٩
- ١١٩ سبب نزول الآية
- ١٢١ أحكام ومسائل الآية
- ١٢١ تقسيمات الأيمان والكلام عليها
- ١٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ ٩٣-٩٠
- ١٢٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٢٦ الحكم بتحريم الخمر وما في حكمه
- ١٢٦ الحكم بتحريم الميسر وما في حكمه
- ١٢٦ الحكم بتحريم قرابين المشركين
- ١٢٦ بيان علة تحريم الخمر
- ١٢٦ وجوب طاعة الله وطاعة رسوله
- تقرير رفع الله الإثم عن ارتكب المعصية قبل تحريمها
- ١٢٦ أو ارتكبها وهو لا يعلم التحريم
- ١٢٦ شروط التوبة
- تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ...﴾ ٩٥-٩٤
- ١٢٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٢٩ تقرير ابتلاء الله عز وجل لصحابة رسوله ﷺ
- ١٢٩ الحكم بتحريم الصيد على من هو محرم
- ١٢٩ يجوز للمحرم قتل الفواسق من الدواب
- تفسير قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَّعْنَاكُمْ

- ١٣٠ وَلِلسَّيَّارَةِ ٩٦ ﴿ ٩٦ ﴾
- ١٣١ أحكام ومسائل الآية
- الحكم بحلية صيد البحر للمتحلل والمحرم سواء والخلاف
- ١٣١ في حل ما جزر عنه
- ١٣١ الحكم بكون ماء البحر طهوراً
- ١٣٢ الحكم بحل صيد البر في حال عدم الإحرام
- تفسير قوله تعالى ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا
- ١٣٢ لِلنَّاسِ ٩٧-١٠٠ ﴿ ٩٧-١٠٠ ﴾
- ١٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٥ تقرير منة الله على عباده
- ١٣٥ تقرير أنه ليس على الرسول إلا البلاغ
- ١٣٥ الحكم بعدم مساواة الحلال مع الحرام
- تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن
- ١٣٦ أَشْيَاءَ ١٠١-١٠٤ ﴿ ١٠١-١٠٤ ﴾
- ١٣٩ أحكام ومسائل الآيات
- ١٣٩ عدم جواز التنطع في السؤال
- ١٣٩ الحكم بتحريم الابتداع في الدين
- ١٤٠ تحريم اتباع المبتدعين والجهلة
- ١٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ ١٠٥ ﴿ ١٠٥ ﴾
- ١٤١ أحكام ومسائل الآية
- الحكم بأنه يجب على العبد أن يطهر نفسه في مطعمه

١٤١	ومشربه
١٤١	فساد الناس لا يضر العبد
١٤١	تقرير البعث والنشور
	تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُوا
١٤١	بَيْنَكُمْ... ﴿١٠٦-١٠٨
١٤٤	أحكام ومسائل الآيات
١٤٤	الحث على الوصية
١٤٤	الحكم بوجوب الإشهاد على الوصية
١٤٤	جواز إشهاد غير المسلم على الوصية
	تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا
١٤٤	أُجِبْتُمْ... ﴿١٠٩
١٤٥	أحكام ومسائل الآية
١٤٥	تقرير عظم يوم القيامة
١٤٥	تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ... ﴿١١٠-١١١ ..
١٤٧	أحكام ومسائل الآيتين
١٤٧	تقرير إنعام الله على عيسى
١٤٨	المراد بالوحي الذي أوحاه الله إلى الحواريين
	تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ
١٤٨	مَرْيَمَ... ﴿١١٢-١١٥
١٥٠	أحكام ومسائل الآيات
١٥٠	تقرير سوء سلوك الحواريين

- ١٥٠ استجابة الله لعيسى بإنزال المائدة عليه
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصِي أَمْرًا مَرِّمًا...﴾ ١١٨-١١٦
- ١٥٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٣ إقامة الحجة على النصارى يوم القيامة
- ١٥٣ عقاب العباد أو العفو عنهم راجع إلى مشيئة الله
تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ...﴾ ١٢٠-١١٩
- ١٥٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٥ تقرير فضل الصدق
- ١٥٥ الحكم بأن الله مالك السموات والأرض
- ١٥٦ **تفسير سورة الأنعام**
تفسير قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ ٣-١
- ١٥٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٨ الحكم بأن الحمد لله وحده
- ١٥٨ تقرير قدرة الله عز وجل في خلق الكون
- ١٥٨ إنكار الله على الذين يعرفون قدرته ويشركون به
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ...﴾ ٦-٤
- ١٦٠ أحكام ومسائل الآيات

- التنديد بمن يعرض عن آيات الله ١٦٠
- تقرير ما ينال من العقاب من أعرض عن آيات الله ١٦٠
- وجوب الإعتبار بما حل للأمم السابقة من الهلاك ١٦٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ..﴾ ١١-٧ ١٦٠
- أحكام ومسائل الآيات ١٦٣
- تقرير أن الذين ضلوا في أنفسهم لا يصدقون بالآيات ١٦٣
- تقرير أن الله لا يرسل إلى الخلق رسلا من الملائكة ١٦٣
- تكذيب الرسل والإستهزاء بهم سمة عامة في الأمم ١٦٣
- الاعتبار بما حل بالأمم الماضية ١٦٣
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ..﴾ ١١-١٢ ١٦٣
- أحكام ومسائل الآيتين ١٦٦
- الحكم بأن الله كتب على نفسه الرحمة بعباده ١٦٦
- تقرير البعث والنشور يوم القيامة ١٦٦
- الحكم بأن ما في الكون من سكون ورحمة بتدبير الله ١٦٦
- كل ولاية غير ولاية الله محرمة ١٦٦
- الله هو المعطي والمانع ١٦٦
- وجوب الاستسلام لله بالطاعة والبراءة من الشرك ١٦٦
- رحمة الله هي الفوز ١٦٦
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ..﴾ ١٧-١٩ ١٦٧
- أحكام ومسائل الآيات ١٦٩

- ١٦٩ الحكم بأنه لا يكشف الضر إلا الله
- ١٦٩ تقرير شهادة الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ
- ١٦٩ إنزال الله للقرآن بما فيه من البشارة والندارة
- ١٦٩ وجوب البراءة من الشرك
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ
- ١٦٩ أَبْنَاءَهُمْ..﴾ ٢٠-٢٤
- ١٧١ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧١ الحكم بأن أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد ﷺ
- ١٧٢ من أعظم الظلم افتراء الكذب
- ١٧٢ تقرير شهادة الجوارح على المشركين يوم القيامة
- ١٧٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ..﴾ ٢٥-٢٦
- ١٧٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧٤ تقرير أن المرء إذا استمرأ الكفر لم يعد يفهم الحق
- ١٧٤ من أشقى الناس من يعرض عن اتباع الحق
- ١٧٤ من يعرض عن الحق إنما يضر نفسه
- ١٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ..﴾ ٢٧-٣٠
- ١٧٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٦ تقرير أن أهل الكفر يتمنون يوم القيامة أن يردوا إلى الدنيا ..
- ١٧٦ توكيد كفر المشركين بالبعث
- ١٧٦ تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ..﴾ ٣١-٣٢ ...
- ١٧٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧٧ تقرير خسران من ينكر لقاء الله

- ١٧٧ الساعة لا تأتي إلا بغتة
- ١٧٧ الحياة الدنيا مجرد لهو ولعب
- ١٧٨ تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ..﴾ ٣٣-٣٥ ..
- ١٨١ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨١ تقرير حزن رسول الله ﷺ على عدم تصديق المشركين
- ١٨١ تسلية الله لرسوله محمد ﷺ عما حدث له من قومه
- ١٨٢ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ..﴾ ٣٦-٣٩ ..
- ١٨٤ أحكام ومسائل الآيات
- ١٨٤ تقرير أن الذين يستجيبون لله هم المؤمنون
- ١٨٤ كل الدواب والطيور في الأرض مثل بني آدم
- ١٨٤ حال من يكذب بآيات الله
- ١٨٥ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ..﴾ ٤٠-٤٥ ..
- ١٨٧ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن المشركين يشركون في الرخاء ويلجأون إلى الله
- ١٨٧ عند الشدة
- ١٨٧ الأمم التي قست قلوبها عن ذكر الله تعرضت لسخطه
- ١٨٧ الأمم التي تغفل عما جاءها من الحق كل ما يأتيها استدراج
- ١٨٨ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ..﴾ ٤٦-٤٩ ..
- ١٨٩ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير نعمة الله على العبد بالسمع والبصر والقلب وسائر
- ١٨٩ أعضاء الجسم

- ١٨٩ لا يهلك الله إلا الذين ظلموا أنفسهم
- ١٩٠ مهمة الرسل البشارة للمؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ
- ١٩٠ اللَّهُ... ﴿ ٥١-٥٠
- ١٩١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩١ الحكم بأن رسول الله بشر
- ١٩١ بشرية الرسول ﷺ تقتضي عدم علمه بالغيب
- ١٩١ تقرير أن الأعمى والبصير لا يستويان
- ١٩١ وجوب الانذار بالقرآن
- ١٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ٥٣-٥٢ ..
- ١٩٢ سبب نزول الآية
- ١٩٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٩٦ تحريم إبعاد المؤمنين وتقريب الكافرين
- ١٩٦ أتباع الرسل هم من الفقراء
- ١٩٦ ابتلاء بعض الناس ببعضهم
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
- ١٩٦ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ٥٨-٥٤
- ١٩٩ أحكام ومسائل الآيات
- الحكم بأنه يجب على الحاكم أو ولي الأمر الاهتمام
- ١٩٩ بالمؤمنين
- ٢٠٠ تحريم عبادة غير الله
- ٢٠٠ الدعوة إلى الله يجب أن تكون على بينة

تفسير قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا

- إِلَّا هُوَ... ﴿٥٩-٦٢ ٢٠٠
- أحكام ومسائل الآيات ٢٠٣
- الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله ٢٠٣
- الحكم بأن الله يتوفى الإنسان ٢٠٣
- تقرير واقعة البعث ٢٠٣
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ... ﴿١٣-١٧ .. ٢٠٣
- أحكام ومسائل الآيات ٢٠٧
- تقرير سلوك المشركين بأنهم يدعون الله في الضراء ٢٠٧
- لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه ٢٠٧
- اختلاف الأمة سبب في تقاتلها ٢٠٧
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
- ءَايَاتِنَا... ﴿٦٨-٧٠ ٢٠٧
- أحكام ومسائل الآيات ٢٠٩
- تحريم مجالسة من يستهزئ بالله ٢٠٩
- عموم النهي في مجالسة الكافر والفاسق وصاحب البدعة ٢٠٩
- وجوب التذكر بالقرآن ٢١٠
- الذين يهلكون بسبب آثامهم لهم عذاب أليم يوم القيامة ٢١٠
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
- يَضُرُّنَا... ﴿٧١-٧٣ ٢١٠
- أحكام ومسائل الآيات ٢١٢
- تقرير أن العاقل لا يدعو من لا يملك ضرا ولا نفعا ٢١٢

٢١٢	تحريم الردة عن الإسلام
٢١٢	لا هدى إلا هدى الله
٢١٣	كافة العباد مكلفون بالدخول في الإسلام
٢١٣	وجوب إقامة الصلاة بأركانها
٢١٣	تقرير واقعة الحساب والجزاء
٢١٣	تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ... ٧٩-٧٤...﴾
٢١٦	أحكام ومسائل الآيات
٢١٦	وجوب محاربة الشرك
٢١٧	أهمية الاستدلال بالمحسوسات في حال الدعوة إلى الله
٢١٧	وجوب الجهر بالبراءة من الشرك وأهله
		تفسير قوله تعالى ﴿وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَكِّمُونِي فِي اللَّهِ
٢١٧	وَقَدْ هَدَانِي...﴾ ٨٢-٨٠
٢١٩	أحكام ومسائل الآيات
٢١٩	الندب إلى مجادلة أهل الضلال
٢١٩	الجدال يجب أن يكون بالحسنى
٢١٩	أصحاب الذنوب يخافون من أفعالهم
٢١٩	تفسير قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ...﴾ ٨٧-٨٣..
٢٢١	أحكام ومسائل الآيات
٢٢١	تقرير أن الله يلهم عباده قوة الحجة
٢٢١	الله يمتن على أهل التوحيد والإحسان بمنن كثيرة
٢٢١	تفسير قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ ٱللَّهِ...﴾ ٩٠-٨٨
٢٢٣	أحكام ومسائل الآيات

- ٢٢٣ الحكم بأن الشرك محبط للعمل لا محالة
- ٢٢٣ وجوب الإيمان بالكتب المنزلة
- ٢٢٣ تحريم أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله
- ٢٢٣ مسألة التعبد بشريعة من قبلنا
- ٢٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ ٩٢-٩١
- ٢٢٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢٧ تقرير سوء سلوك بعض أسلاف اليهود
- ٢٢٧ الحكم بأن الله أنزل كتابه المبين يصدق الكتب السابقة
- ٢٢٧ الثناء على الذين يؤمنون بالقرآن
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ ٩٤-٩٣
- ٢٢٧ سبب نزول الآية
- ٢٢٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٠ تحريم الكذب على الله
- ٢٣٠ تحريم ادعاء النبوة
- ٢٣١ تقرير شدة سكرات الموت
- ٢٣١ تقرير العذاب والهوان للذين يتقولون على الله
- ٢٣١ انتفاء الشفاعة يوم القيامة إلا لمن أذن الله له
- ٢٣١ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...﴾ ٩٩-٩٥ ...
- ٢٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٤ بيان قدرة الله عز وجل في صنع أكبر المخلوقات
- ٢٣٤ بيان امتنان الله على خلقه في خلق الضوء لهم

- ٢٣٤ من مظاهر قدرته عز وجل في الخلق
تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ
- ٢٣٤ وَخَلَقَهُمْ..﴾ ١٠٠-١٠٣
- ٢٣٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٧ بيان أن من الإنس من عبد الجن
- ٢٣٧ التنديد بالذين ينسبون الولد لله
- ٢٣٨ تقرير توحيد الربوبية والألوهية
- ٢٣٨ الحكم بأن الله لا يرى في الدنيا
- ٢٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾ ١٠٤-١٠٧ ..
- ٢٤٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٠ بيان أن الله قد أرسل البينات لخلقه
- ٢٤٠ بيان أن الله فسر الآيات ويسرها لمبتغي الحق
- ٢٤٠ وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله
- تسلية رسول الله ﷺ بأن لا يحزن على إشراك المشركين
- ٢٤٠ وكفرهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
- ٢٤٠ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾ ١٠٨
- ٢٤١ أحكام ومسائل الآية
- ٢٤١ الأصل منع ما يؤدي إلى المحذور
- ٢٤١ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ..﴾ ١٠٩-١١١ ..
- ٢٤٣ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٤٣ تقرير أن مجرد القول لا يدل على صدقه
- ٢٤٣ تقرير أن الذين لا يصدقون في قولهم لن يؤمنوا حتى لو رأوا الملائكة
- ٢٤٣ تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ۖ ﴾ ١١٢-١١٣
- ٢٤٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٤٥ تقرير أن الله جعل لكل نبي أو داعية إلى الله عدواً
- ٢٤٥ تسلية رسول الله ﷺ
- ٢٤٥ تحريم الخداع والتمويه بالباطل
- ٢٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ۖ ﴾ ١١٤-١١٧ ..
- ٢٤٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٧ الحكم بتحريم التحاكم إلى غير الله
- ٢٤٧ أحكام الله المنزلة في كتابه كلها حق
- ٢٤٧ لا راد ولا معقب لما حكم الله به
- ٢٤٧ الحكم بأن الله يعلم بعلمه المطلق من يضل عن سبيله
- ٢٤٨ تفسير قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ ﴾ ١١٨-١٢١ ..
- ٢٥٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٠ الحكم بوجوب التسمية عند الذبح وأن ترك التسمية له حالتان ..
- ٢٥١ حل ما اضطر إليه العبد لإنقاذ نفسه
- ٢٥١ تحريم اتباع أهل الباطل
- ٢٥١ وجوب ترك الإثم في ظاهره وباطنه

- ٢٥١ تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه
- ٢٥١ تحريم طاعة الشياطين
- ٢٥١ تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيًّا فَأَحْيَيْنَهُ﴾ ١٢٢-١٢٤ ...
- ٢٥٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٤ الحكم بأن المؤمن حي في الدنيا والآخرة
- ٢٥٤ تسلية رسول الله ﷺ عما أصابه من قومه
- ٢٥٤ من يفسد ويمكر في الأرض يرد عليه مكره
- ٢٥٤ تقرير غباء وجهل المشركين
- ٢٥٤ الحكم بأن العذاب سينالهم
- تفسير قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
- ٢٥٤ لِلْإِسْلَامِ﴾ ١٢٥
- ٢٥٥ أحكام ومسائل الآية
- ٢٥٥ من يتبع أوامر الله وينتهي بنواهيه يشرح الله له صدره
- ٢٥٦ من يعرض عن أوامر الله ويرتكب محارمه يضيق صدره
- ٢٥٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ ١٢٦-١٢٧ ..
- ٢٥٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٥٦ الحكم بأن الله ارتضى لرسوله محمد ﷺ الصراط المستقيم ..
- ٢٥٧ الذين يتذكرون آيات الله يجزون بدخولهم الجنة
- ٢٥٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ١٢٨-١٣٢ ..
- ٢٦٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦٠ تقرير ما يجري بين كفرة الجن والإنس من التعاون

- ٢٦٠ تولي الظالمين لبعضهم جزاء أفعالهم
- ٢٦٠ إعذار الله للإنس والجن بإرسال الرسل إليهم
- ٢٦٠ لكل من الإنس والجن جزاؤه على عمله
- ٢٦١ تفسير قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ..﴾ ١٣٣-١٣٥..
- ٢٦٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦٢ الحكم بأن الله عز وجل غني عن عباده
- ٢٦٣ الحكم بأن وعد الله للمشركين بالعذاب واقع
- ٢٦٣ الحكم بأن الله قادر على إبادة الخلق
- ٢٦٣ تهديد المشركين بالعذاب إذا استمروا على شركهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
- ٢٦٣ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا..﴾ ١٣٦-١٤٠
- ٢٦٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦٧ الحكم بتحريم ما كان يفعله أهل الجاهلية من البدع
- ٢٦٧ تحريم قتل النفس بغير حق
- ٢٦٧ إبطال أعمال الجاهلية في تحريم ما أحله الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
- ٢٦٧ مَعْرُوشَتٍ..﴾ ١٤١
- ٢٦٩ أحكام ومسائل الآية
- وجوب إخراج الصدقة مما تنبت الأرض واختلاف الفقهاء
- ٢٦٩ في حكم المخرج منها
- ٢٧٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ..﴾ ١٤٢-١٤٥ ...

- ٢٧٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٣ اختلاف العلماء حول ما أبيح وما حرم من الحيوانات
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ..﴾ ١٤٦-١٤٧ ٢٧٤
- ٢٧٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧٥ تقرير أن الله حرم على اليهود أنواعاً من الطيبات
- ٢٧٥ الحكم بأن رحمة الله واسعة
- تفسير قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ..﴾ ١٤٨-١٥٠ ٢٧٦
- ٢٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٨ الحكم ببطلان حجة من يحتج بالقدر
- ٢٧٨ الظن والخرص لا يغني عن الحق شيئاً
- ٢٧٨ قدرة الله على هداية الخلق أجمعين
- ٢٧٩ جواز الشهادة ومشروعيتها
- ٢٧٩ تحريم اتباع أهل الأهواء
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ..﴾ ١٥١-١٥٢ ٢٧٩
- ٢٨٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٨٤ الحكم بتحريم الشرك
- ٢٨٤ وجوب بر الوالدين
- ٢٨٤ تحريم قتل الولد خشية الفقر وما يشمل ذلك

- ٢٨٤ تحريم الفواحش العلنية والخفية
- ٢٨٤ الحكم بتحريم قتل النفس إلا بالحق
- ٢٨٤ وجوب التصرف بالحسنى في أموال اليتامى
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
- ٢٨٤ فَاتَّبِعُوهُ...﴾ ١٥٣
- ٢٨٧ أحكام ومسائل الآية
- ٢٨٧ الحكم بأن صراط الله مستقيم
- ٢٨٧ الأمر باتباع هذا الصراط
- ٢٨٧ تحريم اتباع أي سبيل إلا الإسلام
- تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى
- ٢٨٧ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ ١٥٤-١٥٧
- ٢٩٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٠ تقرير نعم الله على موسى عليه السلام بما أعطاه من النبوة ..
- ٢٩٠ تقرير أن الله عز وجل أنزل القرآن مباركاً
- ٢٩٠ تقرير العذاب للذين يكذبون بآيات الله
- تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ
- ٢٩٠ الْمَلَائِكَةُ...﴾ ١٥٨
- ٢٩١ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩١ تقرير قيام ملك الموت وأعوانه بقبض أرواح الخلق
- ٢٩١ تقرير أمارات الساعة ومنها خروج الدجال والدابة

- ٢٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا..﴾ ١٥٩ ..
- ٢٩٤ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٤ الحكم بتحريم التفرق في الدين وما يشمله ذلك
- ٢٩٤ تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا..﴾ ١٦٠ ..
- ٢٩٥ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٥ تقرير نعم الله وفضله على عباده
- ٢٩٥ الحكم بأن الله لا يظلم أحداً من خلقه
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ
- مُسْتَقِيمٍ..﴾ ١٦١-١٦٤
- ٢٩٥
- ٢٩٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩٨ تقرير هداية الله لنبيه
- استحباب أن يقول المسلم عند القيام إلى الصلاة: «إن صلاتي
- ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين»
- ٢٩٨ لا رب للخلق إلا الله عز وجل
- ٢٩٨ الحكم بأن النفس لا تطالب إلا بجريرتها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
- الْأَرْضِ..﴾ ١٦٥
- ٢٩٩
- ٢٩٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٩ تقرير مراحل الخلق
- ٢٩٩ تقرير التباين بين الخلق في الغنى والفقر

٣٠٠ تفسير سورة الأعراف
٣٠٠ تفسير قوله تعالى ﴿الْمَصَّ ۝ كَتَبْنَا نُزْلَ إِلَيْكَ...﴾ ١ - ٣
٣٠١ أحكام ومسائل الآيات
٣٠١ مخاطب بقوله تعالى ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾
٣٠١ الحكم بوجوب اتباع ما نزل به القرآن
٣٠١ الحكم ببطلان كل اتباع لغيره
٣٠٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا...﴾ ٤-٧
٣٠٣ أحكام ومسائل الآيات
٣٠٣ وجوب الاتعاظ والاعتبار بما حل بالأمة الماضية
٣٠٣ عدم قبول العذر إذا حل العذاب
٣٠٣ تقرير سؤال الله لرسله
٣٠٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ...﴾ ٨-٩
٣٠٤ أحكام ومسائل الآيتين
٣٠٤ تقرير أن الأعمال توزن يوم القيامة
 تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا
٣٠٤ لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ...﴾ ١٠-١٨
٣٠٨ أحكام ومسائل الآيات
٣٠٨ تقرير تمكين الله لخلقه في الأرض
٣٠٨ وجوب شكر الله
٣٠٨ تقرير خلق الله لأبي الخلق آدم
٣٠٨ تقرير استكبار إبليس عن السجود لآدم

- ٣٠٨ مفاضلة إبليس بين النار وبين التراب فاسدة
- ٣٠٩ تقرير خطر إبليس وأعوانه على بني آدم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَتَكَادُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
- ٣٠٩ أَلْجَنَّةَ..﴾ ١٩-٢٢
- ٣١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٠ تقرير أن أمر الله ونهيه لمصلحة الخلق
- ٣١١ تقرير أن عمل إبليس هو الإغواء
- ٣١١ نصح إبليس لبني آدم كذب وغرور
- ٣١١ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا..﴾ ٢٣-٢٥
- ٣١٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١٢ تقرير تعليم الله لآدم وزوجته أن يستغفرا من خطيئتهما
- ٣١٢ تقرير سوء عاقبة المعصية
- ٣١٢ الإنسان يحيى في الأرض ويموت فيها
- ٣١٣ تفسير قوله تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا..﴾ ٢٦-٢٧ ..
- ٣١٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣١٤ تقرير نعم الله على خلقه
- ٣١٤ تقرير أن خير اللباس لباس التقوى
- ٣١٤ التحذير من غواية الشيطان وضلاله
- ٣١٤ تقرير أن الشياطين يوالون ويحبون الذين لا يؤمنون
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا
- ٣١٤ ءَابَاءَنَا..﴾ ٢٨-٣٠

- أحكام ومسائل الآيات ٣١٦
- تقرير فساد تقليد ما يفعله الناس إذا كان مخالفاً لأمر الله .. ٣١٦
- تنزيه الله عز وجل عن الأمر بالفواحش ٣١٦
- وجوب العدل ٣١٦
- وجوب دعاء الله ٣١٦
- تقرير أن الله يهدي الذين يؤمنون به ٣١٧
- تفسير قوله تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ ٣١ ٣١٧
- أحكام ومسائل الآية ٣١٨
- وجوب ستر العورة ٣١٨
- أخذ الزينة عند الصلاة وعند الطواف ٣١٩
- عدم تعدي الحد في الأكل والشرب ٣١٩
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾ ٣٢-٣٣ ٣١٩
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٢٢
- الحكم بحل الزينة ٣٢٢
- الحكم بحل الطيبات ٣٢٢
- تحريم الفواحش الظاهرة ٣٢٢
- تحريم الإثم ٣٢٢
- تحريم البغي ٣٢٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ ٣٤-٣٦ ٣٢٢

- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٣
- الحكم بأن الأمم تهلك كما يهلك الأفراد ٣٢٣
- عدم قبول أعذار الخلق عن ذنوبهم بعد إرسال الرسل إليهم .. ٣٢٣
- تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ ٣٧-٣٩ ٣٢٤
- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٦
- من يكذب على الله ورسوله هو أشد الناس ظلماً ٣٢٦
- تقرير توبيخ ملائكة الموت للظلمة ٣٢٦
- تقرير لعن أهل النار لبعضهم ٣٢٦
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ...﴾ ٤٠-٤٣ ٣٢٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٢٨
- الحكم بأن المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها يحرمون من دخول الجنة ٣٢٨
- الإيمان سبب موجب لدخول الجنة ٣٢٨
- لم يكلف العباد من الأعمال إلا حسب طاقتهم ٣٢٨
- أهل الجنة لا يتحاسدون عند تفاوت منازلهم ٣٢٨
- الحكم بأن الهداية من الله وما يقتضي وجوب طلبها منه ٣٢٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ...﴾ ٤٤-٤٧ ٣٢٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣١

- ٣٣١ تقرير التحادث بين أهل الجنة
- ٣٣٢ ذم الذين يصدون عن سبيل الله
- ٣٣٢ تقرير وجود حاجز بين الجنة والنار
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ...﴾ ٤٨-٤٩
- ٣٣٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٣٣ الأموال والأولاد لا تغني شيئاً يوم القيامة
- ٣٣٣ المؤمنون هم الذين يرثون الجنة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ ٥٠-٥١
- ٣٣٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٣٤ تحريم اتخاذ دين الله هزوا ولعباً
- ٣٣٤ التحذير من الاغترار بمفاتن الدنيا
- ٣٣٤ من نسي الله في الدنيا نسيه في الآخرة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ
- ٣٣٤ عَلَيْهِ...﴾ ٥٢-٥٣
- ٣٣٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٣٦ الحكم بأن القرآن نزل مفصلاً
- ٣٣٦ إذا حل الأجل فلا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل..
- ٣٣٦ الكفار يعترفون بما جاءهم من العلم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

٣٣٦ وَأَلْأَرْضَ.. ﴿٥٤-٥٥
٣٣٩ أحكام ومسائل الآيتين
٣٣٩ تقرير خلق الله السموات والأرض في ستة أيام
٣٣٩ الحكم بأن الخلق والأمر لله
٣٤٠ وجوب دعاء الله وحده
٣٤٠ دعاء الله يكون بالتضرع
٣٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ..﴾ ﴿٥٦-٥٨
٣٤٣ أحكام ومسائل الآيات
٣٤٣ تحريم الإفساد في الأرض
٣٤٣ تقرير قرب الله ومحبته لأهل الإحسان
٣٤٣ المؤمن مثل التربة الطيبة
٣٤٣ تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ..﴾ ﴿٥٩-٦٤ ...
٣٤٦ أحكام ومسائل الآيات
٣٤٦ تقرير نبوة نوح عليه السلام
٣٤٦ وجوب الإقرار بتوحيد الألوهية
٣٤٦ السادة المتنفذون غالباً ما يعرضون عن دعوات الرسل
٣٤٦ الهلاك عاقبة المكذبين لرسلمهم
٣٤٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا..﴾ ﴿٦٥-٦٩
٣٤٨ أحكام ومسائل الآيات
٣٤٨ تقرير معنى عبادة الله بأنها توحيدده
 نفي الرسل لما اتهمهم به قومهم من الكذب وتوكيدهم أنهم

٣٤٨ رسل الله
	تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
٣٤٨ وَحْدَهُ... ﴾ ٧٢-٧٠
٣٥٠ أحكام ومسائل الآيات
٣٥٠ تقرير فساد حجة من يدعي اتباع أسلافه
٣٥٠ تقرير سفاهة الكفرة والظلمة
٣٥٠ تقرير ضلال المشركين في عبادتهم أوثاناً
٣٥٠ الحكم بأن الله ينجي المؤمنين ويهلك الكافرين
٣٥٠ تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا... ﴾ ٧٤-٧٣ ...
٣٥٤ أحكام ومسائل الآيتين
٣٥٤ تقرير أن الله يرسل رسله إلى خلقه ومعهم المعجزات
٣٥٤ تذكير الرسل لأقوامهم بالآيات
٣٥٤ وجوب الاعتاظ حين زيارة أماكن الأمم الهالكة
	تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
٣٥٥ قَوْمِهِ... ﴾ ٧٩-٧٥
٣٥٧ أحكام ومسائل الآيات
	تقرير أن الرؤساء والسادة هم الذين يستكبرون عن
٣٥٧ اتباع الحق
٣٥٧ تقرير عذاب الله للمكذبين بآيات الله ورسله
٣٥٧ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... ﴾ ٨٤-٨٠
٣٥٩ أحكام ومسائل الآيات
٣٥٩ اختلاف العلماء في عقوبة من أتى فاحشة اللواط المنكرة

- التنديد بمن أباح هذه الفاحشة ٣٦٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ ٨٧-٨٥ .. ٣٦٢
- أحكام ومسائل الآيات ٣٦٥
- حرمة المال مثل حرمة الدم ٣٦٥
- تحريم إخافة المارة في الطريق والصد عن سبيل الله ٣٦٦
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ...﴾ ٨٩-٨٨ ٣٦٦
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٨
- تقرير أن من عادة المستكبرين تهديد الدعاة والمصلحين ٣٦٨
- على الدعاة الذين عرفوا الحق أن يثبتوا عليه ٣٦٨
- وجوب الاستثناء بالمشيئة ٣٦٩
- وجوب التوكل على الله والتضرع إليه ٣٦٩
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ...﴾ ٩٣-٩٠ .. ٣٦٩
- أحكام ومسائل الآيات ٣٧٠
- تقرير صد المتبوعين لأتباعهم عن الحق ٣٧٠
- استحباب توبيخ الظلمة على أفعالهم ٣٧٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ...﴾ ٩٥-٩٤ .. ٣٧٠
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٧١
- بيان سنة الله في عباده وأنه يرسل إليهم رسلا ٣٧١
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا...﴾ ٩٦ - ١٠٠ ٣٧٢
- أحكام ومسائل الآيات ٣٧٤

- ٣٧٤ الحكم بأن العباد إذا آمنوا بالله أنزل عليهم المطر
- ٣٧٤ تحذير العباد من الغفلة واللهو
- ٣٧٤ تحريم الأمن من مكر الله
- ٣٧٤ وجوب الاتعاظ بمصائب الأمم
- تفسير قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا... ﴾ ١٠٢-١٠١ ٣٧٤
- ٣٧٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٧٦ تقرير أن الله قص على نبيه أحوال الأمم السابقة
- ٣٧٦ من الخلق من لا يؤمن بالأدلة والبراهين
- ٣٧٦ سبب هلاك الأمم السابقة
- تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا... ﴾ ١٠٨-١٠٣ ٣٧٦
- ٣٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٨ جحود آيات الله كفر بواح
- ٣٧٨ بيان ما جرى بين موسى وفرعون من الجدل
- ٣٧٩ تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ... ﴾ ١١٢-١٠٩ ...
- ٣٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٠ تقرير كفر ملأ فرعون بالآيات التي جاء بها موسى
- ٣٨٠ تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ... ﴾ ١١٦-١١٣
- ٣٨١ ٣٨١
- ٣٨١ جواز الاستئجار للعمل
- ٣٨٢ شرطا الاستئجار

- ٣٨٢ تقرير تأثير السحر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ...﴾ ١١٧-١٢٢ ٣٨٢
- ٣٨٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٣ تقرير حقيقة المعجزات التي جاء بها موسى
- ٣٨٣ الحكم بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه
- ٣٨٤ بيان الحق للعصاة قد يكون سببا لهدايتهم
- تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهٖ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ...﴾ ١٢٣-١٢٦ ٣٨٤
- ٣٨٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٦ تقرير أن الطغيان إذا سيطر على الإنسان أعماه
- ٣٨٦ وجوب سؤال الله الصبر
- ٣٨٦ استحباب دعاء المسلم أن يتوفاه الله على الدين
- ٣٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ...﴾ ١٢٧-١٢٩ ... ٣٨٦
- ٣٨٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٨ تقرير فساد بطانة فرعون
- ٣٨٨ وجوب الاستعانة بالله عند الشدائد
- ٣٨٩ الأرض ومن فيها ملك لله عز وجل
- ٣٨٩ تقرير صبر الأنبياء عليهم السلام
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ...﴾ ١٣٠-١٣٣ ٣٨٩

٣٩٢ أحكام ومسائل الآيات
٣٩٢ تقرير التدرج في العقوبة
٣٩٢ تحريم التطير والتشاؤم
٣٩٢ تقرير كفر فرعون وقومه
٣٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ..﴾ ١٣٦-١٣٤ ..
٣٩٣ أحكام ومسائل الآيات
٣٩٣ الغالب في الظلمة اللجوء إلى الله عند التعرض للشدائد
٣٩٣ سبب ضلال الضالين هو تكذيبهم بآيات الله
 تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
٣٩٤ يُسْتَضَعْفُونَ﴾ ١٣٧ ..
٣٩٤ أحكام ومسائل الآية
 سنة الله وحكمته في خلقه اقتضت أن من آمن به واتقاه
٣٩٤ يمكن له في الأرض
 ما كانت النعم لبني إسرائيل إلا بسبب إيمانهم بما
٣٩٥ جاء به موسى
٣٩٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ..﴾ ١٤١-١٣٨ ..
٣٩٧ أحكام ومسائل الآيات
٣٩٧ أمر بني إسرائيل أمر عجب
٣٩٧ وجوب إنكار المنكر وإعلان بطلانه
٣٩٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً..﴾ ١٤٢
٣٩٨ أحكام ومسائل الآية

- ٣٩٨ مشروعية تحديد المواعيد
- ٣٩٨ يجب على الحاكم استخلاف من هو أهل في رعيته
- ٣٩٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا...﴾ ١٤٣-١٤٥
- ٤٠١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٠١ أين تستحيل رؤية الله وأين تمكن؟
- ٤٠١ تقرير كرامة الله لنبيه موسى باختياره على أهل زمانه
- ٤٠١ تقرير تفصيل التوراة لأحكام الدين والدنيا
- تفسير قوله تعالى ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...﴾ ١٤٦-١٤٧
- ٤٠١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٢ الاستكبار يصرف عن فهم آيات الله
- ٤٠٣ التكذيب بآيات الله سبب شقاء العبد
- ٤٠٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى...﴾ ١٤٨-١٤٩
- ٤٠٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٤ تقرير غلبة الجهل على أسلاف بني إسرائيل
- ٤٠٤ وجوب يقظة العبد من غفلته
- ٤٠٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ...﴾ ١٥٠-١٥١ ..
- ٤٠٦ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠٦ تقرير أن الإنسان قد يتعرض للغضب نتيجة حادثة ما
- ٤٠٧ استحباب الاعتذار عن الخطأ
- ٤٠٧ تحريم الشماتة بالمخطئ

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ

غَضَبٌ.. ﴿١٥٢-١٥٤ ٤٠٧

أحكام ومسائل الآيات ٤٠٨

تقرير وعيد الله للذين يعملون السيئات ٤٠٨

الكتب التي أنزلها الله كلها هدى ورحمة ٤٠٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا

لِمِيقَاتِنَا.. ﴿١٥٥-١٥٧ ٤٠٩

أحكام ومسائل الآيات ٤١٤

تقرير أن في كل قوم سفهاء ٤١٤

رحمة الله واسعة ولا حدود لها ٤١٥

وجوب الإيمان برسالة رسول الله محمد ﷺ ٤١٥

تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.. ﴿١٥٨ ٤١٥

أحكام ومسائل الآية ٤١٦

الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ عامة ٤١٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ

بِالْحَقِّ.. ﴿١٥٩-١٦٢ ٤١٦

أحكام ومسائل الآيات ٤١٨

من أسلاف بني إسرائيل طائفة مؤمنة ٤١٨

من بدل ما أنزل الله من الأحكام يعد ظالماً ٤١٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ.. ﴿١٦٣-١٦٦ .. ٤١٨

- ٤٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢١ تكريم الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ
- ٤٢١ فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ..﴾ ١٦٧-١٧٠
- ٤٢٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٥ أحوال بني إسرائيل عبر مرور الزمان
- ٤٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَنْفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ ..﴾ ١٧١
- ٤٢٦ أحكام ومسائل الآية
- ٤٢٦ العجب من أمر بني إسرائيل في عدم قبول التوراة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ
- ٤٢٦ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..﴾ ١٧٢-١٧٤
- ٤٢٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٢٨ الحكم بأن الله أخذ على بني آدم العهد
- ٤٢٩ الله يفصل الآيات ويبينها لعباده
- ٤٢٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ ..﴾ ١٧٥-١٧٨
- ٤٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٣١ الله قد يمنح نعمته ليعلم أتشكر أم تكفر؟
- ٤٣٢ أسوأ الأمثال يضرب للذين يكذبون بآيات الله
- إن الله عز وجل يهدي من يصدق بآياته ورسوله ويضل
- ٤٣٢ الذين يكذبون بها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ

٤٣٢ وَالْإِنْسُ ١٧٩ ﴿
٤٣٣ أحكام ومسائل الآية
٤٣٣ الحكم بأن الله خلق لجهنم كثيراً من الإنس والجن
	تقرير أن مثل من يستخدم ما أنعم الله عليه من الحواس
٤٣٣ في معصيته مثل الحيوان الذي لا يعقل
٤٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ١٨٠ ..
٤٣٥ أحكام ومسائل الآية
٤٣٥ وجوب دعاء الله بأسمائه
٤٣٥ تحريم الإلحاد في أسماء الله
٤٣٥ تقرير العذاب للذين يلحدون في أسماء الله
٤٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ ١٨١-١٨٦ ﴿
٤٣٩ أحكام ومسائل الآيات
٤٣٩ الحكم بأنه سيكون من خلق الله أمة ظاهرة
٤٣٩ استدراج الله للذين يكذبون بآياته
٤٣٩ إنكار الله على من كذب رسله
٤٣٩ التوكيد على أن الرسول ﷺ سليم في خلقه
٤٣٩ إنكار الله على المكذبين بسبب جهلهم
٤٣٩ من يعرض عن ذكر الله فلن يهديه أحد
٤٣٩ تفسير قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ ١٨٧-١٨٨ ﴿
٤٤٢ أحكام ومسائل الآيتين
٤٤٢ علم الساعة عند الله

- ٤٤٢ الساعة لا تأتي إلا بغتة
- ٤٤٢ الحكم أن رسول الله ﷺ بشر
- تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..﴾ ١٨٩-١٩٠ ..
- ٤٤٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٤٤ الحكم أن أصل الإنسان من آدم وزوجته حواء
- ٤٤٤ نفي الشرك عن آدم وزوجته
- ٤٤٤ تفسير قوله تعالى ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا..﴾ ١٩١-١٩٣ ..
- ٤٤٥ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في كونهم يشركون مع الله
- ٤٤٥ مخلوقين مثلهم
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ..﴾ ١٩٤-١٩٨ ..
- ٤٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٤٩ تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون جمادات
- ٤٤٩ ولاية الله هي أعظم ولاية
- ٤٤٩ تفسير قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ..﴾ ١٩٩-٢٠٠ ..
- ٤٥٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٥٢ وجوب التحلي بالأخلاق الكريمة
- وجوب الإعراض عن الجهلة والسفهاء وذوي
- ٤٥٢ الأخلاق السيئة
- ٤٥٢ وجوب التعوذ بالله من الشياطين

٤٥٢	تفسیر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ... ٢٠١-٢٠٣
٤٥٣	أحكام ومسائل الآيات
٤٥٣	تقرير أن الشيطان لا يضر أهل التقوى
٤٥٣	إخوان الشياطين وأعاونهم يمدونهم بالضلال
٤٥٣	القرآن هدى ورحمة
٤٥٤	تفسیر قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ ... ٢٠٤-٢٠٦
٤٥٥	أحكام ومسائل الآيات
٤٥٥	وجوب الاستماع للقرآن عند قراءته
٤٥٥	وجوب ذكر الله تضرعاً إليه
٤٥٥	التحذير من الغفلة



